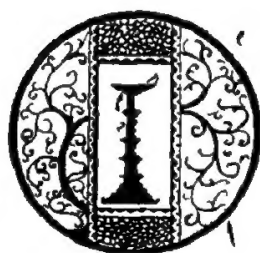


ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية



مارس ويونيو ١٩٥٦

ثقافة الهند

تصدر أربع مرات في السنة: مارس، يونيو، وسبتمبر، وديسمبر

الاشتراك للسنة: في الهدى : ثمانى روپات في الخارج : ثمانى شللات
ثمن العدد الواحد: روپيتان

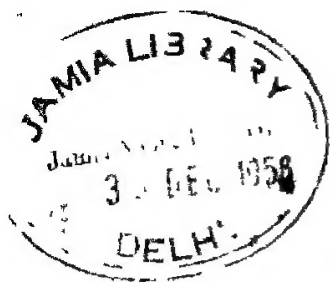
تطلب من

مجلس الهدى للروابط الثقافية، بتودى هاؤس، دلهى الجديدة مرة ١

مضمة "ق" بالهدى

نصاحبها محل شرف الدين، ٢٩ شارع محمد على، عناية ٣

طعت بامر مجلس الهدى للروابط الثقافية



ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

المجلد السابع مارس ويونيو سنة ١٩٥٦ العدد الأول والثاني

Accession Number

273884

D 29903 محتويات هذا العدد

٢	١	مشاكل في التاريخ الهندي	الدكتور جكرورتي
٣٠	٢	مليبار (كيرله)	للاستاذ عي الدين الألواني
٦٥	٢	خطاً في الحنة ؟ - راسدومات طاعور	تعريب الأستاذ اورشنا
٧١	٤	كيف نشأت باتلي پترا (قصة ميثولوجية)	للاستاذ محمود علي حان
٧٨	٥	الهند في فترة ما قبل التاريخ (المدية الهندوسية)	
١٢٢	٦	الأسس الجغرافية والاجتماعية (المدية الهندوسية)	
١٤٨	٧	مجلس الهند للروابط الثقافية (تقرير السوات الحسن)	
١٦٠	٨	من أبحار الهند الثقافية	

مشاكل في التاريخ الهندى

حطة للدكتور جكرورتى

لقد قطعت دراسات التاريخ الهندى وخاصة تاريخ الهند القديم شوطا بعيدا خلال ربع القرن الماضى. واكتشاف آثار مدينتى «موهجو دارو» و «هارابا» احتل تاريخ الهند وحضارتها مكانة سامية بين حضارات العالم القديمة. فى الوقت الذى رادت معرفتنا إلى حد كبير من ناحية سبب هذه الاكتشافات وغيرها، نشأت من ناحية أخرى مشاكل جديدة تحتاج إلى إيضاح. وهذا لا يصدق على فترة التاريخ الأولى حسب، بل يصح كذلك عن الفترة التاريخية التى تملك عنها مصادر مكتوبة رودتناها دار الآثار التاريخية. وقد حلت بعض المشاكل، ولكن هناك الكثير غيرها - بعضها كبير والبعض الآخر صغير - ما زال يحيرنا. وأقترح أن أنسط أمامكم بعضها. ولست أقصد بذلك تقديم حلول لها، ليس لأنى لا أرى فى ذلك بل لأن الحلول المرصية فى معرفتنا بوضعها الحالى ليست متيسرة

ولهذا ستكون ملاحظاتي فقط على شكل عرض للدليل الناقص الذى نملكه اليوم. ولكن قل أن أفعل ذلك أود أن أدرك حضراتكم أنى لست إلا عالم الآثار والمقوشات بالمهنة والممارسة.

وأنسى العفو إذا نظرت إلى الأمور من هذه الراوية. إن هذا لا يعنى أنى لا أقدر آراء الآخرين. فمن ربما نختلف فى آرائنا ولكن علينا ألا ننسى أننا جميعا نعمل فى سبيل غاية واحدة وهى الوصول إلى الحقيقة. إن هدفنا واحد مع أن السبيل ربما يكون مختلفا. إن مواد تاريخ الهند القديمة لدينا

ضئيلة وحتى ما لدينا منها يتطلب دراسة وافية قبل أن نصل إلى استنتاجات ثابتة.

لن أذكر شيئاً هنا عن فترة ما قبل التاريخ التي تبدأ بظهور الإنسان على الأرض، ولكن له في الوقت ذاته صلة. ففي حالات معينة ربما يعود إلى آلاف من السنين، وفي حالات أخرى غيرها يرجع إلى ألف سنة حلت أو ما شابه، كما وجدنا من تحررتنا في الهند، وحتى في حالات أخرى ربما تعود إلى نضع قرون فقط.

وإذ نتقل الآن إلى حضارة «هارابا» نجد أن علماء الآثار عرفوا تاريخها من اتصالها بمدن بلاد ما بين النهرين في حقبة التاريخ الأولى. والتي دلت الآثار والاعتبارات الأخرى على أنها اردهرت في النصف الأخير من القرن الثالث وما قبلها من العصر الألي الثاني قبل الميلاد. وأكبر برهان على ذلك هو عدد الاحتمام المصنوعة على عمت «هارابا» وكذلك بعض المسامح والفخار الذي اكتشف في أماكن مختلفة في المنطقة. و «السير مورتير ويلر» حدد الفترة بين ٢٣٠٠ و ١٥٠٠ ق.م. على وجه التقريب في تحته الذي نشره مؤخراً حول «حصارة الاندس» (إندس هو مهر السد) — وكان هذا المنشور ملحقاً لمؤلف كهريج في تاريخ الهند. وهو يورد أن الآريين مسئولون عن تحريه هاتين المدينتين. ومع ذلك فإن هذا الموضوع وثيق الصلة بعصر «رگويدا» و بظهور الآريين في الهند. ولقد كان تاريخ عصر «رگويدا» موضع جدل خلال ثلاثة أرباع قرن.

إن الآراء تختلف ليس بمدى القرون بل بفترة آلاف سنة. هذه التواريخ تمتد عادة بين ٣٠٠٠ و ١٠٠٠ سنة ق.م. باستثناء أبطال الطريبات الملكية التي تمسك بها أمثال تيلك وجاكوبن الذين ذهبوا إلى فترة أبعد بكثير.

والنقطة الوحيدة الأكيدة هي أن الأدب الوبدي اكتمل قبل نشوء الحياة

والبوذية في الهند. وفي الوقت ذاته لا يساعدنا ذلك كثيرا إذ أنه يقلنا فقط إلى ٦٠٠ و ٥٠٠ ق.م. ولا بد أنه استغرق عدة قرون للوصول إلى المرحلة التي نجد الأدب الوبدي في عهد ماهويرا وكوناما بودا.

وحوالي نهاية الشطر الأول من القرن الحالى فكر كثيرون بأن الحدل حول هذا الموضوع قد انتهى بشكل مرضى بالاكتشاف الذى قام به هوغو ونكلر Hugo Winkler في «وعاركي» ناسيا الصعري في محمولات الحيتيين من لوحات الطين التي وجد بها سجل من المعاهدات التي أرمت بين ملوك الحيتيين وحكام ميتاني حوالي ١٤٠٠ ق م. وفي هذا السجل وحدث من بين آلهة ميتاني أسماء أربعة منهم ميترا، ووارونا، وإندرا، والالهين التوأمين باستياس. وقد وحدث في المحمولات ذاتها أربعة ألواح تحوى على مدة حول تدريب الحيول وتليدها، وصمها ككولى (Kikkuli) مؤلف من ميتاني، واستعمل اصطلاحات تتصل بسباق العربات لها صلة بالسكربتية مثل ايكاورتانا وترى ورتنا وغيرهما. ولسوء الحظ لم تكتشف نصوص مكتوبة في هذه اللغة حتى الآن ولكن هذه الأمتلة القليلة فيها البرهان الكافي على أن لغة الطلفة الحاكمة في ميتاني كانت على الأقل هدية آرية. وربما كان الحل سهلا لو أمكنا قول نظرية أساندة مثل أدوارد ماير، وبيرجيلر، واولدسرح، بأن هؤلاء الآلهة كانوا ينتمون إلى قبيلة عربية وإلهم ورثوها والهشود الآريون من مصدر مشترك ولكن يشير حاكوى، وكوبو، وهلدرايت أن هذه الآلهة وبذية آرية، فلا يمكن تكوين رأى آخر. وفي تلك الحالة إن فرص أنه كانت هناك هجرة آرية معرلة بالعودة إلى العرب، فعليا قول الامكانية أن الآريين قد استوطنوا على أراض هدية قل هجرة كهده برمن طويل. ولهذا فان تقديم برهان أكيد تأييدا لهذه النظرية محفوف بالصعاب. وعلماء الآثار من ناحية أخرى يجمعون على أن حضارة هارانا لا بد أن تكون قل الحضارة الآرية، وإذا صح تحديدهم للحد الأدنى من هذه الثقافة فلا بد من الاعتراف بأن ميتاني كانت

نقطة الاتصال أبان هجرة الآريين الذين أصبحوا في النهاية أسياد إقليم الاندس بعد هزيمة السكان الأصليين.

ولكن من كان هؤلاء الناس، ومن أين جاءوا في الأصل؟ ليس مؤكدا أيضا. فيقول البعض أنهم أتوا كذلك قبل ذلك التاريخ من إقليم البحر الأبيض المتوسط، ويقول آخرون أنهم كانوا دراويدين قدموا من الغرب، ويقول غيرهم أنهم كانوا دراويدين ولكنهم في الأصل من الهند.

والطريق التي بسطها المؤرخ التشيكي «هروزي» الذي لمع اسمه لأول مرة بقوله إن اللغة التي وجدت في الألواح الحثيية هي من أصل هندي - أوربي، هي أكثر غرابة. فهو يقول بدليل الإحتام وعلى ضوء تحليله لها إن شعب الاندس كان خليطا من الحثيين والهوريين والسومريين البابليين والآريين الأصليين الذين بدأوا مهاجرتهم لهم من شرق آسيا الصغرى وشمال سوريا والجزء الشمالي الغربي من بلاد ما بين النهرين، احتلوا وادي الاندس الحصب وتملكوه في النصف الأخير من العصر الآلي الثاني ق. م. وقد أحصرت هذه الأمة معها أول عاصر الكتابة من شمال سوريا وأدخلوا كتابة مستقلة تقوم على أساسها. وهو يذهب حتى إلى أن بعد من ذلك ويحاول تكوين صورة لما حدث بعد ذلك. فهو يقول: «إن المدن ومعها الثقافة الهندية الأصلية قد اندثرت أثناء الغزو الآحي الذي جاء من الجزء الشمالي الغربي من الهند حوالي ٢٠٠٠ ق. م. وقد دمرت المدن الهندية الأصلية، بما كان لها من غنى وعرة، وكذلك المراكز الاقتصادية على طرق القوافل القادمة من العرب، وذبح سكانها بدون رحمة كما ثنت بقايا الهياكل. ولم يقطن أحد في المدن لألاف من السنين. ولعل الغزاة المسؤولين عن تدمير الثقافة الهندية القديمة هم الدراويديون الذين بقيت آثارهم القليلة في السكان الذين عرفوا باسم براهوي (Brahui) والذين استوطنوا في حال بلوچستان. ويصعب القول من

أين أتى هؤلاء الدراويديون إلى الهد. والمحتمل أنهم قدموا من الشمال العرنى. يقول المؤرخ أيضا إن هؤلاء الدراويديين أمتروا بقايا الهود الأصليين القدماء بين ٢٠٠٠ و ١٥٠٠ ق م وسيطروا على الجزء الشمالى العرنى من الهد إلى أن مك ذلك الجزء من البلاد بعروة ثانية، في هذه المرة من قبل الهنود الويديين والأقوام المتفرعة عنهم مما في ذلك أهالى ما بين الهرير والميتايين السوريين الفلسطينيين

لقد أشرت إلى نظرية هرورى لسدين

(١) مع أن هرورى كان موضع القدر الشديد من قبل عدة من المؤرخين العربيين اللاحقين في الثقافة القديمة، لم أحد أى إشارة لطرياقته من قبل المؤرخين في الهد. (٢) عما وضع نظريته عن الأصل الهدى - الأورنى للغة الحيثية انتقدت شدة أيضا في رادى الأمر، ولكنها برهنت على صحتها فيما بعد. وهناك بالطبع عدة نقاط في نظريته لا يمكن إثباتها بالحجة، أو لا بد من تعديلها على أساس برهان حديد يؤخذ من إكتشافاتنا الأخيرة وإذا أنصفنا المؤرخ فيجب علينا الإشارة إلى أنه هو نفسه يقول إن استنتاجاته موضوعية «بتحفظ بالغ».

ونأى الآن إلى الدراويديين فنقول إن موضوع نصيب ثقافتهم في ثقافة الهد قد شغل اهتمام مؤرخين آخرين آخرين كثيرين أيضا لفترة حلت من الزمن. فليس ثمة اعتقاد بعد الآن أن لغات الدراويديين كانت دائما محصورة في حوض الهد ومطقة صغيرة في بلوستان. فقد دلت آخر الأبحاث أن الدراويدية انتشرت كثيرا في العصور القديمة في أحرار أخرى من الهد أيضا. ويعزز هذا البرهان أسماء كثير من الأماكن في شمال الهد، ووجود العنصر الدراويدى القوي في اللغة الآرية من الويديين ومن تعميم، والآثر الدراويدى الأكيد على التاريخ الثقافى في

الهند في كل فرع تقريبا. وقد حاول بعض الباحثين إعادة هذا الأثر حتى إلى ما وراء حدود الهند. ففي السنوات الأولى من القرن الحالي أشار «تورب» إلى أوجه شبه معينة بين الدراويدية والأتروسكية (Etruscan). وفي عام ١٩٢٧ حاول كلنس شور في مؤلفه (Altdraavidisches, eine namenskundliche untersuchung) أن يبرهن على أن أسماء أماكن كثيرة، ليس في إيران وحدها بل في أوروبا أيضا، يجب أن تقرن باللغات الدراويدية، ولكن نظريته لم تلق قبولاً دولياً. ومؤخراً حاول هايرمود في مؤلفه «انديش فروكلترين» أن يثبت أن أشكال الفن التي وجدت في الآثار الحرفية في كريت والهند، هي متصلة مع مركز ثقافي في سوريا وبلاد ما بين النهرين حوالي نهاية العصر الآليني الرابع ق. م. والذي في اعتقاده لم يسبق الثقافات الآرية الهندية حسب، بل الثقافة السومرية أيضا. وقد عرف كذلك أن بعض الآلهة كالآلهة الأم وشيوا من بين آخرين هم في الأصل في الثقافة ما قبل الآرية.

وقد أظهر مؤرخا الروميسور «كرفل» في كتابه (Die dreikoepfice Gottheit) أن الاعتقاد بالآلهة دي الرأس الثلاثة كأشياء كثيرة بين أحناس شعوب البحر الأبيض المتوسط.

وفي مؤتمر المستشرقين الدولي الذي عقد في كمبرج هذا العام لفتت الأدبية هومبرجر في رسالتها «العناصر الدراويدية في مصر وإفريقيا» الأنظار إلى عدد من الكلمات الموحودة في اللغة المصرية القديمة لها شبه في لغة جنوب الهند. ولكن هذا الأساس في البحث لا يزال في مرحلة بدائية ويبدو أنه من سبق القول الخروج باستنتاج معين ما.

وأود أن أوضح أنني لا أعني باستعمال كلمة «دراويدية» اللغة التي يتحدث بها الناطقون الآن بلغة التاميل. ومع أن البعض يدعى بالعمور على أثر

قديم يرجع إلى القرن الثاني ق. م لأدب سحيم (التاميلية) في مراحلہ الأولى ، قد ثبت أن اللغة التي وجدت به لا يمكن أن تعود إلى قبل ٥٠٠ سنة ميلادية . ولديها أيضا مقوشات تناقص الأثر القديم عن الأدب التاميلي ويبدو إنها لم يعتنى بها حتى الآن . وقد عثر على عدد من السجلات القصيرة محفورة في ملحاً صخري طبيعي في منطقتي «مدورا» و «تيلي» . ومثل هذه السجلات كذلك وجدت مكتوبة على الحرف أثناء التنقيب في «اريكاميدو» . وهذه المخطوطات من ناحية الكتابات القديمة يجب أن توضع في القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد . اللغة المستعملة فيها هي اللغة التاميلية السحيقة ، المختلفة كلية عن تلك الموحدة في الأدب القديم والمعاصر . وواضح أن لغة التاميل في هذه الفترة كانت لا تزال فقط في دور التكوين .

وهالك عقبة تعترض سبيل حل مشكلة «هارانا» وهي عجزا عن تحليل رموز الكتابة التي وجدت على الأختام واللوحات والحرف . وقد بدلت محاولات كثيرة حتى الآن ولكن لم تثبت صحة أحداها إلى اليوم . وأراد لأحد وهتر أن يقرأ هذه الكتابة بالبراهمية في فترة حد متأخرة . و «جاد» من أصحاب المتحف البريطاني الذي تعتبر رسالته على «الأختام في أسلوب هارانا وجدت في «اور» وأماكن أخرى ، ادياً ، وحد بعض الكلمات السسكريتية في تلك الأختام . وذكر ميربجي العالم الإيطالي أن معظم الرموز هي كتابة تصويرية تعبر عن كلمات مأكملها من أصل راهوي - دراويدي قديم

وحاول همسي العلامة الهعاري أن يقر هذه الكتابة بالهيريوعليقية المكتوبة على لوحة خشبية في حرر الهند الشرقية بالمحيط الباسيفيكي . وفي الهند حاول الأب «هيراس راناث» وسوامي شانكر نندا إيجاد حل ، كل بطريقة الخاصة . ومن المحاولات الأخيرة تلك التي بذلها هرورني لأظهار تشابه عجيب بين الرموز الهندية

الأصلية والكتابة الهيروغليفية الحديثة..

وهذه المشكلة لسوء الحظ، وهي معادلة لعاملين مجهولين هما الكتابة واللغة، لا تبدو أنها أقرب إلى الحل إلى الآن. والعامل المحير في كتابة هارانا هو أن شكلها بقي على حاله أكثر من سبعة قرون. ولم يجد أى أشكال راقية أو بسيطة تحمل صلة ما مع أى كتابة معروفة معاصرة أو غير ذلك.

ولم نكتشف كذلك حتى الآن أية كتابة بلعنين كتبت إحداها بلغة معروفة تكون مفتاحا. وليس لدينا حتى كتابة طويلة ذات نواح متشابهة تهدي إلى تعبير صحيح. وأطول كتابة عرفت حتى الآن هي ما تحتوي على ١٧ مقطعا، بينما العدد المعروف عادة هو حوالى ستة. ولذا فإن كل تخمين طهر حتى اليوم والحالة هذه يجب أن يعتبر فرضيا. ومع ذلك لا يحذر با أن نقط. ربما تعطيا الحوث والاكتشافات الواسعة الدليل المشهود. وهذا أكثر تشجعا عندما يبدو أن أحتم حضارة «منوان» فى «كريت»، التى كتبت بخط سماء إيهار - منوان ليرب (Minoan Linear B) قد حلت الآن على أنها تتصل باليونان القديمة وبذلك يرجع تاريخ اللغة اليونانية بدلا من سنة ٨٠٠ إلى ١٤٠٠ ق.م. عندما دمر قصر منوان فى بوسس.

ونعود الآن إلى بحث حضارة «هارانا» مرة أخرى بالنسبة لعلاقتها بالآريين. فبعد اكتشافات ١٩٤٦ عن هارانا خرج الدكتور (الآن السير) مورتيمر ويلر بنتيجة مؤداها أن قلعة هارانا الحصينة سقطت أمام غزو الآريين. ومن الاشارات المتكررة فى رگويدا إلى لقب إيدرا على أنه «بوراندرا» استخلص تأييدا قويا لهذه النظرية. وعزز هذا العرض فيما بعد الروميسور ستيوارت ييحت، ولكن الأساس الذى بنى عليه الدكتور ويلر هذا الكيان الجذاب من نظريته كان موضع النسيان دائما من قبل الباحثين الذين تبعوه. ففى هارابا يوجد مقبرتان واحدة فوق

الأخرى. فالمقبرة السفلى المسماة «ر ٣٧» (R 37) معاصرة لمدينة هارابا الراقية. أما العليا ويرمز إليها بحرف «ه» (H) فتحتوى على أوعية جنائزية من نوع مختلف. فالويلر أن يعتبرها من صنعة طلائع القبائل الآرية المهاجرة. وقد شاع هذا الحل فترة من الزمن. ولكن الدراسات والاكتشافات الأخرى فى الهد فضحت ضعف الأسس التى أقيمت عليها هذه النظرية المثقة السهلة. إذا، عرف أصحاب مقبرة «ه» بأنهم من الآريين فكان علينا أن نتوقع وجود محتويات هذه المقبرة فى أماكن أخرى فى النجاف وفى الوديان الأخرى المقدسة لدى الآريين. ولكن تلك المحتويات لم توجد فى أى مكان من هذه المناطق.

لقد أثمر عمل الدهاب من المعلوم إلى المجهول فى الصناعة وأتى الضياء مؤخرا من ناحية أخرى. فإن الحزف الأسود وشديد اللعان الذى عرفه العلماء باسم الآبة السوداء اللامعة الشمالية وجد فى تاكسيلا ويعود إلى سنة ٥٠٠ - ٣٠٠ ق. م. وقد دلت التقيبات الأخيرة فى السحاب وغرنى اتر رديش وفى هسناپور على وجود آبة رمادية اللون طليت برسوم سوداء مميرة تحت الآنية السوداء اللامعة الشمالية. والأكثر من ذلك أن الآبة وجدت فى الاقليم الذى وصف بأنه مقر الآريين القدماء. وهكذا أيد هذا الدليل أن شخصية صانعى الآبة الرمادية متصلة بالآريين.

ومع أن كشف الآبة الرمادية قلنا خطوة أخرى، بقى علينا أن نجد موقعا يمكن أن نقرن به الآبة مع آثار حضارة هارابا لسد الثغرة. ووصف هذا بأنه حلم قبل بضع سنوات، ولهذا استعيض عن ذلك بوسائل أخرى لسد الثغرة. ولكن الاكتشافات الأخيرة فى «روپار» على شاطئ نهر «ستلج» على بعد ستين ميلا إلى الشمال من بلدة «امبالا» أظهرت سابقا كاملا متقطعا أحيانا من عهد

هارابا حتى العصور الوسطى. وهنا كشف المتقنون على الرمال النهرية مستعمرة ازدهرت في عهد هارابا تحتوي على معدات كأوان فخارية والمسابح، والأسلحة، وأمواس الصوان، والأواني النحاسية. ووجد أيضا ختما منقوشا بثلاثة رموز مألوفة لنا من الكتابة الموجودة في موهنجودارو وهارابا. وفوق هذه المنطقة من المعدات وجدت الأواني الحرفية الرمادية، ثم تحتها الأواني السوداء اللامعة الشمالية.

وتعود الآنية الرمادية على وجه التقريب إلى سنة ١٠٠٠ - ٦٠٠ ق. م. وواضح أن في روبراقرة بين احتفاء آثار الهرايين ووصول السكان صانعي الآنية الرمادية. وتركت مدة هذه الفترة للتحمين. إذا كانت الآنية الرمادية من الصناعة المميزة للآريين القدماء، فالمشكلة هي ما إذا كان هالك أساس لتحمين زمرها اعد من الذي نخمه الآن. وبعد أربعة قرون أو خمسة أخرى في الهابة السفلى ستوضع الآنية الرمادية في صف واحد مع الاثبات الأدنى عن وصول الآريين. الفترة المحددة للآنية الرمادية في الحالة الموحدة هي بالطبع متباينة، لأنه لم يكشف تاريخ محدد حتى الآن من هذه المواد. وستكون اختبارات الاشعاع الكروني ذات عون في هذا السيل.

ففي بنجاب على الأقل لا يبدو أن الهرايين وصانعي الآنية الرمادية كانوا على اتصال بعضهم. وربما كان الهرايون - لأسباب لا تزال خافية علينا - قد بدأوا بالانتقال من البنجاب متجهين صوب الشرق والجنوب أو كليهما قبل مجي صانعي الآنية الرمادية.

ونتقل إلى الفترة التاريخية فنرى أن أكبر عقبة في إعادة بناء تاريخ الهند الشمالية، هي قلة المعرفة عن بعض المهور الأولى. وسأدرس هنا واحدا منها فقط وأقصده به عهد كوشانا. وعلى تحديد نقطة بدايته يتوقف حل عدة مشاكل في

تاريخ شمال الهند وكذلك فيها، وبخاصة تطور الفن في جندارا وماثورا، وكانت مسألة بدء تاريخ العهد موضع البحث لأكثر من ثمانين سنة، منذ بدأ به كنتنجام وادوارد توماس في القرن الماضي ولكن دون أن يتوفر حل حتى اليوم. وتراوح التواريخ المقترحة من القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الثالث بعد الميلاد. وآخر الأبحاث في هذا الموضوع تلك التي قام بها «ستن كوناو» و«حرشمان ومدام فان لويزن» دوليو والدكتور ساهو والدكتور سن كندا. وحدد حرشمان على ضوء إكتشافاته في أفغانستان نقطة البداية عام ١٤٤ ميلادية وحددها كوناو في الربع الثاني من القرن ذاته. ويرى آخرون أن ما يسمى بعهد كانشكا كما ورد في كتابات كوشانا على نمط البراهمي ليس سوى استمرار لعهد ساكا القديم، وبدأه كانشكا حوالي عام ٧٨ ميلادية. ولكن الصعوبة الشائنة حتى الآن هي أن سجلات البراهميين عن ملوك كوشانا تقف عند سنة ٩٨ في عهد فاسوديبا. ومع أنه أصبح مقبولا الآن أن ملوكا حكموا من سلالة أنت بعد فاسوديبا، إلا أنه لم توجد حتى اليوم سجلات القرن الثاني عن هذا العهد مؤرخة. واقترحت مدام دوليو كل ذلك أن المئات حذفت في ماثورا وما حولها في عهد كانشكا في القرن الثاني. وصرت عدة أمثلة في كتابها «الفترة السيئة»، تعتقد بها تما للعادة الهندية القديمة أن التواريخ من ٥ إلى ٥٧ التي وحدث في عدة سجلات من إقليم ماترا تمثل حقيقة السوات ١٠٥ إلى ١٥٧. وقد وافقها أيضا «ساهو».

إن اهتمامنا يتجه بصفة خاصة إلى كتابتين: الأولى في سنة ٨٦ والثانية في سنة ١٥، ذكر في أحدهما شخصا باسم «آريا فاسولا». وقيل إنه لا يمكن إحتلال الشخص نفسه مكانة هامة في طائفة «حين» لمدة ٧١ سنة. وآراء ذلك وشواذ الخط الملحوظة في الكتابتين تثير مدام دوليو، السنة ١٥ على أنها حقيقة ١١٥ في عهد كانشكا. وبهذا تضيق الشقة بين الكتابتين إلى ٢٩ سنة فقط. ولكن الاجتهاد كله يبدو أنه

يقوم على أساس سوء فهم الكلمات الحقيقية، وهي «فاسوليا نرفارتنام» و«فاسوليا ثقاتن» المستعملة في الكتابتين. وقد ترجم بولر هذه الكلمات في الأصل على أنها «بناء على طلب فاسولا» التي درج عليها الكتاب المتعاقبون، بينما الترجمة الصحيحة هي «لتحرير فاسولا». وليس من داع أن يعنى ذلك أنها كانت حية عند ما حفرت كلا الكتابتين. وحلى أنها كانت شخصية مهمة وربما كان أقاربها وأتباعها هم الذين قدموا التماثيل كما تروى الكتابتين حتى بعد أن فارقت الحياة. والأكثر من ذلك أن كتابة سجل العام ٨٦ تدل على أشكال مؤخرة ما بعد عام ١٥. ويجب ألا ننسى أن كتابة ماثورا القديمة تمثل عددا من النواحي المحيرة. فمحدد أشكالها سابقة وحدثت في كتابات كثيرة فيما بعد. ونستشهد بواحدة فقط هي كتابة ماثورا في عهد چندرگپتا الثاني سنة ٦١، وهي تظهر أشكال كوشانا الثالثة. وهناك أيضا أسباب أخرى للاعتقاد أنه لا يصح القول أن القرون حذفت في كتابات كوشانا أو ما حوله. وفي ماثورا نفسه بمجد كتابة أخرى التي تعود إلى سنة ٢٩٩. ونوع هذه الكتابة بالتأكيد هو كوشانا، وحتى لو قبلنا القراءة على أنها ١٩٩ كما تقترح مدام دو ليو سبب الحركة على الحجاب الأيمن من الرمز لكونها عرضية، فإن الحل لا يبدو سهلا. ولتذليل الصعوبة اقترحت مدام دوليو أن العهد المقصود هنا هو نفسه الذي كان في الجزء الشمالي الغربي. ولكن سبب هذا ليس واضحاً تماماً فهذه كتابة «جينية» بينما الكتابات التي في الجزء الشمالي الغربي هي قطعاً بوذية. لقد كانت ماثورا معقلاً لمذهب الجينية، ولا يفهم مثلاً لماذا يكون العصر في الجزء الشمالي الغربي هو نفسه الذي في «ماثورا» فقط في مثال بمفرده. وسواء قرئ العام ٢٩٩ أو ١٩٩ فإنه يدل على أن القرون لم تحذف حتى في إقليم «ماثورا».

ومرة أخرى فإن لو كالكالا التي وضعها السيروني والتي استعملها الدكتور ساهما مرجحاً يبدو أنها تشير فقط إلى لوكيكا أو عصر سبتارشى الذي ساد في كشمير والمناطق المجاورة والتي تحذف القرون فيها. وفضلاً عن ذلك ففي القرن الحادى

عشر حين أتى البيروني إلى الهند، فإن تقليد إسقاط القرون هذا، إذا كانت المادة المتبعة قديما في حالة عصور أخرى، والتي ليس لدينا برهان عليها، لا بد وأنها كانت غير متبعة على الأقل في الكتابات. وهناك أيضا دليل آخر ضدها، فقد وجدنا عددا من الحكام في كوسامبي لهم تاريخ معروف. وهم مہراجا جوتامی بوترا سيفاماها (تاريخه مفقود)، ومہراجا بدراماها (في سى ٨١ و ٨٣ و ٨٦ و ٨٧)، ومہراجا فيسرافانا (سنة ١٠٧) ومہراجا بهمافارمن (١٣٠ و ١٣٩). وقبل نضع سوات اكتشفت في بندوجار في ولاية ريواسا حوالى ٢٠ مخطوطا راهميا تحتوي على أسماء الحكام وتواريخهم: مہراجا فاسيتيوتا بهماسيا (سنة ٥١)، وانه المہراجا كوتشيوتا نوتاسرى (سنة ٨٦ و ٨٧)، وابنه مہراجا كوسيكتوتا بداديفا (سنة ٩٠). وقبل هذا الاكتشاف كان اسم مہراجا بهماسيا فقط معروفا من كتابة سنة ٥٢ التي وجدناها كسجهم في تلة جينجا وهي أيضا في أمارة ريواسا، ولكن على بعد ١٠٠ ميل تقريبا من بندوجار. ومن بين هذه الكتابات يوجد سجل لراجان فيسرافانا ابن مہاسيناباتي بدرابالا. وعلى مخطوط مجزء كتب اسم سيفاماها، ولكن فقدت لسوء الخط التفاصيل الأخرى والتاريخ، ولا يمكننا التيقن إذا كان متجاسا مع حاكم كوسامبي. فيسرافانا، كما يظهر باسمه راجان واسم والده لا بد وأن يكون غير حاكم كوسامبي الذي كان له نفس الاسم.

ولا يوجد أى دليل في هذه السجلات عن صلتها بحكام كوسامبي، ولكن التواريخ تدل على أن نوتاسرى على الأقل، وربما أيضا ابنه بداديفا، كانا معاصرين لسدراماها. ويعتبر ميراثى أن بهماسيا حسب الكتابة في تل جينجا ينتمى إلى سلالة ماجها، ويقرن كذلك بدرابالا مع بدراماها، وفيسرافانا من بندوجار مع حاكم ماجها سنة ١٠٧. ولكن هذه الدلائل كلها غير صحيحة. واعتقد أن بدرابالا وفيسرافانا كانا الحاكين السابقين لهذه الأسرة تدل عليها ألقابها مہاسيناباتي للأول

وراجان الثاني.

وربما كان بدرا بالا هو مؤسس الأسرة، ولدينا عدد كاف من الأمثلة للدلالة على أن لقب مهاسينا باتي في القرون الأولى قبل عهد المسيح وبعده لا داعي لأن يكون عسكريا بل كان من ألقاب النبلاء. وقد حمل كافة الحكام بعد فيسرافانا لقب مهراجا مثل حكام كوسامبي. وأظهر التنقيب في بهيتا اختتام سيفاماجها وبهيتا سيبا. وليس هناك شك في وجود بعض الصلة بين الاسرتين. ويتضح أنهم حكموا منطقة واسعة، ولعلمهم كانوا تابعين لحكام كوسامبي لأن نقودهم لم توجد في مكان ما حتى الآن. وليس من ريب كذلك أن العهد المستعمل في الكتابتين هو واحد. وربما تكون النقود التي وجدت في بهيتا وسدت إلى راشناسرى احتشادا خاطئا عن بسفا سرى وربما لا يكون لها صلة بوئاسيرى الواردة في كتابات بدو حار.

والرسم في هذه الكتابات هي أقدم من تلك التي وجدت في سجلات گيتا، ولهذا يرى بعض المؤرخين أنها يجب أن تقرر بعد كلاتشورى سنة ٢٤٨ ميلادية. ويختلف في هذا الرأي ميراشى فيقول، كإحدى الحكام الثلاثة على الأقل الذين نظم تاريخهم معاصرين لأباطرة گيتا، وهم چندرا گيتا الأول وسمودرا گيتا وچندرا گيتا الثاني وطالما أنهم حكموا في كوسامبي فلا بد أنهم اعترفوا بسيادة أباطرة گيتا. ولكن لا تذكر أى من هذه الكتابات عن سيادة ملك ما من ملوك گيتا. وفوق هذا وجدت نقود الحكام الأربعة المذكورين وأيضا نقود الحاكمين الآخرين من نفس السلالة، وهما فيجاياما جا وساتاما جا اللذين لم تكتشف كتاباتهما حتى الآن وهذا يدل على مكانتهما المستقلة ولذا لا يمكن نسب تاريخهما إلى عهد گيتا أو عهد كلاتشورى، وإنما لعصر ساكا سنة ٧٨ ميلادية.

ولكن ربما يشير المرء إلى أن أسس اعتراض ميراشى على تاريخها في عصر كلاتشورى ينطبق في الوقت ذاته على عصر كوشانا الذي يبدأ سنة ٧٨ ميلادية،

إذ أن بعض السنوات من عهد حكام ماجا تقع أبان حكم بعض ملوك كوشانا وعلى الأخص في عهد هوفيشكا وفاسوديفا اللذين وجدت نقودهما في كوسامبي ولم يرد في الكتابات ما يدل على أن حكام ماجا كانوا بأى نوع تابعين للملك كوشانا.

أما فيما يختص بالتقييد في هيتا فيقول مارشال أن الآثار التي عثر عليها مع أختام سيفاماجا وعيره كانت فوق مستوى مايورا، ولذا لا بد أنها تعود إلى عصر كوشانا. وتغطي أعمال التقييد التي قامت بها مؤجرا جامعة إله آباد أقطع دليل. ويقول شري شارما الذي تولى عمليات التقييد منذ بدايتها إن الاكتشافات أظهرت تسع فترات متفرعة من الفجار للسكان في كوسامبي. ولم يظهر أثر لمخلفات كوشانا أو أختامها حتى الفترة الخامسة. وفي هذه الفترة ظهرت نقود كوشانا وأختامها لأول مرة. ويبدو أن حكام ميترا عاشوا في هذه الحقبة. وآخر نقودهم هي باسم راجا ميترا وحيثا ميترا. ويترأى أن حكام كوشانا احتلوا كوسامبي في النصف الأخير من الفترة الخامسة، وأول دليل هو ختم كانيشكا الذي يروى أسطورة مہراجا راجانيراجا ديهاوترا كانيشكاسيا رايوح.

وأمكن العثور على نقود كانيشكا وهوفيشكا وفاسوديفا في الفترة السادسة وإلى أخرجت أيضا نقود يما وماجا. بينما وجدت في الفترة السابعة نقود ماجا فقط. وفي الفترة الثامنة نقود بسفاسرى. وكانت القبة مهجورة قل جانيدرا جانانبتاجا الذي قهر سامودراحتوتا في الربع الثاني من القرن الرابع الميلادي. ولا يسعنا، والحالة تلك، تعيين تاريخ الملوك المستقلين جميعا أى حكام بسفاسرى وماجا ونيا وكوشانا ضمن هذه الفترة إلا بالافتراض أن عهد كانيشكا بدأ حوالي عام ٧٨ ميلادية.

ويرى بما تقدم أن نقود الملوك الثلاثة - كانيشكا وهوفيشكا وفاسوديفا - وجدت في كوسامبي. ونجد أيضا نقودا أخرى لا تنسب إلى كوشانا، وجدت

فقط في الفترة السادسة مع نقود كوشانا. وهذا سوف يدلنا على الاستنتاج الطبيعي أن حكام ماجا حكموا كوسامبي بعد فاسوديفا فقط. ولهذا يتراى لأول وهلة أن تاريخ حكام ماجا لا بد ويعود إلى عصر آخر يكون بعد حكام كوشانا وقبل ملوك گيتا. والعهد الوحيد الذى ياسبها هو عهد كلاتشورى سنة ٢٤٨ ميلادية. ويقدم هذه النظرية سداركر وحوش على أساس إعتبار الكتابة القديمة. وهضلا عن هذا تفرق المناطق التي وحدث فيها الكتابات بحكام كلاتشورى أو اها ملاصقة لأراضى الكلاتشوريين. وحدث أقدم سجل للكلاتشوريين في تريورى في قلعة بندوجار. وهذه كتابات صغيرة تشير إلى تقديس تماثيل السمكة والسلمحة والخير، وتمثل تحسد حولاً كال الشهير باسم جودا في صورة الاله وشو وكان حولاً كال ابن ناو ووزير يوهراج ديها الشهير.

والواجب قرن هذا الحاكم يوهراج الأول على ضوء الكتابة الأثرية. وهذه الطرة تدو معقولة لأول وهلة ولكن إذا قلناها فسيكون هالك ثرة كبيرة بحوالى ١٥٠ سنة بين كوشانا فاسوديفا — على افراض أن عصر كانشكا بدأ سنة ٧٨ ميلادية — ودراماها الذى تعود أقدم كتاباته إلى عام ٨١. وحق لو قبلنا وجود ملك أو ملكين قل دراماها، لا تزال تطل الشقة واسعة. ولا تساعد الاكتشافات في كوسامبي على سد هذه الثرة. وللسبب عنه ليس في الامكان دفع تاريخ عصر كوشانا إلى الوراء بكثير لأن الشقة في هذه الحالة بين حكام ميترا وكوشانا سوف تتسع دون مرور. وعدا ذلك، كما أشرنا من قبل، سوف يتحد عهد حكومة ماجا مع عهد حكومة گيتا، ولا يمكن تصور وجود أسرة ملوك مستقلة داخل أراضى گيتا. واكتشاف ختم كانشكا وكتاباته في كوسامبي سوف يظهر بالتأكيد أن كوسامبي كان تحت حكم كوشانا في عهد كانشكا.

ولكن هنالك حقيقة بارزة، هي أن كتابة فاسوديفا لم توجد خارج منطقة

• ماثورا، ولذلك لن يكون من غير المعقول الافتراض بأنه فقد سيطرته على كوسامى عندما استولى حكام ماحا على الحكم. واكتشاف نقود ماسوديفا لا يدل بالبروم على أن كوسامى كانت تحت حكمه. وأكثر ما يدل عليه هو أن نقود كوشانا كانت رائعة ولو أن حكمهم كان قد انطى. وتوجد هالك أمثال أخرى من هذه الحاجة وإذا قبلت هذه الطريقة حدد تاريخ كتابات ماحا في عهد ساكا عام ٧٨ ميلادية، فلا يكون هالك دخول عهد حكومة كوشانا على عهد حكومة ماجا وأيضاً لا تبقى هالك شقة بينهما. ويمكن تدليل الصعوبة التي نحتها في كتابات ماحا القديمة. ومع أن الكتابة في سجلات ماحا تدو للوهلة الأولى أنها في فترة تالية، فقد أظهر ميراشى أن كافة الأشكال التي وجدت بها ربما تعود إلى كتابات كوشانا أيضاً وطالما أن السجلات تحتفظ بالقرون فهي بالصدفة تدل على أن التقليد لا يمكن أن يكون محتلفاً عنه في ماثورا. ولا يمكن أن تصور حذف القرون فقط من قبل حكام كوشانا دون الآخرين في دات الهند في منطقة مجاورة. ويحذر في على أى حال الإشارة إلى اختلاف طفيف وحد في تحديد تاريخ كتابات كوشانا وماحا الذي يتراى أنه عاب عن ذهن الدكتور ساها. في الوقت الذي ذكر التاريخ في كتابات كوشانا بالسين والموسم ويوم الشهر، استخدم ماحا النظام ذاته في التواريخ كما وحد في جميع الكتابات السابقة - مثل كتابات سانا هانا وغيرهم. باستعمال السنة والموسم ويوم الشهر بل يوم الأسوعين من الشهر. والمثال الوحيد الذي استعمل فيه نظام كوشانا في التواريخ خارج سجلات كوشانا هو كتابة «بودا - غيا» باسم مهراسا تربكلامالا الذي يعود إلى سنة ٦٤ في عهد لم يحدد. ولا يعرف شيء عن هذا الحاكم. ويصعب أن نقول بما لدينا من المعلومات كيف استعمل هذا الحاكم نظام كوشانا في التواريخ.

وأقل القارئ هنا إلى مشاكل أخرى نواجهها في تاريخ الهند القديم. فهالك مشاكل عديدة تصل بتاريخ الأجزاء الشمالية والشرقية والغربية من الهند لا أجد المجال لبحثها الآن. وأذكر أن رأي المؤرخين ليس اجماعيا حول چندرگپتا بأنه أمضى أيامه الأخيرة في سرفانا بلحولا المكان الذي فرض أنه هاجر إليه مع استاذة نادراباهو وصحة أتباعه الآخرين. ولا يزال تاريخ امراطورية موريا بعد حكم اشوكا غامضا. وقد عرف القليل عن تاريخ كاليجا بعد احتلال موريا. ولا بد أن مملكة كاليجا أعلنت استقلالها بعد اشوكا قليل. ولكن ليس لدينا حتى الآن معلومات عن تاريخها المتصل باستثناء القليل الذي عرفناه عن كارابلا.

ونأتي الآن إلى ستافانا (Sātavāhanas) ومسألة موطنهم الأصلي، وكذلك تاريخ تأسيس سلطاهم اللذين يحتاجان إلى إيضاح. فيما يرى بعض المؤرخين أنهم أتوا من غرب الهند يشركهم آخرون بمناطق التلجو (Telugu) وأيضا يعتقد غيرهم أن «بيرار» كانت موطنهم الأصلي. وهالك أيضا خلاف ملحوظ في الرأي فيما يتصل بمشكلة ستافانا وتسلسلهم وصلتهم بالحل الذي أورده «بورانا».

أما فيما يخص جنوب الهند، فإن المشكلة الأساسية التي تتطلب إيضاحا، هي أصل التاريخ الأولى لكافة السلالات المهمة كسلالة اللافا (Pallavas) والنسولا (Cholas) والبديا (Pandyas) والتشلوكتيا (Chalukyas) وراشتراكوتا (Rashtrakutas) وحقا (Gangas). حتى اليوم ليس لدينا سوى قصص الأساطير عن أصل هذه السلالات. وتميز سلالة «كلابرا» (Kalabras) التي احتلت جنوب الهند ردها من الرمن ليس ثابتا أيضا.

وليس هناك رابطة سلالة أكيدة حتى الآن بين اللافا من اللوانج السنسكريتية والبراكريتية والسجلات الحجرية. واكتشاف كتابة أولتشالا في عهد «تشلوكتيا» فيجاياديتيا، يضطرنا إلى إعادة النظر في تاريخ تسلسل ملوك بلافا من باراميسفارا فارن

الثاني حتى انهيار السلالة نهائيا على يد التشولا. واكتشاف لوحات كاراندای أيضا عن راحدرا تشولا تظهر حقائق جديدة معينة ويخلق مشاكل جديدة في تاريخ بلالا. وتقصد به رمس انهيار سلالة بلالا نهائيا على أيدي ملوك التشولا، مع أن الرأي السائد هو أن قيام أديتيا الأول يضم أراضي بلالا حدث قبل عام ٨٩٠ ميلادية. أضف إلى ذلك تعريف شخصية ملك بلالا الذي هزمه برانتاكا الأول لا بد من إثباته إذا كان قتال برانتاكا ضد بلالا مختلفا عن القتال الذي نشب بين والده وبين أماراجيتا.

وسبق كذلك مكان أماراجيتا في تاريخ سلالة بلالا وفترة حكمه غير ثابت حتى الآن. ولم تعرف حتى اليوم مكانة بلالا بعد محي. أديتيا الأول إلى العرش. ولا يزال العموض يلف تاريخ تشولا من اورايور قرب « تيروتشيرانالي » من القرن الرابع حتى القرن التاسع.

ومن أصعب أوجه تاريخ التشولا تلك الفترة منذ موت بارانتاكا حتى إعتلاء راجاراجا الأول وهناك أسئلة كثيرة يجب الرد عليها. متى مات بارانتاكا؟ وما هو بالضبط تاريخ أديتيا الثاني وكاريكلا الثاني؟ ومن هو بارتيفيسدرا فارمن؟ إن ألواح كاراندای عن راجندرا تشولا تعزو لراجاراجا الكبير الانتصار على رئيس بانا وضرب عنق بوجاديفا. ولقد استعبد بارانتاكا الأول جماعة بانا ولا يمكن إثبات الضرورة التي دعت راجاراجا إلى محاربة أهالي بانا مرة أخرى. وهذا تبرز ثانية مشكلة كولوتونجا الأول هي ماذا فعل بنفسه في الفترة ما بين موت والده واعتلائه العرش. ولا بد كذلك من تحري الأوضاع التي اعتلى فيها العرش. وما هو آخر زمن عاش فيه حلقه أدهيراجندرا؟ فلما متأكدين من الصلة السياسية بين كولوتونجا وصمه ويحاديثا أي عما إذا كانا على علاقة ودية أم لا. إن اقتصر عهد أدهيراجندرا هو مسألة لا تقبل ردا قاطعا. فلم يثبت نهائيا تعريف

شخصية راجندرا الثالث أو اعتلاؤه العرش أيضا.

ولم يثبت قطعا تسلسل تاريخ ملوك البانديا الذين عاشوا قبل عصر سنهام من القرن السابع حتى العاشر. ومعرفتنا عنهم مستسطة على الأغلب من بضع لوحات نحاسية ومن نقوش حجرية. ولم يتأكد أيضا تاريخ الحكام بين ١١٥٠ و ١٣٥٠ ميلادية. ونحدد أنفسنا أمام عدد من الأمراء من الأسرة التي تولت الحكم في الوقت ذاته في بواحي مختلفة من البلاد. فكيف اتصل واحد منهم بالآخر؟ هذا ما لا نعلمه. ويسود عدم اليقين أيضا فيما يخص سيطرة الحكام في كيرالا في هذه الفترة. إن رؤساء كوتكو بأسماء تشولا ومانديا، ومانديا من أنشانجي تعرض لنا مشاكل لها أهميتها ولكنها ليست أقل صعوبة. وهاك حاجة منذ أمد بعيد لمعرفة قصة متصلة للسلاسل الصغرى المختلفة كسلالة موتوريار وأديجيمان.

وإذ يتجه اهتمامنا إلى السلاسل التي كانت تقطع مناطق كاري نحدد أنفسنا أمام مهمة بحيرة في تنوع أصل تاريخ ملوك غربي الخنجا وتحديدده. فإن أصلهم طى الغموض. وقد حدد أصل ملوك اكشعاكو وبراها كشاريا ويداها وكافا من قبل مختلف المؤرخين بعد أن تعطلوا باستنتاجاتهم.

ولم يتفق الرأي على تعيين موطنهم الأصلي حتى الآن، فإن بعض الروايات تحددده في حنجا بيرورو قرب كوداما التي تضم آثارا تاريخية من عهد قديم جدا، منها كتابة براهمية تعود إلى حوالي القرن الرابع.

إن تسلسل تاريخ الجنجا هو أيضا مشكلة عويصة. ومع أن وجود حكام هذه الأسرة الأوائل معروف فقط من اللوائح النحاسية لم يعد موضع نزاع، فإن تسلسل تاريخهم ونظام تعاقبهم على الحكم لم يتأيد حتى اليوم. ولم تحدد كذلك فترة حكم أفيتا ودرافيتا.

ويذكر هـ امانى سندارى كاتا، المسوب إلى داندين أن دامودارا الجبد
الأكبر لداندين كان يقيم مع الملك درفيتا من سلالة الجنجا وأنه زار أيضا
قصور (تسالوكيا الشرقية) وشوفاردانا و (بلافا) «سمهاشيو». وهذا يجعل هؤلاء
الحكام الثلاثة معاصرين والحقائق المعروفة من الكتابات لا يمكن أن تطبق
بعضها بعض إلى الآن بالمعلومات التي تم الحصول عليها من هذا المصدر الأدبي.

وهالك بعض المسائل التي تتطلب إيضاحا في العلاقات بين الجنجا والكداما.
بيدما يعتقد بعض المؤرخين أن أم أميتا كانت شقيقة «كرشا فارم» الأول،
ويرى آخرون أنها كانت شقيقة كرشافارم الثاني

إن الكوارث في عهد سيفامارا الثاني وحروبه مع الراشتراكوتا يجب دراستها
بالتفصيل ويبدو أن أواخر سى حكم سيفامارا هي أيضا مطلبة. وتظهر الهبات
التي قدمها ماراسمها لآلور وماى أنه بدأ حكمه حوالى ٧٩٧ ميلادية. وربما عندما
كان والده سيفامارا في السجن ولكن ما الذى حدث له بعد ٨٠٢ عندما عين
راشتراكوتا كنيا حاكما على بلاد الجنجا من قبل أخيه جوفيدا الثالث ؟

ومحى هـ للة الثانية بحاجة إلى بحث آخر في وصول كاداما وتشالوكيا نادامى
إلى الحكم ولا بد من تقرير ما إذا كانت السلالة المتفرعة من ملوك كاداما
تحكم كافة البلاد، أم أن البلاد قسمت لأعراس إدارية ؟ ولم يتصح كذلك طبيعة
العلة التي كانت بين الأمير كرافارما وأنه مداتا وأعضاء الأسرة الآخرين.

وورد في كتابه ايهول أن ملوك تشالوكيا حاربوا أبابكا وحوفدا. ولم تعرف
هوية هذين الشخصين على وجه التأكيد. وذكرت لوحات التشلوكيا النحاسية فيما
بعد أن ملوك تشلوكيا في القرنين العاشر والحادى عشر هزموا أسرة راشتراكوتا قبل
إستيلائهم على السلطة. وإذا صح هذا الادعاء فمن يكون ملوك راشتراكوتا ؟

واين أزدهر حكمهم؟ وهذه مشاكل أخرى يحب حلها. والقليل أيضا يعرف عن موطى التشلوكيا الأصلي.

وإذا تناولنا تاريخ ملوك راشتراكوتا نجد أن هالك مشكلة أساسية عن موطهم الأصلي. وقد طهرت بطريات كثيرة مثل راتور، وتلحو، وماراتا، وكنارى مع أن المؤرخين يتفقون عامة على أن الأسرة كانت من أصل كنتادا.

وهناك مشاكل أخرى تتطلب إيضاحا في تاريخ راشتراكوتا. وبذكر بعضها (١) قصة حياة الأعضاء الأوائل، وأين حكموا، وعما إذا كان لهم أية علاقة مع ملوك تشلوكيا العربيين قبل عهد دانتى درحا (٢) مسألة هاية سلالة دانتى درحا ومشكلة اعتلاء كرشا الأول.

إن الأوصاع التي أدت إلى إعتلاء حوفيدا الرابع لا تزال غامضة. وكان حوفيدا الرابع هو الاس الأصغر للملك حوفيدا الثالث، وأموحافارشا الثانى هو الابن الأكبر. ولم يتضح سبب اختيار حوفيدا الرابع وارثا للعرش في حياة أخيه الأكبر. فيما يعتقد البعض أن أموحافارشا الثانى حكم فترة قصيرة، يرى آخرون أنه لم يحكم مطلقا. ويبدو أن حوفيدا أقصاه بسهولة واعتصب العرش. ولكن لوحات كامى وساحلى من عهد حوفيدا الرابع تحرم أنه لم يسيء معاملة أخيه الأكبر. وهذا على أى حال يدل على إمكانية انتشار بعض الشائعات حول سوء معاملته لأخيه الأكبر مما استدعى دحض هذه الاتهامات. ولم يعرف كذلك ما إذا كان جوفيدا قد أقصى شقيقه الأكبر بصورة غير مباشرة لأن وجوده حال دون وصوله إلى العرش. وهل حارب كرشا الثالث صد ملوك تشيدا حين كان وليا للعهد وإذا كان قد احتل كالانجارا وتشتراكوتا في أى وضع فعل ذلك؟

ولا بد من إزالة الغموض عن تاريخ يادافا ملوك ديها جيرى منذ ظهورهم

حتى فترة يلاما الخامس . والمعلومات المعروفة عن الموضوع زهيدة، إذ أنها مقتصرة على قصص حرافية، وصعها همدارى ووردت فى سجلات قليلة . ولا بد من تحديد بدء عهد سمانا لشكل مقع . وهاك تواريخ مختلفة عن السنة الأولى من حكمه ورد ذكرها فى الكتابات

ولا تزال قصة السلالات الصغرى الأولى كسلالة ماد راحا وسندا وسيافارا بحاجة إلى الدليل الكافى

ومن بين سلالات تليحو فى الفترة الأولى لا يزال أصل سلايكايانا وفسو كدين موضع الجدل فهل كان هاك مادافارمن الذى قام بتصحيات كثيرة؟ ومن الذى أسقط كحا فشفواردانا أو حاياسما آخر حكام فشوكددين؟ إن تاريخ ملوك تشالوكيا الشرقيين يخلق مشاكل عديدة لم تحل سياسية وتاريخية على السواء . والصعوبة التاريخية ليست نتيجة لآى نقص فى المادة إذ أن لوحات ملوك تشالوكيا الشرقيين ترودنا بقوائم طويلة عن تعاقبهم ومع أن فترة حكم كل ملك معروفة بالضبط، فلم يتيسر حتى الآن وضع سجل ثابت يروى تسلسل وقائهم التاريخية . فلم يعرف مثلاً بالدقة تاريخ احتلال التشلوكيين لفينحى وتأسيسهم حكومة تشلويا الشرقية التى يعتمد عليها تاريخهم بأكمله . وقد ظن «فليت» أن نقطة البداية فى تاريخ ملوك تشالوكيا الشرقيين كانت سنة ٦١٥ ميلادية . وهذا وضع بالنسبة الأولى من حكم كحا فشفواردانا مؤسس السلالة تاريخياً متسلسلاً . وبالتالى وحدت كتابات على لوحات نحاسية بددت الشك حول صحة التاريخ الأولى الذى أقام عليه نظريته . ونظرية بعض المؤرخين تعين ٦٣١ للنسبة الأولى . واعتقد آخرون أنها كانت ٦٢٤ . وقد اكتشفت مؤخراً لوحة نحاسية تدل الكتابة عليها أن ٦٢٤ ربما تكون السنة الأولى فى عهد فشفواردانا .

ومع أن الباحث يجد مشاكل معقدة فى جميع مراحل تاريخ ملوك تشالوكيا

الشرقيين، فهي أدق وأعم في المراحل الأولى منها في الأخيرة. فإن أحداث السنوات الأخيرة في حكم «أما» الثاني بعد عودته من كالينجا والفترة ما بين إعتلاء راجاراجا الأول وتوحيه، قد أثارت مختلف النظريات عن التسلسل التاريخي.

وإذا نظرنا إلى سلالة فيجايانجارا نجد أن هذه الفترة ليست كذلك خلوا من الصعاب بالنسبة للتأريخ. ولا يزال أصل سلالة فيجايانجارا الأولى غامضا. وقد كتب الشيء الكثير في هذا الصدد عن كهة سرينجيري مع أصل هذه السلالة. ويمكن العثور على الكتابات الأولى المتصلة بهذا في شمال ولاية ميسور وغربها، ولكن تفاصيل القتال الذي نشب بعد موت هاري هارا الثاني بين بوكا الثاني وفيروبكشا الثاني وديهارايا الأول ليست متوفرة. إن تاريخ موت «مليكارحونا» والثورة المردوحة التي حدثت أبان حكمه هي مواضيع تتطلب التحقيق. وعدا ذلك الأحداث المتصلة بالشقاق الداخلي، والحرب الثلاثية حول العرش في بداية حكم اشيونا تتطلب الإيضاح. وبكلمة أخرى لا بد من الحصول على تاريخ شامل للملك فيجانانجارا بعد سنة ١٥٦٥ ميلادية.

ويوجد مشاكل أخرى ذات طبيعة عامة بحاجة إلى حل. ولا تزال نقطة بداية عهد حنغا (الشرقي) موضع نزاع. إن تاريخ مؤسسى نظامي الفلسفة العظيمين، وهما سنكاراتشاريا ومادفاتشاريا لم يثبت بعد. والتاريخ التقليدي الذي نسب إلى مادفاتشاريا (أى ١١١٨ - ١١٩٧ ميلادية) لا يمكن أن ينطبق مع تواريخ أنواعة التي وردت في الكتابات. فإن كتابات سريكورمام سوف تدلنا على الاستنتاج بأن فترة مادفاتشاريا كانت من سنة ١٢٣٨ حتى ١٣١٧ ميلادية.

وهذه ليست سوى مشاكل قليلة يشار إليها كيفما اتفق ويستطيع العلماء والمؤرخون الهنود التركيز عليها جنيا للفائدة.

إن مناطق الحدود لشبه القارة هذه تعرض لنا مشاكل شيقة . فقد كانت لأجيال ملتحى عاصر وثقافات وتجارا وقنوات مختلفة ، وهذه تركت آثاراً لا تمحى فى تاريخها . وينطق هذا أيضا على البلدان التى كانت تربطها صلات ثقافية فى الماضى . هل يمكن إعادة بناء التاريخ الهندى حتى دون دراسة تاريخ الحدود الشمالية الغربية وبلدان مثل التبت ، وأفغانستان ، ونيبال ، وبورما ، وسيلان وبنية حوب شرق آسيا ، وآسيا الوسطى وحتى الصين ؟

وأورد مثالين لأظهر مدى أهمية الحدود لدراسة تاريخنا حتى فى فترة أخيرة نسبيا . الأول هو كثافة سكانية على الصحور من إقليم حلجيت ، وحصلت على صورة طبق الأصل قل عدة سوات من المعتمد السياسى البريطانى فى حلجيت عن طريق المرحوم السير اوريل استين . وقد كتبت بخط «سراد» الأصلى وترجع إلى اليوم الثالث عشر للنصف اللامع من شهر بوشا سنة ١٩٤٧ . وحلى أن التاريخ هو فى عهد لوكيكا الذى حذف فيه القرون ، ولكنها من ناحية الكتابات القديمة يجب أن توصع فى القرن السابع الميلادى ربما أقدم .

والسحل يخص «باتولا ديبا شاهى» المقلب باسم نانا سوريندراديتيا نالدين ويدون بناء مدينة على يد وريره «مكاراسمها» الذى أطلق عليه حلجيتا سراخا إضافة إلى الألقاب الهندية التى حملها . وسراخا هو لقب فارسى قديم تعنى «رئيسا» أو «حاكما عسكريا» ، وجلجيتا بالطلع هى حلجيت الاسم الذى يعتبر حتى الآن حديثا مع أنه مجهول الأصل . وإلى جانب هذا الحاكم عرف اثنان آخران من نفس السلالة من المخطوطات البوذية المكتوبة بالسسكريقية والتى اكتشفت فى معبد بجلجيت . وهما «سرديبا شاهى سوريندرا فكرامداتيا نالدين» و «باتولا ديبا شاهى لجراديتيا نالدين» . ولم تعرف تفاصيل عن هذين الحاكمين الايرانين اللذين اصبحا هندية ، واللذين كانت لهما صلة بملوك كوشانا . ومن المؤكد أنها

لم يمتا إلى عائلة حكام شاهي الهندوس في اودابندابورا أو اوهيند على اعتبار أن جلجيت كانت خارج سلطانها، ولكنها كانا يتسبان إلى حكام الشاهيين في بلاد دارادا. ولم يعرف شيء عن هؤلاء الحكام الشاهيين من قبل باستثناء اشارات وردت في راجاتاراجي في كلهانا. ولكن الأطراف هو أن باتولاديفا يدعى أن أصله من ياجاداتا، وهو النسب ذاته الذي كان يدعيه ناسكارافارم، حاكم براج حيوتيشا أو آسام، وهو معاصر لهارشا من «قوج». ولم يتأيد بالبرهان مع أنه يمكن الحدس لاطهار صلة ما بين هاتين الأسرتين إحداهما حكمت في أقصى الجنوب والآخرى في الجزء الشرق من الهند.

والكتابة الثانية أتت من مروهوخ التي كانت مرة عاصمة «اراكان» وهذه قرن اسمها بالاستعمار من الهند مدة طويلة. وقد ذهب إليها الهندوس والبوديون را وبحرا، مع أن تاريخ اراكان يقرن هذا الجزء غالبا بالبوديين. ويوجد على عمود مثلث على قاعدة مرتفعة قرب معد شتوخ في مروهونج كتابة سسكريتية طويلة بالخط الهندي الشرقى من القرن الثامن أو التاسع الميلادي. وهي لم تدرس حتى الآن دراسة وافية. ولم يظهر إلى اليوم سوى مذكرة قصيرة عن هذه الكتابة في تقرير دار الآثار وإشارة إليها في مؤلف جامعة دكا: «تاريخ بنغال». وقد بنى المعبد في القرن السادس عشر الملك مسون، ولكن الكتابة تعود إلى فترة أهد، ولا بد أنها أتت من «راخ»، على بعد عشرين ميلا في شرق مروهونج كما يظهر فيما يلي. وهذا السجل لسوء الحظ مشوه، والاسطر من ١٧ إلى ٢٩ تحتوي على أسماء ١٣ ملكا ينتمون إلى سلالة آيلا التي تنتهي بمجندرا وأشير كذلك إلى السنوات المهمة في كل حالة. وذكر أن ملوك السلالة وعددهم ١٦، حكموا حوالي ٢٣٠ سنة، ولكن الكتابة لم تذكر سوى ١٣ ملكا فقط، ومدة حكمهم كانت ٢١٢ عاما.

وكان أول حكام هذه السلالة دريشاندرا الذي قيل أنه أسس مدينة لم

يذكر اسمها. وتعرف أسماء أربعة من حكام هذه السلالة وهم برتيتشاندرا وديفاتشاندرا، ونيتشاندرا، وفيراتشاندرا من القود. ولكن الكتابة لا تلقى ضوءاً على أصلهم.

أما النقوش فذكر أسماء تسعة ملوك آخرين من سلالات مختلفة، ولم يذكر الأول باسمه وإنما بلقب ملك مدينة بارن السامية، وهو كما يتضح مشابه لاسم مدينة براخ الحديثة. أما الاسمين الآخرين فهما من أصل غير هندي، ولكن الأسماء اللاحقة هي هندية محضة وهي دارماسورا، وجراساكتي، ودارمافيحايا وابنه نارندرا فيحايا، ودرماتشندرا المقلب نارندراتشاندرا بن جراساكتي وابنه مہراجاديراجا أنانداتشاندرا وعرف دارماتشاندرا أيضاً من نقوده. وحصلت الكتابة اللاحقة لوصف عطمة أنانداتشاندرا وازدهار حكمه. فقد بي عدة معابد سمي أحدها باسمه وقدم لها هدايا مختلفة بما في ذلك تماثيل بودا وبوديستاهما من الذهب والفضة. ومع أنه هو نفسه كان بوديا فقد بي معابد للبراهميين أحدها في سوماترتا. واسمه أناندامادهافا، وآخر في يولاكا ويسمى آنانداسيفارا — الأول كما يتضح يرمر إلى عشو والثاني إلى شيفا. وقد فتح بيوتا لايوا الغرباء عانا، وأصلح القصور والطرق التي بناها حكام ساقون. وأرسل كذلك هدايا إلى أساتذة البوذية في بلاد الملك ميحا وذكر أن أنانداتشاندرا ولد في ديفانداحا من أسرة درماداحا التي تذكرنا بحكام نايكا في أوريسا الذين يروى أن مؤسس أسرهم ولد من بيضة دجاجة ولكن يقيم الملك ميحا تحالفا وديا معه شيد هو الآخر معابد وغيرها في مدينته المسماة تمرباتانا أو سرباتانا، وزوج ابنته الحيلة ديدا إلى أنانداتشاندرا. ولا يسعنا معرفة هذه المدينة كما لا نعلم شيئا عن أسرة شيفاندرا التي ولد فيها ميحا. ولا تساعدنا أسفار أراكان في الوقوف على شخصية هؤلاء الحكام. ومع ذلك نجد في بعض مخطوطات المهابهارتا ذكراً لشيفا وايندرا مع ملوك اندرا واندا واودرا على صلة مع تمارالبثاكا وآخرين

في بنغال السفلى. ويبدو أن «هول» على حق في الاعتقاد بأن التسمية الصحيحة هي أندرا. وربما يكون لدينا هنا دليل على ملوك شيفاندرا الذين لم يكونوا حقيقة سلالتين مختلفتين كما افترض «هول». وليس ثمة صلة مباشرة بين تماربانا وتمراليا، ولكن ألا يمكن أن يكون هؤلاء من أهالي أراكان وانحدروا في الأصل من بنغال السفلى وأسسوا مدينة بعد موطنهم الأصلي؟ إن هذا الاقليم الذي تكثر فيه الآثار القديمة لم يكتشف تماما، ولو أن الحرب الأخيرة لم تدمر تلك الآثار ربما توفر لدينا مادة غزيرة لباء التاريخ القديم للهد وأراكان.

والها الآن حقيقة لا نزاع فيها أن نقطة محور أقدم الحصارات على سطح الأرض، هو حوص شرق البحر الأبيض المتوسط والاقليم المحاذي له مباشرة إلى الشرق وكذلك الهند والصين. والقلائل يدركون حتى اليوم الدور الحيوي الذي تعلمه أبحاث علم الآثار تعزرها الفلسفة واللغات وعلم الأحاس لدراسة التاريخ وأهمية علم الآثار السدية للأورج لا يمكن المبالغة في التأكيد عليها. ولقد حان الوقت عند دراسة تاريخ الهد وثقافتها إلا نلتمد كلية بعد الآن على المادة الموجودة في الهند. وطبيعى أن دراسة المادة الموجودة في الهد دراسة عميقة وشاملة هي ضرورية ولكنها بنفسها لا تكفى. فان معرفة ما قبل التاريخ للبدان مجاورة شىء ضرورى لطالب ما قبل التاريخ. وكذلك فان معرفة التاريخ القديم في بلدان البحر الأبيض المتوسط ضرورى لطالب التاريخ الاصلى. وحتى لطلبة الفترة التاريخية ربما لا تكون دراسة منعزلة للمصادر الاصلية وحدها كافية لاييجاد حل لمشاكل كثيرة وعليها أن نجد مفتاح حلها خارج البلاد. فواجبا أن ندرس تاريخ البلدان المجاورة لنا والتي أثرت عليها الهد كما تركت هي أثرا في الهند. ويجب أن تكون لدينا معرفة عميقة عن هجرة عناصر الثقافات وانتقالها، وهذه دراسات جذابة مع أنها مليئة بالصعاب.

« مليبار »

(كيرله)

للأستاذ محي الدين الألواني

(مواطن الملاحين العرب الأولين في الهند)

تقع بلاد مليبار على ساحل بحر العرب في غرب جنوب الهند . وكانت لها علاقات تجارية وثقافية مع البلاد النائية قبل أن يهد إليها اليهود والصوماليون والعرب . ويقول بعض المؤرخين : « إن الكلدانيين حاولوا توثيق الروابط التجارية مع مليبار قبل ألفي عام للبلاد ، وتوحد وثائق تاريخية تدل على وصول تجار الروم إليها قبل القرن الرابع للبلاد . وكانت تحكم حوب الهند في ذلك الوقت ثلاث حكومات معروفة ، باتليا ، وجولا ، وجيرا . والكتب القديمة في التاميلية والدرأودية اللعتين السائدتين في حوب الهند في ذلك العصر تلقى صوفا على تلك الحكومات وسياستها وتقاليدها وطقوسها . واليونانيون والروميون الذين امتلكوا زمام التجارة العالمية في ذلك الوقت كانوا استوردوا البضائع التجارية من مليبار وتبادلوا السلع معها .

وتوجد إشارات وتلميحات عن مليبار وعن علاقاتها بالخارج وثقافتها الخاصة في الملاحم الهندية الكبيرة والأساطير القديمة ، مثل مهابهارت ، وراماياتنام ، واپورانم وبهاكونم وغيرها . ولكن المؤرخين المحققين لم يعتمدوا على هذه الأساطير والملاحم الهندية كما اعتمدوا على المستندات الخارجية في كتابة تاريخ مليبار وعلاقاتها الخارجية .

فلما أغار الجنود الحالون على الروم في عام ٣٩٠ قبل الميلاد، استولوا على أشياء ثمينة وبضائع قيمة، ومن ضمنها الفلفل، وكان يعتبر الفلفل والحديد من أهم البضائع المستوردة عند الروم.

ونجحت تجارتهم بحاجا باهرا بفضل التبادل التجارى مع البلاد الشرقية. وبذلك وازدهرت التجارة البحرية منذ ألف ومائة عام قبل الميلاد. ولم يقترب اليأس إلى أذهابهم سبب العوائق والعقبات التي اعترضت لارسال سفنهم التجارية إلى البلاد النائية مثل الهند والصين وغيرهما. وتقدموا في هذا الميدان مأمل وتعاوّل بالغين في المستقبل.

وفي عهد استيلاء الملك اغسطس على مصر وقع البحر الأحمر تحت إمرة البحرية الرومية. فبدأت هذه البحرية ترسل قواتها الاستطلاعية إلى شتى بقاع العالم. وفي أيام كلادىوس (أو قلاديوس) وصلت جماعة من بحارة الروم إلى سواحل مليبار قادمين توا من موانئ البحر الأحمر. فاكتشفوا لأول مرة أنه من الممكن الوصول إلى سواحل جنوب الهند بدون المرور بسواحل جزيرة العرب. وتبعه قدوم الروميين والمصريين إلى سواحل مليبار جماعات وفرداءى! وكان يستغرق السفر من مصر إلى مليبار شهرين وعشرة أيام كاملة.

وهكذا علموا التغيرات الحوية والتقلبات الموسمية جيداً. فتيسرت لهم السبل للوصول إلى هذه البقعة الغنية المليئة بأنواع من المحصولات النادرة والمعادن الثمينة. وساعدت رحلات تجار الروم المتواصلة إلى مليبار على توطد علاقاتها مع الخارج بسرعة فائقة.

وبنى الروميون سفينة كبيرة للتجارة مع بلاد مليبار، وسموها باسم «هيالوموسرى» تخليداً لذكرى بطل القوات البحرية الرومية «هياليوس». وهو الذى اكتشف لأول مرة الاجواء الموسمية في هذه الخطوط وعلما لهم. وبني معبد

كبير في عاصمة مليبار تذكراً للعاتح العظيم «يسر أغسطسين». ويعرف الروم في الآداب التأملية باسم «نور». فلما تجددت الاضطرابات واشتدت الاضطرابات في الروم نفسها اضمحلت التجارة التي كان يقوم بها الروم مع مليبار. وارتفعت أسهم التجار الاحاب الآخرين في مراكز التجارة بسواحل مليبار. وكان الروميون هم الذين يتولون زمام التجارة بمليبار إلى عام ٢٣٠ لليلاد. ومع سقوط مدينة الاسكدرية اهارت رعاتهم في التجارة العالمية. وبما هو حدير بالذكر أن الروميين كانوا همزة الوصل بين مليبار وبين العالم الخارجي في بادئ الامر.

وكان للفلفل الاسود أثر فعال في جذب التجار الأجانب إلى جوب الهند. ويحدثنا التاريخ بأن معارك دامية وقعت في ملح بحر العرب بين القوات المختلفة كانت في سبيل هذه العلاف العريضة. وسقط فيها مئات الانطال متحاربين للدتها. بل وكان السب للخي وراء جميع الحروب التي نشبت في الروم هو فلفل مليبار وحب السيطرة على أسواقه واستطاعت هذه الحبة الصغيرة أن تستعذب إليها أنظار العالم كله في إبان المصور الأولى لليلاد. وكانت حبة الفلفل تعتبر شيئاً عزيزاً عالياً في عهد الامبراطور هرقل والملوك الطارسة في الروم. وكان يستعمل بكثرة ملحوظة في الأفراح والأعياد. وكانوا يحتمطونه في المطابخ والمستشفيات والمصحات. ويعين في القصور الملكية حارس خاص لمخزن الفلفل بالنظر إلى مدرتها وأهميتها في الأعراض العلاجية.

وجاء ذكر الفلفل في كتب بقراط وفي رسائل الطب «لقلسين». وكان الفلفل يقدم هدية للعائمين في عهد قدماء الرومان. وله مكانة خاصة في كل المعاهدات والأحلاف التي كانت تعقد في تلك العهود. ولهذا كله غلا سعره وعلا قدره! وقيل إن الملك «حوغارت» قد أعطى كمية من الفلفل بمبلغ مائة ألف دينار إلى قائد القوات الرومية على سبيل الرشوة في حرب وقعت بين

«جوغارت»، وبين امبراطور الروم. وهذه الواقعة كانت في عام ١١٨ قبل الميلاد. وكان العلامة المشهور پلینی يستهزأ طمع الروم وجشعهم في شأن الفلفل في مقالاته التاريخيه ويقول: «إن الفلفل لا يحمل أية مزية حيث تجعله معدودا ضمن الحبوب الغذائية، ولا تحتوى على أية خصوصية تجعله من المحصولات الرئيسية ولكن له حراقة تساعد على فتح شهية الأكل الكادبة. وعلى كل أصبح الرومان الآن مستميتين في طعم الفلفل وحراقة ويضحون بكل رخيص وعال في سبيل الحصول عليه بقدر المستطاع».

وأدى كثير من المؤرخين الكبار دهشتهم البالغة عن تماس الممالك العظمى وتقاتلها في سبيل السيطرة على أسواق الفلفل ومراكزه وحازت مليبار كل شهرة وتقدير في آفاق الدنيا بفضل فلفلها وحديدتها وتوابلها العديدة. وفي الوقت نفسه كان توطد الروابط التجارية مع بلاد الصين وغيرها من الحزر الشرقية.

وأما مليبار فكانت تعرف بأسماء عديدة قل أن تشتهر بهذا الاسم بفضل مؤرخى العرب. وكان «پلینی» من أشهر المؤرخين الروميين الذين كتبوا عن مليبار وعاداتها وطائعتها الجغرافية ومراكزها التجارية والراعية بفحص دقيق وبحث عميق. ويليهِ المؤرخ المعروف دولامی. وجاء ذكر مدينة مسرى (كدنغلور) عاصمة مليبار التجارية والسياسية في ذاك الوقت بأكثر من عشرة أسماء مختلفة أو متقاربة. وفي الأساطير التاملية أسماء مسوبة إلى الأجانب الذين كان لهم ارتباط ما بتلك المدن أو القرى. وصرح پلینی بنفسه بأن مدينة مسرى كانت محط أنظار تحار الرومان.

وكذلك ذكر في التواريخ القديمة بلد باسم «آفر». ومعناه البلد الذى يستخرج منه الذهب. ولم ييت المؤرخون الجدد في موقع ذلك البلد القديم، ولكن قيل إن الذهب كان يستخرج من بلدة نلپور وما حوالها. ويدل على هذا التكهن

تراها المزوج بمواد الذهب. وكذلك كانت تصدر من غابات نلپور أخشاب من أشجار الساج المشهورة إلى الخارج. ولا تزال مركزاً رئيسياً لتجارة الحشب في ربوع جنوب الهند. ولعل مدينة بيبور التي تقع على مقربة من نلپور هي المراد به «آفر» التي أتى ذكرها في كتب التاريخ القديمة. ثم تغيرت وتقلبت حسب تطورات الرسم حتى أصبحت الآن «بيپور».

وكانت تعرف بنتلاي باسم هنرى. وكتب المؤرخ دولامى عن المراكز الصغيرة المجاورة لمدينة كدغلور عاصمة «جيرمان پرمال» مثل كروزا، وكوريارا، وسمى وغيرها. ولا يستطيع أن يحدد مواقع هذه المدن تحديداً قاطعاً في الوقت الحاضر، اللهم إلا التكهن بدلالات الحروف ومدلولات الوقائع إلى حد ما. والسيل الوحيد لحل هذه المشكلة العويصة هو الوقوف على حمارية البلاد وحالتها اللغوية في تلك العصور.

(اليهود في ملبار)

وقد ارتبط تاريخ ملبار (كيرله) ارتباطاً وثيقاً بثلاثة زعماء من رجال الدين يمثلون الأديان الثلاثة السماوية المشهورة. وهم:

- ١ - جوزف ربان الزعيم اليهودى.
- ٢ - القديس توماس المشر المسمى المعروف.
- ٣ - مالك س دينار الداعى الاسلامى الكبير.

وأصبح هؤلاء الزعماء الكبار جزءاً متما لتاريخ كيرله. فحينما نغير بكلمة «كيرله» فنشمل على ولاية ملبسار وإمارتى ترامكور وكوشين. وأما وصول هؤلاء الزعماء الدينين إلى ملبار فأحدث تغييراً شاملاً في عاداتها وتقاليدها وطقوسها ومراسمها المتبعة من عهود بالغة في القدم. واستطاع هؤلاء المبشرون ومن تبعهم ما لم يستطع إليه التجار والسواح الأجانب في تلك البقعة من تأثير وتغيير في

شقى مرافق الحياة. أما مليبار فوسعت صدرها لكل ما يرد إليها من ثقافات عديدة وعادات غريبة عنها، وأفسحت رحبها للوافدين إليها من كل فج عميق بصرف النظر عن الاختلافات الدينية واللغوية واللونية والجنسية. وجدت تلك الثقافات أرضاً خصبة في ربوعها لتسمى ولترعرع، وتفتحت زهورها وأثمرت ثمارها البانئة حتى أصبحت الآن مستقرة جذورها ومتشعبة فروعها.

ومن هنا أصبحت ككيرله (مليبار) مطهراً عاماً لأديان مختلفة، ومركزاً هاماً لثقافات متعددة، ومنظراً رائعاً لعادات وطقوس شتى. يقول بعض المؤرخين: إن اليهود بدؤا يهاجرون إلى سواحل مليبار، في عهد سليمان عليه السلام، بعد انهيار مدينة يورشلم. وأول بقعة وصل إليها اليهود في ربوع مليبار هي مدينة كدنگلور عاصمة مملكة چيرمان پرمال. ومع وجود اختلاف في الرأي بين المؤرخين حول تفاصيل قدوم اليهود وتوطنهم في مليبار اتفقوا على ما كان لهم نفوذ واسع في البلاد في شتى المرافق العامة والخاصة.

وعد المؤرخين التوسيين أن يهود مليبار هم من نسل اليهود المطرودين من تونس في القرن الخامس، بينما يقول المؤرخون الاسبان إسم من أولاد اليهود الذين أخذوا إلى بابل. وعلى كل كان اليهود يستوطنون في أنحاء مليبار قبل وقوع الغارات على يورشلم في عام ٧٠ للميلاد. وتحدث الشعراء اليهود مثل إبراهيم ن إسرائ، والشاعر هلوى عن قدوم اليهود إلى مليبار وتبشيرهم بالدين اليهودى هناك في أشعارهم وقصائدهم. وكان حوزف رمان من أعظم زعماء يهود كيرله. وجاء ذكره في الأغاني الشعبية اليهودية وفي أدعية اليهود الكثيرة. وكانت لهم مستعمرات خاصة في عدة أمكنة مثل چينمنظم وكدنگلور وكوتشين وشرى كئثارم.

وقد تسرب الوهن والضعف إلى كيان الأمة اليهودية في مليبار حينما بدأ الشقاق والنزاع فيما بينهم حول الوراثة، وتبعه تدفق البرتغاليين إلى مليبار وتوسع

نفوذهم في ميداني التجارة والسياسة. واهارت قوة اليهود في كيرله، ولكنهم لا يزالون يحافظون على تراثهم القديم الذي شيده حوزف ربان ويتمسكون بالبقية الباقية من آثار نفوذهم العار. وما هو حدير بالذكر أن يهود كيرله لم يقوموا بالتبشير الديني كما قام به المسيحيون والمسلمون. ولعله من الأسباب الرئيسية لفضالة عددهم في اللاد المليارية وتقلص نفوذهم في مرافق الحياة الشعبية. وهامم الآن بدؤا يساهرون إلى إسرائيل بعد أن لارموا أرض الهد مئات السنين!

﴿ المسيحية في مليار ﴾

يوافق جمهور المؤرخين على أن المسيحية قد تطرقت إلى سواحل جنوب الهد سيما ملاد كيرله، ترافكور، كوشين وولاية مليار في القرن الأول للميلاد. والذي حمل مشعل الدعوة المسيحية إلى مليار لأول مرة هو القديس توماس. وكان القديس توماس من حوارى السيد المسيح الاثنى عشر. وكان يعرف أيضا باسم توماس سليحا.

وصل القديس إلى أراضى مليار في عام ٥٢ بعد الميلاد، فواصل تشييره للدين المسيحي في طول اللاد وعرضها. وأول مدينة حل بها توماس هي مدينة كدفلور عاصمة جيرمان برمال. وأصبح «القديس» محل تكريم وتقدير من جانب الملك. واعتنقت عدة قبائل معروفة الدين المسيحي، ثم بنى القديس توماس كنائس وصوامع في مختلف الأنحاء في حوب مليار مثل كدفلور، وكولم وباليور، وهرور، وبلى برم، وكوتنظم، ونلاك و غيرها من المدن التي لا تزال مكتظة بالآمة المسيحية ومطهرأ لتراثها القديم.

وكان القديس توماس قد فوض إدارة شؤون هذه الكنائس إلى كل قبيلة مستقلة ليتخفف ضغط تصريف الأعمال القومية والدينية. وبعد أن فرغ من

مهمة التبشير في كيرله واستقرت الأمور لاتباعه في ربوعها، توجه القديس إلى بلاد تامل في مقاطعة مدراس بجنوب الهند.

وقيل إنه اغتيل بأيدي أعدائه الظالمين في بلدة ميلاپور. وتوحد مقبرة عظيمة في ميلاپور. واختلف المواطنون المحليون في أمر هذه المقبرة: جماعة تقول إنها مقبرة القديس توماس المبشر المسيحي المشهور، بينما تدعى طائفة أخرى بأنها مقبرة لداعية إسلامي معروف باسم تمام. وكلا الفريقين، المسلمين والمسيحيين، يحترم ويزور هذه المقبرة بدون تهريق ولا تمييز إلى وقتنا هذا.

ومع وصول القديس توماس إلى مليار توثقت الصلات بينها وبين الروم أكثر مما كانت في شتى المراق. وقيل إن ملك حزيرة وليارپاظم زار السيد المسيح عليه السلام في أيام حياته ولدا حصلت الدعوة المسيحية انتشاراً مرموقاً في تلك الجزيرة بسرعة فائقة. وكل من انتشار الدعوة المسيحية والاتصال بالروم منذ القدم ساعد مليار على التعارف تعاليم مختلفة والوقوف على ثقافات عديدة والاطلاع على شتى العلوم والفنون. وتأثرت الحياة القومية والعادات الوطنية بكثير من تلك الثقافات الوافدة إليها من بلاد نائية بحكم الصلات الموطدة فيما بينها على مر الدهور. وفي الوقت الحاضر تكون المسيحية في كيرله مجموعة قوية متكاتفه متماسكة تشترك في جميع مراق الحياة في البلاد، ومركزها الآن ولاية ترامكور.

(رسالة من الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملك مليار)

توجد وثائق تاريخية تدل على أن الاسلام قد وصل إلى مليار في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. ويؤكد المؤرخ الباحث الحديث مستر بالا كيريشنا پلاى بأن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قد بعث الرسائل يدعوا فيها إلى الاسلام،

إلى ملوك أفريقيا وإلى ملك مليبار. ويقول إن أول خطاب من الرسول العربي قد وصل إلى ملك مليبار في عام ستائة وثمانية وعشرين لليلاد. ويقال أن جبرمان برمال ملك كدغلور قد زار النبي عليه الصلاة والسلام. هذا في السابع والخمسين من عمره صلى الله عليه وسلم. وفي ذلك الزمن أيضا وصل مالك بن دينار وشرف بن مالك إلى بلاد مليبار، ورلا في مدينة كدغلور ثم جابا جميع أنحاء كيرله داعين إلى الاسلام ويايين المساهد والمعاهد الدينية في ربوعها، وبعد زمن قليل وصلت جماعة تشيرية إسلامية إلى ميلا كدغلور أيضا تحتوي على عشرة أشخاص مهمين: أسود، ودمرجان، هدا في سنة ٧٠١ م. (رحلة الملوك صفحة ٩).

وبى مالك بن دينار أحد عشر مسجدا في أنحاء كيرله. ودخل حم غدير من الأهلالي في دير الاسلام، سيما من طوائف المسوذين والطفقات السفلى بعد أن عاوا كثيرا آلام التعرقة المصرية وقاسوا عدة قرون أوعا من تكاليف اضطهاد الطبقات العليا، فوجدوا في القواميس الاسلامية مساواة تامة وعدالة اجتماعية كاملة. وكانت العلاقات المستمرة بين البلاد العربية ومليبار منذ أقدم العصور لمن البواعث الصالحة لانتشار الاسلام في أنحاء كيرله بسرعة فائقة، وترعرعه في البلاد بخطى ثابتة. واستطاع مالك ابن دينار أن يرى بعيني رأسه في أواخر حياته مراكز عديدة مكتظة بالمسلمين في أرجاء مليبار.

وفي ضمن الوثائق التاريخية المحفوظة في قصر العائلة المالكة المعروفة باسم أركل في مدينة كنور بشمال مليبار آثار تاريخية تشهد بأن دعوة الاسلام قد ابتدأت في بلاد مليبار في أيام حياة النبي صلى الله عليه وسلم. ويستطيع كل من يزور مدينة كنور أن يطلع على هذه الوثائق في قصر عبد الرحمن علي راجا. ومن المؤسف أن هذه الوثائق التاريخية والآثار القديمة القيمة لم تر النور بعد. ومن

البشرى والأمل أن هناك من يحاول الآن لاختراع ما يمكن إخراجه من هذه المجموعة التاريخية الثمينة إلى دنيا النور من غياهب الظلام لتكون هدى ووراء لعلماء البحث والتاريخ. كما أن السكرتير العام للجمعية علماء الهند قد صرح لى مرة بأنه اطلع على هذه الوثائق التاريخية المحفوظة فى قصر عبد الرحمن على راجا بكور خلال زيارته للمليبار، وأنه يريد أن يرب ويؤلف كتاباً عن مداية الدعوة الإسلامية فى مليبار، خلال أيام حياته عليه الصلاة والسلام استناداً على هذه الوثائق وغيرها من المخطوطات المحفوظة فى ايشانك سوسايتى ليريرى بكلكتة. ولحضرتة كتاب فى اللغة الأردوية باسم « مليبار مين إسلام » (الإسلام فى مليبار).

وبفضل هذه الثقافات الوافدة إليها استطاعت مليبار أن توسع آفاقها الثقافية والاجتماعية والدينية بحكم سعة صدرها وكرم وفادتها. فخرجت من حدودها الضيقة ودأرتا المحدودة إلى ميدان الثقافات العديدة والتقاليد المختلفة. وحازت مركزاً دولياً بالنسبة إلى الأديان والثقافات ولا تزال تحتفظ بهذا المركز الخطير إلى وقتنا هذا. ويميش فى كفها الآن كل الأديان الوافدة إليها وجميع الطوائف المتوطنة فى سلام ووثام تامين!

(النقود التاريخية فى مليبار)

النقود التاريخية لها قيمة عظمى، ومكانة كبرى فى البحث التاريخى والوصول إلى أنباء الماضى، وأخبار الأمم السالفة كما للتماثيل، والمنحوتات، والمخطوطات سواء بسواء. ونرى من خلالها أنباء الامبراطوريات المهارة وآثارها الثقافية. وتثير الطريق إلى اكتشاف بقايا الآثار القديمة والعتور على تراث الأمم الماضية والمعالم التاريخية للحوادث الكبرى التى غيرت مجرى التاريخ البشرى. وأول من بدأ بملك النقود واستعملها هم القدماء اليونانيون. وكان ملك بابل المعروف باسم

نابانييس يحتفظ في مكتنته نقود الملوك القدماء. وكان من هواة جمع النقود الأثرية فوق أن كان مؤرخاً كبيراً. وهو الذى اكتشف تاريخ اعتلاء الملك اليونانى المشهور «سارغون» على عرشه بعد أن كان مشار مناقشات عديدة واختلافات شديدة بين المؤرخين والساحين. وكان ذلك الاكتشاف بطريق النقود التاريخية التى كان يحفظها في مكتبة قصره. ويتمكن علماء الآثار أن يعثروا على نقود تاريخية بطريق الحفر والتنقيب في عواصم الأمم السالفة مثل أثينا، ومصر، وبابل، والهد وغيرها.

أما النقود التى عثر عليها في «مصر» في منتصف القرن الثامن عشر فأصبحت نقوشها وصورها وثائق تدل على كليات وأشكال حكومات قدماء المصريين. واستطاع المؤرخون الوقوف على محرمات العصور الوسطى للتاريخ البشرى والتطورات العالمية بفضل النقود الأثرية.

وأما النقود التى عثر عليها الباحثون في «يورشليم» فى التى ساعدت علماء الآثار على معرفة لهجات ولغات الميثيقين وكذلك العادات والطقوس المنتشرة في عهد استيلاء الآريين على اليونان. وكما أن النقود الأثرية التى وجدت في سفريات هارابا وموهنجو دارو، قد فتحت دورة جديدة في تاريخ الهد الحديثة. ومنها النقود التى تدل على ثقافات «سندوا» التى كانت لها أدوار هامة في خلق تاريخ الهند. وأصبحت هذه التحف التاريخية نبراسا للباحثين عن الثقافة الآرية ودورها في صفحات تاريخ العالم عامة وتاريخ الهند خاصة. والأستاذ «كيل هون» الذى بذل مجهودات جبارة في سبيل اكتشاف تاريخ الهند بطريق النقود التاريخية والمنحوتات الأثرية والصفائح النحاسية يقول: إن النقود القديمة لمرآة الماضى. ويحتوى شعارها وتاريخها وأرقامها على أبناء الماضى. وإنها لسان سال الأمم القديمة وحكوماتها الغابرة. وتحاطب هذه النقود لبناء المستقبل من

أجيال العهد البائد بلسان طلق لا غموض فيه ولا خفاء. وتحمل هذه النقود الصغيرة الأحجام في طياتها صوراً لتقاطات عظيمة وحكومات جارة وأمم قوية التي طوتها الأزمان في زواياها. وهذه النقود الأثرية لعمدة كبرى للعصر الحديث لأنها تعطينا فكرة عامة عن الحروب والسلم والنزاع والنضال في مختلف الأزمنة والامكنة بين الأمم والشعوب. ولا يجد الباحث العلمي شيئاً أقوى وأحسن من هذه النقود لتحقيق أمنيته والوصول إلى مأربه الخاص. ويجب أن يجد علم النقود مكائنه اللاتقة في علم التاريخ ولدى المؤرخين.

ويقول كرنل ثاڤ، العلامة في تاريخ النقود: «إن النقود العشرية المصنوعة من النحاس كانت منتشرة في الهند قبل عهد الامبراطور أشوكا». وقد عثر علماء الآثار على النقود التاريخية الحارية في عهدي أشوكا وچندرگتا. وكذلك عثروا على النقود المشهورة في جنوب الهند منذ القرن الثالث للميلاد. ونقشت عليها الحروف البرهمية. واستطاع المؤرخون بفضل هذه النقود أن يكتشفوا عدة أمور عن الثقافتين: الآرية والدرأودية اللتين لهما صفحات مليئة بالآحداث العظام والتطورات الهامة في تاريخ الهند القديمة. واكتشفوا أيضاً كيفيات الحكم وأنواع الحكومات القائمة في شتى أنحاء الهند خلال الفترات المأصية بين القرن الرابع قبل الميلاد والثالث بعده، هذا بواسطة حوالى ثلثمائة عملة تاريخية (Historical Coins) عثروا عليها في مختلف أنحاء الهند.

وبدأ الهنود البحث عن النقود الأثرية في منتصف القرن الثامن عشر الميلادى. وكان من ضمن الآثار التاريخية التى اكتشفت في عاصمة كيرله مسريس أى مدينة كدغلور قبل سبعة قرون عدد من النقود السائرة في أنحاء البلاد في العصور الغابرة. وأهدى ملك كدغلور نقوداً أثرية نقشت عليها الحروف الرومية إلى الأجناب الكبار على سبيل التكرم. وساعدت المؤرخين مساعدة كبيرة على

التكهن عن عهود الملوك الهنود تلك النقود الأثرية المكتشفة في راجهوتانا التي يبلغ عددها أكثر من ألفي قطعة ذهبية . وإنما عرفت العظمة المدفونة تحت التراب والهيئة المحمية تحت الأقاص بعد شش القور لعظماء الملوك وخص القلاع لجبايرة الحكام في سعال . وراجهوتانا ، وبائنا وغيرها من المدن التي كانت عواصم الأباطرة العظام . وتنه كثير من الحكام الانجليز إلى أهمية هذه النقود التاريخية وبدؤا يدرسوها بدقة وتعمق للوصول إلى ما أخفته الأيام من عروعطات وسير وحكم تير الطريق إلى ساء مستقل مؤطد الأركان ومدعم الأساس . وأدرك المؤرخون الكبار مثل كسهمام وميكولاى أن النقود الأثرية لهى مفتاح البحث التاريخى وراس علماء التاريخ !

واهمك آر دى . مارحى فى بحث النقود التاريخية . واكتشف عظمة الهد التي حكمها موهن حودارو وتيكسيلا . وقدم أمام العالم كله ثقافات الهد القديمة وحضاراتها المريقة وتقاليدها القيمة فى مختلف الميادين مستدلا بنقوش تلك النقود الأثرية ومستنبطاً تلك التوقعات والحروف المسجلة فى حباتها . وقال : « إن بلادا الهند بلاد الساسة المهرة والعلماء المفكرين . ولها حضارة تفوق حضارات جاراتها وشقيقاتها من اللدان والأم » .

وبذل القاسموى بالاشراف على الهيئة الأسيوية الملكية مجهودات جبارة فى الهوض قسم النقود الأثرية الهدية . وقام « تيوبولذ » بدراسة المعادن التي ضربت ها النقود ومراياها وحاصيتها فيما اهمك « ولسن اسمت » فى دراسة طبيعة نقوشها وحررفها . وقصى العالم الأثرى سپور عدة سوات فى وضع قائمة خاصة منظمة للنقود التاريخية التي عثر عليها فى وواحى راجهوتانا وتكشيللا . والشىء الذى أتعب جميع المؤرخين الباحثين هو تحديد التواريخ بدقة ووضوح . وأما العثور على بضعة نقود مؤرخة فالتى الور على عدة قرون فى تاريخ الهند بعد أن كانت فى غياب

الظلام . وقام دركا برشاد ورثى بمساعي جلييلة فى سبيل اكتشاف توارىخ ملوك
 يلوا وحكوماتهم وعاداتهم وطقوسهم من هوامش النقود الأثرية . ولها صفحات
 مجيدة فى هذا المضمار الخطير . ولا يزال العلماء الأثريون يحاولون ليكتشفوا
 مزيدا من المعلومات من تلك المجموعة القيمة من النقود التى عثرت عليها فى
 تيكشيللا ، ليفهموا تلك الحروف والنقوش التى عليها . ومن ضمن تلك المجموعة نقود
 على شكل مربع وعلى جانبها حروف رومية قديمة وعلى الآخر حروف اللغة
 الدراويدية السائدة فى جنوب الهند فى الزمن القديم . ومنها استنتج بعض المؤرخين
 بأنه كانت فى الهند حضارة مزدوجة وثقافة مخلوطة فى تلك الأيام ثم تطورت
 وتقلبت حسب تقلبات الزمن . وقال المؤرخون الكبار : كوديليان ، وأغسطين ،
 وپاتنى فى كتبهم : إن النقود الرسمية كانت شائعة فى الهند منذ عهد يهورويد
 (Yegurveda) . وقد حاول الحكام نقش صور ثلاثة وثلاثين من الآلهة التى
 جاء ذكرها فى رحوويد على صفحاتها . وكذلك جاء ذكر علم النقود ومها فى الملاحم
 الهندية القديمة مثل أرتهشاسترم ، ورويشدم ، وراحترمكى ، وأشادهاييم وغيرها
 من الملاحم الهندية المشهورة . ويتضح من الكتب العلمية بأن صرب النقود كان
 شائعا فى الهند منذ عهد مالهة فى القدم .

ويعرف فى اللغة البالية نوع من النقود باسم كاشى پيم . ويستعمل الباحثون
 الحدد النقود المعروفة باسم « پيج ماركس » فى محوهم التاريخية . ويهتم الأثريون
 فى جميع بقاع الأرض بهذا الصنف من النقود . وكان الملوك فى جنوب الهند
 يهتمون جداً بضرب النقود الحكومية فى عدة أشكال . واستعملوا الفضة والحاس
 لهذا الغرض بتوسع بالغ . وتحدث الدكتور ج . ن . سركار عن مساهمة نقود جنوب
 الهند فى فن النقود والبحث التاريخى حديثا مستوعبا فى محاضرات ألقاها فى دراسة
 النقود الهندية القديمة .

وأما النقود الحديدية فكانت تأتي إلى الأسواق العامة في المناسبات الخاصة في عهد ملوك «يلوا» خصوصاً بمناسبة الاعتلاء على العرش والتتويج لملك جديد. وكانت ل قبيلة شاحس وقبيلة هوس يد طولى في نشر النقود العديدة.

ومن أهم المراكز لصرب النقود، مدينتا مكدها وبثالى بئرا. وتسرت تطورات بسيطة إلى هيئات النقود وأشكالها بعد الفتح البوذي. وكذلك أدخل الامبراطور أشوكا عدة تعديلات في النقود لتسهيل التبادل الخارجي مع البلاد التي كانت تتاجر مع الهد.

وانتشرت الدباسير في جنوب الهد مد قدوم الفرس إليه والتجارة فيه، كما انتشرت النقود الرومية مع محي. التحار الروميين إليه. يختلف حتم الدولة على النقود باختلاف صور الحكم فيها وعقليات الحكام وتقاليدهم. ومعظم النقود في ذلك الزمن كان مبروحاً من عدة معادن. وكانت للورن قيمة تذكر أكثر من جمال الشكل وحسن المطر. وأصبح كل هذا وذاك معداً للدحول إلى خفايا تلك الدول وخباياها، كما أنه معيار قيم للوقوف على مدى حضاراتها، ومدياتها، وعصورها، وبيئاتها. وبوافق المؤرخ الأثرى الكبير بهناركر على رأى الدكتور سركار في هذه المسألة مواهقة كاملة

ويوجد نقش التاريخ في ناحية، وشعار الدولة في ناحية أخرى في جميع النقود الشائنة في عهد كيشك. وكانت لجان خاصة في عهد ملوك كيتا تقوم بمهمة ضرب النقود وتحديد أشكالها. وتحتوى تلك اللجان على أشخاص بارزين من الساسة والأدباء والصائين، لأنها أخطر اللجان في تقرير مصير اقتصاديات البلاد.

وكانت النقود التي شاعت في عصر فلكتامترن من المعادن التي لا تتكسر أبداً ولا يملوها البلى والتلف بطول الأمد وقدم الأزمان. وتوجد صور الثور

والاشجار في النقود المكتشفة في مقاطعة بنجاب وشمال الولايات الحدودية. ويظهر من النقود الاثرية أن أيام حكم چندر گبتا كانت أيام الغنى والرخاء في البلاد كلها. وصرب ستون نوعاً من النقود الذهبية في ذلك العهد في أشكال مختلفة ومقاييس متعددة. ونقشت في إحدى واهى تلك النقود علامات الثرى والهناء. وأشاع وشنوگپتا نقوداً تحمل صورة قريبته المحبوبة وإسمها. ودخلت تغيرات عديدة في النقود الهندية أيام حروب حكيكز حان. وصربت النقود بقطع من الحديد الخفيفة. ونقشت ماطر الأهار الجارية، وحرب الفرسان على النقود التي صربت في عهد فتح هوس مع أهاكات خيفة الأوزان.

﴿ النقود في عهد المسلمين في الهند ﴾

وفي عهد حكم المسلمين انتشرت في الهند نقود صربت على الأشكال المعروفة في بلاد الشرق الأوسط. ثم بدأت الهند نفسها تصرب نقودها على ذلك الطرار. وتقدمت الهند تقدماً ملحوظاً في هذا الميدان في عهد السلطنة رصية. وعثر الاثريون على عدة أنواع من النقود الرصية، ومن صمها نقود ذهبية خالصة. وكانوا يستعملون النقود في نشر دعوة التوحيد، وفي ناحية مهاكتت وصايا السلطنة. ووزع السلطان محمود غزنوى حوالى أربعة عشر نوعاً من النقود الرسمية، وكتبت في ناحية منها ألقاظ ما معاهها الله أحد، والدين لا يذكرون الله القوى المتين هم الخاسرون، — وأتبع الامبراطور همايون، والامبراطور شاهجهان النظم الفارسية في ضرب النقود وتحديد أشكالها واختيار كيميائتها. ونحت الامبراطور أكبر شعار مذهبه الجديد «دين إلهى، أى الدين الإلهى على نقود دولته. وكان الامبراطور جهانگیر يهدى نقوده التي تحمل توقيع الخاص إلى الأمراء وأعيان الممالك. وقام كل واحد من الحكام المغول بالنهوض بمصلحة النقود الحكومية، وأدخلوا تعديلات خاصة في هيئتها وطرارها. إن النقود التي ضربت في عهد المغول

لمن أغلى النقود قيمة، وأحسنها شكلاً، وأروعها منظراً في تاريخ النقود الهندية. واكتشفت عدة أنواع من النقود المغولية يبلغ تعدادها أكثر من ألف نوع.

ولمستر كننغهام يان رائع في كتابه (Account of Mugal India) عن ذلك العهد المغولى الذى له دور خطير في تعبير مجرى التاريخ الهندى فيقول: « ابتدأ العصر الذهبى في الهند بعد أشوكا في أيام حكام المغول. ورى قوة حيال المغول ومقدرتهم الفنية من خلال الأحجار الأثرية والمعادن المنقوشة والأبنية الصنية التى تهر العقول، وتفتح القلوب. وإذا استثنينا بعض الأخطاء الشخصية من بعض السلاطين المغول فجد أن عصرهم في الهند هو العصر الذهبى في تاريخها المجيد. وحكمهم لم يعدل الأحكام وأصمها وأحلدتها أثراً في صفحات التاريخ الهندى. وتدل شعائر نقودهم والقوش المحوتة فيها على مظاهر الحب الخالص والمودة الصادقة والاحلاص المتين. كما أن المجلس العلمى لامرطور أكبر، ومجلس الدولة لهما كبرى كان يهتم اهتماماً بالغاً في مسألة نقود الدولة ورسومها وأشكالها وأهدافها. وتحتل من صفحات هذه النقود موهبة المغول الصنية وشغفهم بالعلوم الجميلة وحمال الطبيعة. ويحتوا وصايا الحق والعدل والصدق في النقود باللغة الفارسية والسكترية، وأثنتوا شعار المحبة والمساواة في حياتها في هاتين اللغتين. ورى الآب قلوب السلاطين المغول الصافية، وصدورهم الواسعة، وعقولهم المتسورة من خلال هذه النقود الأثرية ».

أما النقود الأحية فلها انتشار واسع في بلاد مليار مند القدم، لأن العملة الأجنبية كانت تستعمل للتبادل التجارى بين مليار والبلاد الخارجية. فطُرقت النقود الرومية، والصينية، والتونسية، والفارسية إلى المراكز التجارية في كيرله مليار. ويتضح هذا جيداً من كتابات السواح الصينيين والمؤرخين البرتغاليين. ويحمل المؤرخ المشهور الايطالى بيثرو ديلاولى (١٦٢٧ - ١٦١٤) في مذكرات رحلته

بأن النقود الرومية، والعربية، والصينية كانت شائعة ومستعملة بتوسع كبير في سواحل الهند الغربية.

أما السلطان لارى الذى كان يحكم بلاد الشرق الأوسط ١٥٣٢م. أرسل النقود اللاربية للأغراض التجارية إلى جنوب الهند وجزيرة سيلان وحاول نشرها في تلك البقاع. والنقود اللاربية هي التي كانت تقود الحركات التجارية في ذلك الزمن. وفي أيام عارات البرتغاليين كانت النقود اللاربية تستعمل بكثرة في موانئ كاليكوت وكوتشين وفي الأسواق التجارية الكبيرة. واستعملها أيضا البرتغاليون في التبادل التجاري

وأما النقود التي كانت شائعة في ولاية ترافكور بحضرة الهند إلى عهد قريب باسم چكرم هي صورة مشوهة لنقود لارى. إذ هي لا تختلف منها إلا اختلافا بسيطا يتعلق بالرموز والحروف. وللعائلات المملوكة في حضرة الهند مثل چولا، وپانثيا نقود خاصة. وفيها صور الفيل، والسماك، والبر، والقوس، والترس وغيرها. ووصلت إلى مليار نقود بهسالية خفيفة الوزن خلال أعوام ما بين ٨٥٠ - ٩٦٠. وفي نفس الوقت كانت تجرى في ترافكور نقود خاصة مثل چندراكاش، وإيزوركاش وغيرها. وفي ولاية مليار كانت تلكس پتن، وسلطان ولى، وروماشلى وغيرها من النقود الشائعة - (ملار للدكتور شمس الله قادري). وجاء ذكر هذه النقود في الأغاني الشعبية والقصص المحلية.

وبدأت النقود الإنجليزية تنتشر في الهند شيئا فشيئا منذ تأسيس شركة الهند الشرقية. وأرسل أمراء الولايات نقوداً خاصة خفيفة الأوزان للمالغ صغيرة إلى جانب النقود الإنجليزية. واستطاع الانجليز توحيد النقود نوعاً ما، ولكن لم يدخلوا تعديلات تذكر في تلك النقود.

وبعد أن تجرعت الهند من نير الاستعمار الأجنبي، تطرقت تعديلات خاصة

إلى النقود الحكومية . وها هي الآن تريد الهند تنفيذ النظام العشري في النقود الرسمية أسوة بالنقود السائرة في البلدان الأخرى ، وتسهلا للعاملات الاقتصادية ، وفوق هذا وذاك أن هذا النظام العشري ليزيل عن عامة الشعب التكاليف التي يتحملها في الحسابات وفي التبادل التجاري خصوصا مع البلاد الخارجية والعملية الأجنبية .

(الديانة البوذية في مليبار)

إن للمليبار (كيرله) مصحات محيدة في تاريخ الأديان المختلفة والحضارات المتعددة . وكانت تحلس يوما من الأيام الماضية على عرش الرعاية الدينية في القارة الهندية كلها . وانتشرت الديانة البوذية في أبحاثها في عصورها الأولى ، وثبتت أقدامها ، وترعرعت غصونها ، وأثمرت ثمارها في عهد الامبراطور العظيم « أشوكا » . ويظهر من المنحوتات والآثرات التي يرجع عهدها إلى عصر الامبراطور « أشوكا » وكذلك من الوثائق التاريخية عن أيام حكم ملوك « جولا » أن الدين البوذي كان قد انتشر انتشاراً مرموقاً في سواحل الهند الغربية . وكان له نفوذ واسع في تلك المناطق . ويقول المؤرخ ك . أ . ن . شاستري : (K A.N Shastari) كانت مدينة « ماگناتم » شرقاً ومدينة « سري مولولاسم » غرباً مركزاً للثقافة البوذية في عهد ملوك « جولا » في جنوب الهند . وكانت الأصول البوذية متأصلة في قلوب الناس .

واستطاع الباحثون أن يكتشفوا مدى انتشار البوذية في الهند من الأضواء التي ألقتها تلك التماثيل والآثرات التي عثروا عليها في أماكن مختلفة من بلاد « كوتلاويدي » و « بالي باليم » و « ناگناتم » وغيرها في السنين الأخيرة . وبما هو خليق بالذكر بأن مليبار أقدم المناطق الهندية ارتباطاً بالبلاد الخارجية . وبذلك وغيره من الأسباب انتشرت البوذية في مليبار قبل أن تشق طريقها إلى سائر أنحاء

بلاد تامل . ووجدت فيها أرضاً خصبة لترعرع في أكنافها . وشجعت موانئ مليبار التي وثقت علاقاتها مع الجزر الشرقية وغيرها من مواقعها الممتازة المبشرين البوذيين للحضور إلى مليبار جماعات وفردى . وهكذا أصبحت البوذية دين الأغلبية الساحقة في ربوع مليبار ، ووجدت فرصة مواتية للقيام بتشجير واسع النطاق في طول البلاد وعرضها .

وتجوز على ألسنة الناس أساطير عديدة وحكايات عجيبة عن انتشار البوذية في كيرله . ومما أسطورة يلعب بها خيال المؤرخ ، وإن لم يكن لها ثبوت من الوقائع التاريخية ، تقول الأسطورة : كانت سيدة حميلة تعرف بـ « مالى » اعتنقت البوذية ، فقابلت يوماً ناسكا بوذياً حميل الوجه ، حسن المظهر ، ذا خلق كريم . فأحبته وطلت منه الزواج بها . فقل الناسك ذلك الطلب . فولد منها ولد ذكى لطيف . وفي نفس اليوم ولد طفل حميل في العائلة الملكية المشهورة بـ « كولاترى » . واستطاعت « مالى » بذكاؤها الحارق وحيلتها الباردة أن تحصل على ذلك الطفل الأمير وتربى في أحضانها ، وكذلك تمكنت من دس طفلها من الناسك في العائلة الملكية . فبدأ ولدها الذى تربى في القصور الملكية بالدعوة إلى الدين البوذى ، وقام بتشجير واسع النطاق بحكم هوده وشهرة اسمه في أنحاء البلاد ، لينتسب الناس بأنه الأمير الملكى . وكان هذا الحدث تحولاً ميمواً في تاريخ الدين البوذى . وهذا فتحت طرق جديدة أمام الثقافة البوذية في أرجاء مليبار .

والذى تستهدف إليه هذه الأسطورة هو الاثبات بأن أميراً من الأمراء الحاكمين في البلاد كان يقوم بالدعوة إلى البوذية وكانت له يد طويلة في انتشار هذه الثقافة في تلك البقاع .

وتقول الكتب التاريخية بأن كثيراً من عائلة « بيرمال » اعتنق الدين البوذى . وكان في مقدمتهم « پالى بانا بيرمال » . ولكن اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ

حياته . وقال المؤرخ العالمى المعروف « ميكيل سيال » ، إن بداية حكم « پيرمال » كانت فى عام ٤٤٤ م . وقيل إن « پالى مانا پيرمال » هو الملك المشهور « ولاريان » الاول . وكان عهده فى ٦٥٧ م . وعلى هذا رأى فيكون آخر زعيم للديانة البوذية فى « كيرله » . ولا شك أن الودية انتشرت فى أنحاء مليار فى عهد الامبراطور أشوكا بدليل المحورات الأثرية والتماثيل التاريخية . وكذلك كان « پالى مانا پيرمال » بسدى خدمات جليلة ويقوم بمساعى حميلة فى نشر الثقافة الودية فى كيرله .

وحات قصة لطيفة فى تاريخ كيرله حول تشير « پالى مانا پيرمال » بالدعوة الودية . جاء « پالى مانا پيرمال » من الخارج بدعوة من راهمة كيرله ، فكان أحد الصيوف عديم . ومرة حرت ماضرة دينة بينه وبين الساك الوديين فى قصر الراهمة فى بلدة اللور . فأحب دين الودية وقام بالدعوة إليها بحماس بالغ . وحاول أيضا أن يدعو هؤلاء الراهمة إلى اعتناق الودية ، فعصوا عليه ، وتركوه ، وأقاموا مكان بعيد عنه ، وتآمروا على قتله أو هيه من السلاد . فتولى بعض الراهمة الأحاب هذه المهمة وحررت ماضرة عليه بينه وبين طائفة من هؤلاء الراهمة الأحاب ، هبت فيها « پالى مانا پيرمال » فقطعوا لسانه ونهوه من اللاد .

وهناك أساطير أخرى عديدة تعوق هذه الأسطورة غرابة وطرافة ، وملئت بها الكتب القديمة الخرافية مثل « كيرله اليتى » ، و « كيرله پاژاما » و « كيرله مهالميم » وغيرها . وكانت الودية فى السنين الأخيرة لبعدها فى مليار تعالى أنواعاً من الظلم والعدوان بأيدى زعماء الراهمة العلالة ، وكانت تقاسى الاضطهاد والكرهية من رجال الدين الراهمة فى شتى الميادين .

واختتمت أوار الثقافة الودية فى كيرله فى عيابه الظلم والاضطهاد قام به « الراهمة » ، على أشعتها الكاشفة . فيضطر الساحت إلى أن يسبر أعماق هذه الثقافة الثيرة من خلال صفحات التاريخ للوصول إلى الحقيقة الواقعة عن الحضارة

البوذية في ملبار، مع أن معظم نواحيها الطيبة مطوية تحت أنقاض الأساطير والأفانيس المختلفة. وانتقل إلى نانا بيرمال من مدينة تروانجي كولم إلى نلنبور في أيام فتوحات البراهمة وسيطرتهم على ملبار. وأقام نصفة موقته على مرتفعات «أوترت»، على مقربة من ويبناندا. وبفضل المساعي التي قام بها إلى نانا بيرمال وبالنشاط الممتدح الظير الذي أبداه في سبيل الدعوة إلى المذهب البوذي، دخل مئات الألوف من الناس إلى هذا الدين، وبنت عشرات المعابد البوذية، وفتحت عدة مدارس ومستشفيات وملاجئ الفقراء والمساكين في طول البلاد وعرضها باسم بيرمال هذا.

وتعرف الآن المساحد للسلبين والكنايس للنصارى باسم الملك إلى في أنحاء ملبار. ويتكهن بعض المؤرخين بأن هذه التسمية قد جاءت بناء على فرض أن هذه المساحد والكنايس مبنية على أنقاض المعابد البوذية التي تهدمت أو هدمت بأيدي البراهمة أو من لف لفهم من أعداء تلك الثقافة أو أصبحت خاوية مهجورة باقراض أهلها وأتباعها بمرور الزمن. والدليل على هذا التكهن أن المعابد البوذية كانت تعرف باسم إلى ناناالم (بيت إلى نانا). وتوحد على حدران المعبد في جترال وأعمدتها نقوش الديانة الحية. ويتضح منها أن الحية لعلها انتشرت في كيرله قبل البوذية.

وأيضاً اختلف المؤرخون في تعيين القبيلة الأولى التي اعتنقت البوذية في كيرله. ويقول البعض إن أول من اعتنقها هو الحاكم ايشانان الأول. وعند الآخر هي قبيلة «الانكووذي». وتقول طائفة ثالثة إن أولى القبائل التي دخلت فيها هي «اتشكهايا باترم»، في مدينة مهوديبرم. وكهوف جبل مرتوا ونقوش معد جترال في مدينة نيمت، تشهد على عظمة المعابد البوذية والمعاهد العلمية التي أسسها زعمائها الكبار، وعلى دورها الذي لعبته في الميادين الثقافية والعلمية والدينية

والاجتماعية في البلاد. وفي هذه الجهات كلها نجد آثارا حينية إلى جانب الآثار البوذية. وتحلى آثار الفن الودى ومظاهر الحضارة الودية على حدران المساجد والكنائس القديمة وعلى قواعدها.

وحدثت اضطرابات خطيرة بين الهندوس والوديين في عدة مناسبات في تاريخ الهند القديم. واقلقت أو تطورت عدة أصنام للودية والحينية إلى شكل الأصنام الهندوسية. وتحتوى المعابد الهندوسية في كثيره على تماثيل لودا تمثل شتى مراحل حياته. وهناك تماثيل لودا « الأمير، ولودا « المتعد، في العابات ولودا « المعكر، ويدعو الناس هذه التماثيل بأسماء مختلفة، مثل « وشنو، و « شاستاو، و « مدن، ويتعدونها بطرق مختلفة. ولشاستاو فقط تماثيل عديدة في أشكال شتى في المعابد الهندوسية وتوجد شجرة « آل. التي تدل على بدء الإلهام لودا أمام المعابد الهندوسية في بلاد مليار وهذه الشجرة تذكر الراشرين للمعابد تاريخ إلهام لودا وحياته مفكراً ومتعدداً وواضحاً ومشراً.

وكذلك توجد القبة الناقية من آثار الثقافة الودية وحصارتها في التماثيل المحوتة في صحرة كبيرة في بلدة أيزملا بمليار، وفي هيئة معبد تريكوذى بمدينة ترولا في إمارة ترامكور، وفي الأصنام الموحدة على ساحل « چيروا، على مقربة من المسجد المعروف بـ « صاحب بالي، وفي مواقع معبد « كروور، في منطقة كوناياام، وفي التماثيل المهدمة على حل « ديوگری، بـ « ترافكور، بخنوب الهند. وهوق هذا وذاك كانت الأصنام الودية مصوبة بكثرة فائقة في بلاد، شارى ملا، كولانپوزا، مانيازاترا، أتشان كورول، ماويلي كر، كورثي، وانجي پزا، كورجي، كڈمالور، جيرتلا، بلورتي وغيرها من البلاد التي كانت مراكز الحضارة الودية في النصور الأولى للبلاد. ويظهر من الوثائق التاريخية أن هذه المعابد والتماثيل قد صنعت في عهد الامبراطور أشوكا. وكذلك كانت الديانة الجينية

منتشرة في تلك العهود في أنحاء مليار. وأخذت هاتان الديانتان البودية والجينية تشقان طريقهما جنا محب في زمن واحد وفي بقعة واحدة.

وصارت تلك المعابد المشهورة محلا لأساطير متعددة تجرى على السنة عامة الناس. ويعتقد البعض أن « شاستاو » الموحود في معبد شارى ملا هو الودا. وجاء في ملحمة « أمارا كوشام » بأن شاستاو مرادف لكلمة بودا، وهذا الرأي يؤيد الاعتقاد المذكور. وكذلك جاء ذكر بودا في تراثيل « هارى هارا سوتن » . وكانت المؤسسات العلمية والمدارس والمستشفيات منتشرة في أنحاء البلاد أيام أمة البوذية في كيرله. وكلها كانت تحرى مجاًاً بدون مقابل. وأوقف الأمراء والأغنياء عدة أهدنة من الأراضى والمهارات والممتلكات في سبيل مصاريف هذه المؤسسات. ومعظمها كانت بحوار المعابد أو تحت إشراف القائمين بشؤون المعابد. وكانت المستشفيات تعرف في تلك العصور الأولى باسم شالا. وهذا شكل مشوه لكلمة « جالا » المنتشرة في البلاد أيام البودية. وأما الساك البوذيون فهم الذين بدؤوا تأسيس المستشفيات المحاية في كيرله لأول مرة في التاريخ.

وإلى جانب هذه المستشفيات أسست معاهد الطلبة مع جميع التسهيلات اللازمة للإقامة والتعلم وغيرهما من وسائل المعيشة، والراحة، والمطالعة، والرياضة البدنية. ولكن أصبحت هذه المؤسسات كلها عرضة لمطالم البراهمة الكهان وغاراتهم الغاشمة. فأتلفوا المعابد البودية، والمؤسسات العلمية، والمستشفيات التى بناها البوذيون لسائر الناس بدون تمييز ولا تفرق. ويقول بعض السواح إن معابد البوذيين كانت مراكز للعلاج المجانى والكشف الطبى، وكان في كيرله في ذاك العهد أطباء مهرة. ولا تزال المعابد التى تعالج المرضى بكيرله في وقتنا هذا تحتفظ بآثار الحضارة البودية مثل معبد « كروايور » و « آدنى پرم » و « ترونعاڤى » و « تكاڤى » وغيرها.

وكان رجال من الوديين القادمين من شمال الهند، تخصصوا في فن التحت والاعمال اليدوية. وكأوا قسوة للاعمال الهندسية، والحث، والفن المعارى لأهالى كيرله. أما قبيلة ليچها في بنال وقبيلة آسارا في كانڈى كوٹ فكانتا مضرب الامثال في الفن المعارى في عهد الامراطور أشوكا. ونيت المعابد البوذية في كيرله تحت إشراف هؤلاء المهرة ووفق تصميماتهم الصبة. وأما كيرله فمدينة لهؤلاء الفنانين الذين أصابوا صفحة جديدة في تاريخ كيرله القديم وفتحوا بابا حديدا في عصورها الذهبية.

وكانت بداية اسيار الحضارة الودية وقوتها الععالة في كدغلور عاصمة كيرله في ذلك العهد. فلما بدأ كارلا بهتان وأتباعه حركة إصلاحية تأييد من القصر الملكى وتقدموا تقدما ملموسا في محاح الحركة، اضطر السالك الوديون والكهنة للفرار من تلك القاع ولم يبقوا عند هذا الحد، بل وبدأ الماهضون للودية لشن دعايات واسعة الطاق ضد تعاليم بوذا وإرشاداته وفصاحبه، وأشدوا القصاصد ونظموا المطومات ضد هذه التعاليم. ولا تزال هذه الأشعار يشد بها بعض الطوائف الهندوسية في مناسبات عديدة مثل احتفال «بهرنى» الذى يجرى أمام المصد المشهور بكدغلور، واحتمال «پورم» بمدينة چيرتالا. وعقب هذه الحوادث عاشت كيرله في معترك الطرق حقبة من الزمن.

وأنت كثير من المؤرخين - الذين راروا مليسا وقاموا بتحقيقات عليية عن أديانها وحضاراتها وعاداتها وطقوسها - بأن الودية كانت ديها الشائع في كل أمتائها. واعتقت جماعة نير وإدوار الدين الودى، صارت الطائفة البرهمية التى كانت تمثل أقلية اللاد جماعة معدة وشاذة عن أغلبية الشعب. ولم يكن لها صوت مسموع ورأى مقول بين أوساط الأهالى الكثيرين. وهناك رأى شائع بأن طائفتى «بيشارڈى» و«نايى»، كلتا من أتباع الطائفة الودية القديمة

في مليار. وتوحد هاتان الطائفتان بكثرة في الأماكن الهندوسية في مليار وإمارتي
تراهكور وكوتشين.

واستند الراهمة بأمراء «باتليا» وأغنيائها وأعيانها للقضاء على البوذية والبوذيين
في كيرله. وسعوا أيضا في تحريد الكتب الأدبية المؤلفة في ذلك العصر عن كتابة
الحوادث والوقائع التي حرت فيها في ذلك العهد، وعن تدوين آداب البوذية
ومتحانها العلمية والفكرية. ونجحوا في تلك المساعي حتى طهرت المؤلفات الأدبية
والكتب التاريخية والرسائل العلمية كلها أو حلها خالية عن ذكر ذلك العهد الماضي
الودي. وفي الوقت نفسه حاولوا للاثبات بأن كيرله منحة إلهية منحها لهم
«برشورامان». وأثبتوا هذه الأسطورة بطريق القصص والروايات. ولا يستطيع
المؤرخ الحديث الوصول إلى حقائق التاريخ، والوقوف على المعلومات الصحيحة
إلا إذا غرل تلك الأساطير والأقايص نغزال الوقائع التاريخية في ضوء البحث
العلمي والتاريخي المدعم بأسس علمية.

وبعد انهيار العهد الودي في كيرله ولدت ثقافة مزدوجة متأثرة من الماضي
البعيد والماضي القريب الذي لم يحف ماؤه من يابيع البوذية. بدأ القوم يعدون
بودا نفسه بعد أن كان بودا يكر عادة الأشخاص ويصح ضد الوثنية. وبدؤا
يدعون بودا باسم «وشو»، و«ماير حينا» باسم «كروماذي كتن». وبالشروع
في عادة بودا وباعتباره إلهاً أنهار الأساس الذي بنى عليه الدين الودي وانقلبت
تعاليم بودا رأساً على عقب. وتسرب الوهم والضعف إلى كياه. وكذلك
ساعدت الحركات التعصبية التي قامت بها الطائفة الرهمية على حدوث انشقاق
وتشتت بين صفوف الناس. وتفرقوا إلى شيع وطوائف. وانتشرت الحرافات
والخزعبلات في عقائدهم وتقاليدهم. وساد الهجرج والمرح بين أتباع الأديان
المختلفة وأصحاب الآراء المتعددة.

وهكذا استطاع الراهمة بفضل المجهودات والدعايات التي قاموا بها قرابة ثلاثة قرون أن يصحروا أصحاب الممتلكات الضخمة، وولاة الأمور في شؤون البلاد والمشرفين على أوقاف المعابد والمؤسسات الخيرية. وبدروا بذور «عدم اللس» (لامساس) والعصرية في البلاد. ولكن المادئي الانسانية التي دعا إليها بوذا والعدالة الاجتماعية التي كان ينشرها البوذيون في أنحاء البلاد لا زالت متأصلة الجذور. ومهما حاول الراهمة بعدة طرق لنشر العوارق اللونية والعصرية بين الأهالي، لم ينحسروا في اقتلاع حدود التعاليم الاساية ومادئي الاخوة والمساواة التي تمكنت في قلوبهم منذ عهد انشاق فجر البودية في تلك القاع. بل أدهى وأمر من هذا كله أن الراهمة كالوا يبادون باسم «بودي» في صدد الازدراء والاستهزاء. وسوا حصاراً حديدية على قواعد الحضارة البودية. ولكن لا تزال تلك القواعد باقية بارزة، ولو تحت الأبنية الحديثة التي بناها الراهمة، قاصدين القضاء التام على تلك الآثار، وإسدال الستار الكثيف على الحضارة التي ربما تمت أشعتها من حلال الطلام والأبواب المعلقة.

وهذا انصح لنا حلياً بأن كبره كانت تختص عصراً ذهبياً، وحضارة غنية، وثقافة مليئة بأنواع من التعاليم الحققة، والارشادات القيمة، والعدالة الاجتماعية، والمساواة الاساية. وتعيد الهد الحديثة الآن ذلك العهد المجيد وتحول المياه إلى مجاريها الطبيعية. وكانت سواحل الهد العربية تستولى على رمام الرياح والثراء والمديسة من القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الرابع بعد الميلاد. والذين تزعموا تلك المديسة، وتولوا مهمة ربطها بالبلاد الخارجية، وقاموا بعدة إصلاحات في تلك البقعة العريقة بالقارة الهندية في أول الأمر، هم الرعماء البوذيون.

وعاش الناس في وداد وحة طبقاً للتعاليم البودية. ولم يكونوا يعرفون الفرقة والشقاق، والنص والكراهية، وساد الأمن والطمانية في طول البلاد

وعرضها . وكانت تعاليم بوذا رائدتم في حياتهم اليومية، وإرشاداته قائدهم في معاملاتهم وتصرفاتهم في الشؤون كلها . وكانت تلك العصور مشاعل النور والعرفان للانسانية كلها .

وها هي الهدد الآن تهب مرة أخرى لتقود الانسانية الطائشة إلى بر الحاح، ولتأخذ بالعالم الزاخر في أمواج الاضطرابات والحوادث المؤلمة التي لا يدري عواقبها الوخيمة إلا الله إلى شاطئ الأمان والسلام . وتمهد لها الطرق الصحيحة وترشدنا إلى الطريق السوي تلك الصفحات المجيدة في تاريخ الهند القديمة .

(الأسرة المالكة المسلمة الأولى في مليبار)

في مدينة كنور بشمال مليبار أسرة مالكة مسلمة تعرف باسم « أركل راحاومشم » أي الأسرة المالكة بأركل . ويرجع تاريخ هذه الأسرة إلى زمن قدوم مالك بن دينار، وشرف بن مالك من جزيرة العرب إلى مليبار، حاملين لواء الدعوة الإسلامية . ولهذه الأسرة علاقة وثيقة بدء الدعوة الإسلامية في روع مليبار . ويقال إن هذه الأسرة يرجع أصلها إلى جيرمان پيرمال . وكان مؤسس هذه الأسرة المالكة محمد علي ابن السيدة « سري ديوي » أخت جيرمان پيرمال . وكان اسمه الأصلي « مهابالي » قبل اعتناق الإسلام . ويظهر من المخطوطة في قصر أركل أن ابن سري ديوي إعتنق الدين الإسلامي في سنة ٦٤ هجرية، وأسس هذه الأسرة المالكة وشيد بناها على أساس متين . وكانت عاصمتها الأولى في مدينة دهرمڈم .

وتوجد في قصر علي راجا الحالي في كنور وثائق تاريخية عديدة تنطق بقدم هذه الأسرة، ومدى النفوذ الواسع الذي كانت تتمتع به في أنحاء مليبار كلها . ومن ضمن تلك الوثائق التاريخية الصحف الحاسبية، والقود التاريخية، والوثائق المكتوبة عن المعاهدات والأحلاف، سواء في اللغة العربية أو الخط العربي المليباري .

وللهذه الأسرة بء طولى فى نشر الدعوة الاسلامىة فى كبرله وثبىء أقءامها وإسكان المسلىن القادمىن إلها من البلاد العربىة أو من سائر أممء القارة الهنءىة .

وثبىء الحقائق التاريخىة أن الاسلام قء انشر فى بلاد ملبار فى زمن النبى صلى الله عله وسلم . وأكءر ءللىء تاريخى على ءلك ءلك النقوء العضىة اللى نشرتها الأسرة المالكة أركل فى كور فى القرن الثامن للبلاد . وهذه الواقعة ءفنء الرأى القائل بأن الاسلام جاء إلى ملبار بعء القرن الثانى لوفاء البى عله الصلاة والسلام . وعرضء النقوء اللى ءحمل اسم ملك أركل فى المعرض ءقافى الذى أقم فى مءراس عام ١٩٤٣ م . وءحفظ هءه الأسرة على ءراثها القءىم وءحافظ على عءمها العام مء القرون . وأصءء هءه الوثائق التاريخىة المكءشفة فى قصر أركل من نقوء ومخطوطاء ومءحوءاء ورسائل وغيرها أقوى الحجج التاريخىة لءمىء رأى صاءب ءنعة المءاهءىن . أن الدعوة الاسلامىة قء ابءءاء فى ملبار فى القرن العاشر للبلاد . ومن المؤفف أن كءىرا من الكءب التاريخىة اللى ألفف بعءه ءفل هءا الرأى بءون ءمءص وءءقق . مع أن المؤرخ العربى المشهور ار عرفه ١٤٧٦ ، والمؤرخ العربى المءروف فخر الءىن ١٢٧٢ ، قء صرءا بأن الاسلام بءا ىنشر فى سواحل الهء العربىة فى زمن الرسول صلى الله عله وسلم . وءاءء وثائق أركل مؤىءة لرأى هءىن المؤرخىن . واستءاءأ على رأى صاءب ءنعة المءاهءىن ، قال بعص المؤرخىن مءل رولنسمان وهءلبلو ، إناس ، وهءلك . ب . بلبنام مبنون ، إن الاسلام جاء إلى ملبار بعء القرن الثانى من الهجرة .

وئبء أبصا بأن ءارىء ساء المساءء المءوءوءة ءالبا فى مءن ءاليم وكءنفلور وكوبلامبى وغيرها من عواصم ملبار القءىمىة ىرجع إلى عام ١٢٠ هجرى أى ٧٠٠ ملاءى . وهذا الواقع التاريخى لىلء أنظارنا إلى ما قبل ألف سنة فى ءارىء كبرله القءىمىة .

وقال السائح المعروف «فراير أوڤوريك» الذى زار كيرله وجاب فى أنحائها: «كانت للسلبين مستعمرات خاصة فى كولم، وبتتلاينى وغيرها منذ أوائل القرن العاشر للبلاد».

وكان يدعى كل واحد من ملوك الأسرة المالكة بلقب «آدى راجا» أى الملك الأول أو «آزى راجا» أى ملك البحار. ولقوا بألقاب السلاطين منذ القرن الثالث عشر للبلاد. ويقول بعض المؤرخين: كانت كنورتحت حكم ملك كولترى. وكان الملك الكولترى معاصراً لساموترى (سامرى)، وأقام نصبة دائمة فى مدينة كور. واعتق قواده ورجال حاشيته الدين الاسلامى. فهكذا جاءت أسرة مالكة مسئلة إلى حيز الوحود فى مليار، وكان الناس يدعون «على راجا» العظيم بلقب «سلطان الحر».

وتقول أسطورة أخرى بأن فتاة من الأسرة المالكة فى كولترى، تروحت من مسلم أقدها مرة من حادثة خطيرة. فغزلوها فى قصر خاص بعيد عن القصر الملكى. فتكونت أسرة مستقلة من هذين الزوجين». ويقول المؤرخ القصصى شنكونى ناير «هذه الأسرة أصبحت تعرف فيما بعد بأسرة أركل، ثم صار إليها حكم البلاد حتى أصبحت أسرة مالكة فى طول البلاد وعرضها».

وهذه الأسطورة تناقضها الحقائق التاريخية الثالثة، لأن أسرة كولترى بدأت تحكم البلاد فى أواخر القرن التاسع الميلادى وكان القرن الحادى عشر عصرأ ذهبيا فى تاريخ أسرة كولترى. وعلى هذا بدأت كولترى تنى مجدها بعد جيرمان بيرمال بزمان غير قليل. وهذا يدل على أن الأسرة المالكة فى أركل غير متفرعة من أسرة كولترى، مع أنها أسبق زمناً من تاريخ قيام أسرة كولترى التى تدعى الأساطير أنها مرتبطة بأسرة أركل.

وبدأت الأسرة المالكة بأركل توثق علاقاتها مع البلدان الخارجية فى أوروبا

والبلاد الشرقية، ورلت إلى الميدان العالمى، فاشتهرت فى معظم بلاد العالم. وبنى ملك أركل قصورا وقلاعا فى كنور بعد أن نقل عاصمته إليها من دهرمدم. وبعد مدة أصبحت كنور مركز التجارة الخارجية. وكان الملك يتولى بنفسه مهمة تصدير المنتجات الهامة إلى الخارج مثل العسل، والقرنفل وغيرها. وذاع صيته فى الأسواق التجارية بمصر وأفريقيا ولسان وحزيرة العرب، واشتهر باسم «الملك التاجر».

وقام الملك ببناء العمارات، وتشيد المدن، وتدريب الحيوش على طراز اللاد الاجنية، ودعم وسائل الدفاع عن الوطن، وعمل فى سبيل كرامة اللاد وشرف الامة وعزتها. وقام باصلاحات حديثة فى الموانى والمدن الرئيسية حيث يقد إليها الاحاب والسواح للتجارة والسياحة من كل أرحاء الدنيا. وهكذا أصبح زمام التجارة الحرة والبرية فى يد الملك.

وكان يشرف أيضا على حرر «مخلديب» و «لكنشهاديب» و «أدرود ديب». ووصلت السفن التجارية الناعمة لأسرة أركل إلى موانى اللاد النائية. وكلما عقدت معاهدة تجارية جديدة، كانت صنعت سفن شراعية جديدة لتضاف إلى تلك المجموعة. وكانت ورشة كنور أكبر ورشات السفن فى موانى العالم. ومد أن تولى ملك أركل حكم حرر مخلديب، أدخلت تعديلات هامة عديدة فى سياسة مليار وكيفية الحكم فيها.

وطالب أهالى مخلديب بالحكم الداقى، وكأخوا فى سبيل الانفصال عن مليار لتأسيس حكومة مستقلة ذات سيادة كاملة واستطاع السلطان ثيو والأمير جيدر على لصد عدوان القوات الأحدية بمساعدة من حيوش ملك أركل. وكانت جيوش كولترى تترصد ملك أركل فى تلك الأيام. ونشبت المعارك بين الطرفين مرتين. ولكن مى الحاسان بحسائر فادحة بدون نتيجة تذكر. وانتهز البرتغاليون هذه الفرصة، وشجعوا الخلافات والحروب بين ملوك مليار بعضهم

بعضاً، ونجحوا في هذا الميدان نجاحاً مرموقاً، ولم يتركوا فرصة سانحة إلا انتهزوها لتعزيز موقفهم في البلاد، وبذر بذور الفتنة والبغضاء بين ملوكها وحكامها.

ففي عام ١٥٠٥ م. بنى البرتغاليون قلعة كبيرة في مدينة كنور شمال مليبار تحت ستار توسيع التبادل التجاري. وأصبحت تلك القلعة مصدر قلق وتهديد لحكام الوطن. فجرت ثلاث عشرة معركة عيفة بين البرتغاليين وبين حكام البلاد في سبيل الاحتلال على تلك القلعة المشؤومة، لأنها كانت فيما بعد مركز الجيوش الأجنبية ومصدر الخطر على استقلال البلاد ورفاهيتها ورخائها. وأرمت عدة معاهدات ودية وتجارية بين ملك أركل وبين البلاد الخارجية. وكان يستقل السفراء والمدوبين من مصر وتركيا، وإيران وأفغانستان وغيرها من البلاد الشقيقة والمجاورة. ولما وصل الهولنديون إلى «مليبار» عرفوا قوة جيوش أركل وإخلاصها للوطن. وبعد أن استقرت أقدامهم في أمحائها وصارت في أيديهم الأسواق التجارية فكروا في التعايش السلمي مع العائلة المالكة بأركل خوفاً من جيوشها المحلصة واستعدادها التام للتضحية في سبيل الوطن.

وفي سنة ١٧٧٠ م. باع الهولنديون قلعة كور إلى ملكة «أركل» المشهورة بلقب «أركل نبي»، مقابل مائتي ألف روبية، وعرضوا قواتهم الدفاعية عن الاعتداء الخارجي. وألغوا جيوشاً بحرية وبرية. وتعهد كل حدى بالتضحية في سبيل الدفاع عن شرف الوطن، وحماية كرامته. ودخل الأمير حيدر علي في صلح مع «بيبي أركل» حينما علم قوة جيوش أسرة أركل وشوكتها وإخلاصها، وقدم بنفسه إلى مليبار. وبعد ذلك اتفق ابنه، السلطان ثيو نفس الهج وأرم معاهدات عديدة مع «بيبي أركل». وأقام السلطان ثيو مدة من الزمن عند الأسرة المالكة بكنور مشرفاً على شؤون الدفاع. واستمرت هذه الصلات والصدقة بين ثيو وبين الأسرة المالكة بأركل إلى الحرب الأخيرة الناشئة بينه وبين شركة الهند الشرقية.

وكانت رحلة ثيبو عن كور بداية عهد الاضمحلال والتأخر لأسرة أركل .
 وأضمر الانجليز حقداً دفيأ وكراهية شديدة نحو السلطان ثيبو ، لانه كان زعيم
 القوات الدفاعية وقائد حركة التحرير . وانضمت جيوش «جركل» وبلادها المجاورة إلى
 جانب شركة الهند الشرقية ضد سلطان ثيبو . وظهر الانجليز بلوهم الحقيقى وحاولوا
 السيطرة على قلعة كنور بعد أن عاشوا تحت ستار الصداقة والود زمنا قليلا ، وبعده
 اغتصاب مراكز التجارة من ملوك كور . وتحقيقاً لهذين الهدفين قامت «شركة
 الهند الشرقية» بالاستيلاء على ميدان القلعة للتدريب العسكرى عام ١٧٩٣ م .
 فى سنة ١٩٠٥ م شوا حملات متواصلة للاستيلاء على الامارات فى طول البلاد
 وعرضها واحدة فواحدة . ولصم المهاراجات والأمراء إلى صفوفهم أولا فأولا .
 وعقد الانجليز معاهدة صلح مع أسرة أركل بشرط أن تدفع إليهم حزأ من
 إيرادات الحرر التى تحكمها الأسرة . وكانت هذه المعاهدة فى عام ١٧٩٦ م .

ثم تدرج الانجليز بالمطالبة بالريادة فى هذا الحزء . حتى جردوا الأسرة
 تماماً عن الحصول على شىء من إيراداتها . وعزم الانجليز على القضاء التام على
 هذه الأسرة المالكة لتأييدها السلطان ثيبو فى حروبه معهم . فأصدروا باسم حاكم
 مدراس حكماً قانويأ بمصادرة جميع ممتلكات الأسرة بأركل بدعوى أنها لم تف
 بالوعود الواردة فى المعاهدة المذكورة . ولكن «بى أركل» قدمت شكوى
 بعدم شرعية مصادرة ممتلكاتها الخاصة إلى اللجنة الادارية لشركة الهند الشرقية ،
 فكان حكم اللجنة فى صالح «بى» . فى عام ١٨٦١ م ، أعادت الشركة ما صادرتها إلى
 «بى أركل» ، ماء على الحكم السابق .

وقرر حاكم مدراس الانجليزى الانتقام من الأسرة فى الوقت الملائم . واستطاع
 الانجليز الاستيلاء على قلعة كور بعد معركة دامية . وقتل فيها ملك أركل زوج
 «بى» المذكورة وغيره من القواد والعظماء . وأخيراً انتصر الانجليز على جيوش

«مايلا» بعد أن فشلوا مرات في الحروب التي جرت مع جيوش مايلا الباسلة . فأخذ البريطانيون من الأهالي حوالى مائى ألف روبية على سبيل الغرامة لمناهضة الانجليز . وفرض البريطانيون ضرائب باهظة على البضائع المستوردة من الخارج ، وكذلك فرضوا قيوداً كثيرة على الصادرات إلى الخارج . فاضطر التجار الأجانب للتخلي عن التجارة مع الأسرة المالكة بأركل . وقضت البلاد الخارجية معاهداتها المعقودة مع ملك أركل بسبب تعذر الاستمرار فى التجارة مع الأسرة تحت ضغط «شركة الهند الشرقية» والحكام الانجليز .

فهذا اكتملت سيطرة الانجليز على الأسواق التجارية فى داخل البلاد وخارجها . وقضوا على زمام تجارة اللؤلؤ وتصديره إلى البلاد الأجنبية . ومن ضمن الأشياء المصادرة فى عام ١٧٩٣ م أطباق ثمينة ، وسيوف مذهبة ، والتاج الذهبى والعرش الملكى . وألفت اللجنة الادارية لشركة الهند الشرقية لجنة خاصة لتقدير قيمة هذه الأشياء . فقدرت اللجنة قيمتها بمليون وستمائة ألف روبية ، وتوفيت ملكة «أركل» المعروفة باسم «حون أماني» فى عام ١٨١٩ م . بعد أن شهدت التطورات الخطيرة والانقلابات العظيمة فى تاريخ الأسرة . وحافظت الأسرة على الوفاء بمعاهداتها وأحلافها ، ولكن الأجانب المستعدين خدعوها وغاوها عدة مرات . وأثنى المؤرخون البرتغاليون والهولنديون على أمانة هذه الأسرة وكرامتها فى الايضاء بالوعود ورد الامانات إلى أهلها . وحفظت تلك الموائيق والآثار التاريخية فى قصر أركل إلى يومنا هذا . ويظهر منها جميع التقلبات والتطورات التى حدثت فى تاريخ هذه الأسرة بل فى تاريخ مليار كلها .

وسجل التاريخ خدمات هذه الأسرة عمداً من النور . ولم يكن ملوك هذه الأسرة مستبدين أو «ارستقراطيين» بل كانوا جميعا ديموقراطيين وحكاما عادلين . وكانت لخزانة الدولة أربعة مفاتيح ، واحد منها عند الملك ، والثانى يأخذه مدير

مصلحة التجارة، والثالث يقضه رئيس القضاة، والآخر عند صاحب الخزانة. ويحضر الأربعة عند فتح الحراة. وهذا نظام يدل على العدالة الاجتماعية التي كانت تسود في أنظمتهم وقوانينهم.

ويقول المؤرخ اف. اس. داويد: «إن الأسرة المملوكة لأرمل كانت مثلاً أعلى لمحاربة الظلم والكذب والفساد. وكان شعارها العدل، والصدق، والمحبة.



خطأ في الجنة...؟

للكتاب الهندي راندرمات طاعور

تعريب الأستاذ انور شتا

إن صاحبنا لم يؤمن أبدا بالمصلحة الداتية، ولما كان لا يقوم بأي عمل ذي قيمة ومنفعة فقد انغمس في روايته الجسدية، فعمد إلى تحت لعص التماثيل الصغيرة... الرمال... ونساء... وحصون وقلاع... مستخدما في ذلك رمال البحر وما تحتويه من القواقع. وعمد أيضا إلى الرسم والتصوير. وهكذا أخذ يمضي وقته في أشياء لا نفع فيها ولا ضرورة إليها. وضحك الناس منه وسخروا، بما كان يدعوهم في بعض الأحيان إلى الاقلاع عن هذه الزوات ولكن سرعان ما تعود إليه، فتسكن حسه وعقله... إن بعض التلاميذ يجحون في امتحاناتهم دون أن يستذكروا دروسهم. ونفس الشيء يحدث لهذا الرجل. فقد أمضى كل حياته في عمل لا طائل تحته ولا نفع منه. ومع ذلك... فعمد وفاته... فتحت له أبواب الفردوس... على مصراعيها.

ولكن الأصعب المتحركة تكتب وتسجل كل شيء حتى في الفردوس.

فقد حدث أن أخطأ الملاك المكلف بأمور صاحبنا، ووصفه خطأ في فردوس العاملين.

وفي هذا الفردوس تستطيع أن تجد كل شيء... ما عدا الفراغ.

وهناك يقول الرجال... رباه. ليست أمامنا لحظة فراغ واحدة... نضيعها. وتهمس النساء... فلنسرع... فالوقت يطير... والجميع يهتفون في عجب...

إن الوقت نمين للغاية... أيدينا ممتلئة بالعمل... ونحن نستغل كل دقيقة من وقتنا.

وقد يتهدون فيها شه الشكوى... ولكن هذه الكلمات تقع على قلوبهم برداً وسلاماً

وهذا الدحيل الحديد . الذى أمصى كل حياته على الأرض دون أن يؤدي عملاً مجدياً . هذا الدحيل لا يتلأنم مع طبيعة الأشياء فى فردوس العاملين . فقد أحد يتسكع فى الطرقات فى كسل وحول... ويعترض سيل الرحال المرعين . وأحد يحلس فى الحقول الحصراء، ويعطل من أعمال الفلاحين المتعجلين... بل كان دائماً فى طريق الآخرين .

وكانت هناك فتاة حميلة . كانت تذهب دائماً فى عجلة إلى «غدير صامت» لتملأ بلاءها بالمال.

وطل هذا الغدير صامتا . صامتا مدى الأحقاب . حتى لا يستنفد طاقة... فى أصوات أو أنغام... لا حدودى بها.

وكانت خطوات الفتاة على أرض الطريق... كالحركات السريعة ليد فان ماهر تعزف على أوتار الحيتار .. وكان شعرها مرسلاً على كتفها دون عاية أو تمشيط.

وكان الكسول فى يوم ما واقفاً على بعد خطوات منها .. على مقربة من تاهورة حميلة... موقع نصر الفتاة عليه كما يقع نصر الأميرة الجميلة على شحاذ مائس... فامتلاً قلب فتاة الفردوس بالشفقة عليه.

وبادرتة قائلة :

« اوه... ها . يبدو أنك لا تقوم بأى عمل... أليس كذلك؟ »

فتهد صاحبنا مجيباً:

«عمل! ليس لدى لحظة فراغ أشغلها بالعمل».

فلم تفهم الفتاة لكلماته معنى... ولهذا قالت له:

«إني على استعداد لأعطائك بعض العمل... إذا شئت ذلك».

فأجابها الرجل:

«يا فتاة العدير الصامت! لقد انتظرت طول هذه المدة... لكي أقوم بعمل

على يدك».

فسألته:

«أى نوع من العمل تريد؟»

فأجابها:

«يا فتاة العدير الصامت! هل تستطيعين إعطائي واحداً من هذه البلاليص؟

...واحداً فقط يمكنك الاستغناء عنه؟»

فـ

فسألت:

«بلاص؟ ربما تود أن تجلب فيه المياه من العدير».

فقال في بساطة:

«لا... إني أود فقط أن أرسم بعض اللوحات فوق بلاصك».

فارت الفتاة وصاحت غاضبة:

«اسمع... ليس لدى وقت أضيعه في مثل هذه التفاهات... إني ذاهبة».

واختفت الفتاة على العور...

* * * *

ولكن... كيف يتفق شخص مشغول مع آخر لا عمل له؟

كانا يلتقيان كل يوم. وكان في كل مرة يقول لها :
 « يا فتاة المدير الصامت! اعطيني واحدا من هذه اللاليص... فسوف
 أرسم فوقها لوحة جميلة ».

وفي النهاية استسلمت لروثه العجبة وأعطته واحدا من بلاليصها.
 وبدأ صاحبها يرسم فوقه.. أحد يرسم خطأ فوق خطأ... ويضع لونا
 فوق لون

وعندما انتهى تناولت الفتاة اللالاص ونطرت إليه من كلا الجانبين...
 وامتلأت عيناها بالدهشة والعجب... وتساءلت

« ما معنى هذا؟ ما معنى كل هذه الخطوط والألوان؟ وما العرض منها؟ »
 فصحك الرجل وأجاب

« لا شيء.. إن اللوحة قد تكون لا معنى لها... ولا تحقق أى عرض ».
 فعقدت الدهشة والدهول لسان الفتاة ودهمت حاملة اللالاص تلك اللوحة
 العجبة على كتفها.

وعندما وصلت إلى بيتها وأمت عيون المتطلعين أخذت تقلب على جوابها
 الأربعة وتدقق فيها النظر بأمعان شديد. واستيقظت من نومها في منتصف الليل
 لتضيء المصباح وتظر إلى اللوحة في صمت وعجب ودهول... فللمرة الأولى في
 حياتها تشاهد شيئا لا معنى له ولا عرض منه.

وعندما أحدث طريقها إلى المدير في اليوم الثانى كانت قدماها أقل سرعة...
 وبجولة... فقد استيقظ في ذهها إحساس حديد... إحساس لا معنى له...
 ولا غرض منه.

وشاهدت صاحبنا (المصور) واقفا بجانب الغدير، فسأته في ارتباك :

« ولكن ... ولكي ما هي نعتك ... ماذا تريد مني ؟ »

فأجابها :

« أريد فقط المزيد من العمل ... على يدك » .

— « وما نوع العمل الذي تريده ؟ »

— « دعيني أصنع لشعرك ... شريطا ملونا تعقيده حوله » .

— « ولماذا ؟ »

— « لا شيء » .

وصنع لها الشريط ... في ألوان جميلة زاهية . وأصحت فتاة فردوس العاملين المرححة بالعمل تقصى الساعات الطوال كل يوم تعقد ذلك الشريط الملون حول شعرها . وكان الوقت يهلت من بين أصابعها دون أن تشعر بذلك ... وبقي كثير من العمل دون إنجاز .

* * * *

وبدأ دولاب العمل في فردوس العاملين يتأثر . وأخذ الانتاج يقل ويضمحل . وانقلب كثير من الأشخاص الذين كانوا حم النشاط ... إلى كسالى خاملين ... يصرفون الوقت الثمين في أشياء عديمة الجدوى ... كالحث والتصوير .

وبدأ القلق يساور الملائكة المسؤولين عن الفردوس ... ثم دعوا لاجتماع عاجل . واتفق الجميع أن هذه الحالة العجيبة التي أصبحت تسود فردوس العاملين ... شاذة لم يعرفها تاريخ الفردوس أبدا . موقف الرسول الملاك ... الذي كان مكلما بالاشراف مع صاحبنا ... وقف ليدلى بالاعتراف الخطير :

«لقد وضعت في الفردوس ... رحلا بطريق الخطأ ... إنه السبب في كل ما حدث ..»

واستدعى صاحبنا للتحقيق معه ... فلاحظ الملائكة هيئته العجبية ... تلك الثياب المضحكة ... والفرش التي تتدلى من جيوبه ... ولوحة ألوانه . فأدركوا على الفور أنه ليس بالرحل اللاتق في فردوس العاملين .

وفي شدة وصراحة قال الرعيم :

«ليس هذا المكان الذي يليق بك .. عليك أن تعادره في الحال .»

وتمس الرجل الصعداء وجمع فرشته، وألوانه، واستعد للرحيل .

ولكن .. قل أن يعادر الفردوس هرعت إليه فتاة العدير الصامت . صارحة :

«انتظر لحظة .. إنني آتية معك ..»

وعقدت الدهشة ألسنة الملائكة .. فلم يحدث أبدا أن وقع مثل هذا الشيء في الفردوس ... شيء لا معنى له . ولا غرض منه ... على الإطلاق .



كيف نشأت باتلى پترا

(قصة ميثولوجية)

للأستاذ محمود على خان

« باتلى پترا، كانت عاصمة لامراتورية موريا الهندية فى عهدها الذهبى، وذلك فى القرن الرابع قبل الميلاد. وكانت تلك المدينة من أكر عواصم الدنيا وأجملها فى الزمن الغابر من تاريخ الهند القديم. وقد أتى الرحالون من المشرق والمغرب بذكر شىء كثير من جمال معابدها العظيمة، وقصورها الجميلة الرائعة، وشوارعها المظللة بالأشجار الباسقة.

كانت باتلى پترا ميت عند ملتقى هرگسكا وسون قريبا من البلدة التى تسمى اليوم پثنه، فى طول تسعة أميال وعرض ميلين ونصف. وكان حولها سور من خشب فى عاية الجمال والمثانة، وكان فى السور أربعة وستون بابا، وعليه خمسماية وستون رجلا. وكان حول المدينة خندق عريض وعميق يملأ بماء هر سون. وكان فى المدينة قصر ملكى منى من الخشب فى أحسن ما يتصور من البهاء والجمال. لا يوجد من المصادر التاريخية الموثوق بها فيما يتعلق بتأسيس باتلى پترا وتفاصيلها إلا قليل جدا. لأننا لا نجد فى الكتب القديمة ولا فى الأسفار الدينية إلا ذكر اسمها. وكل ما وصل إلينا بشأن هذه البلدة فهو ينحصر فيما ذكره الرحالون القدماء من الروم واليونان وغيرهم.

أما الأساطير الميثولوجية التى تناقلها الأبناء عن الآباء فى هذا الموضوع فهى كثيرة ومن أهمها قصة تتعلق بتأسيس هذه البلدة. وإن كانت هى أسطورة لا أساس لها من الناحية التاريخية. ولكن لكونها قصة لب فيها إله الحب والجمال

دورا منها، فلا بأس بذكرها. وهي:

إن الملك پترا كان يطلع جبال «ويديا» ويقتحم العقبات ويحول في التجاد والوهاد بقلب أقلقه اليأس وهذه انقطاع الأمل وذلك لأن عمه العاصين حرماه من ملكه الذي كان له وارثاً مشروعاً، وهما عن وطنه المحبوب.

بينما هو يتحط في الحال حط عشوا سمع لقطاً هائلاً من مشاحرة عفريتتين يختصمان ومن العجب أن الخصام كان على ثلاثة أشياء تافهة، (١) أحذية مأللة، و (٢) كأس يحملها الشحادون و (٣) عصا يتوكأ عليها الضعفاء من الناس

مدى الملك منها وسألها قائلاً:

«ما لكما تقتلان لأجل هذه الأشياء؟ فإها ليست عريرة الوحود ولا عالية الثمن». أراد الملك بذلك أن يصلح بينهما لأنه كان يحب الصلح، ولا يحب القتال والفساد

فقال أحدهما:

«إن لهذه الأحذية والكأس والعصا أثراً سرياً هائلاً يتمكن بها حاملها أن يأتى بسحر عظيم فمن يخذ هذه الأحذية يمكن له أن يطير في الفضاء ويصل إلى أى حبة شاء. والكأس تهيى أى نوع من الرق إذا جاع حاملها ولم يجد ما يسد به جوعه وأما العصا فهي قلم القصاص، فمن كان له مقصد من المقاصد أو أمل من الآمال مهما كان عظيماً، يكتبه بهذه العصا على وجه الأرض فيفوز بمجرد ما يفرع من الكتابة.

سمع الملك ما قاله العفريت برغبة وإلتفات. وقال في نفسه: لو نجحت بالحصول على هذه الأشياء يهون على أن استرد ملكى وكرامتى وشرفى. ثم سأله: «من يملك فى الأصل هذه الأشياء الثلاثة؟»

فقال : نحن اخوان ، وكلانا ورثناها من آيينا .

فقال : عليك أن تصالحا ، وتأخذ هذه الأشياء من هو أحق بها منك . والخصام لا يجدى نقما ولا يتميز به الفاضل عن المفضول . فلو رضىتما ، أيها المتخاصمان ، فأنا أفضل بينكما وأريحكما من الخصام .

فقالا : نهوض أمرا إليك . فاحكم بيننا بما أوتيت من الحكمة وفصل الخطاب .

فقال الملك : عليك بالمسابقة إلى ذلك التل الذى تريان مفردا وبعيدا من الالتلال . من وصل مكانا إلى التل وسقى فى الرحوع إلى ، يكون هو الغائر بالجواهر .

فبيما كان العفريتان يتسابقان احتذى الملك الحذاء ، وأخذ الكأس ، والعصا ، وطار فى الجو وتعلق فى الفضاء ، حتى غاب عن الأنصار . وصار يتقدم فى طيرانه حتى وصل إلى أرض خضراء عامرة تلعب فى خصرتها أودية بيض عالية ، وقصور شاحخة ذات أبراج عظيمة ، وقباب جميلة رائعة ، يتخلل بينها هر عظيم يجرى هدهد وغمامة ، ويظهر للناظر من الحوكأه خيط هصى على فرش من سندس خضراء .

فزل الملك پترا على تل . فادا هو مدار مفردة بنيت على هضة عالية . فوصل إليها وقرع الباب . فخرحت امرأة عجوز ، واستقبلته بمحاوة واحترام يليق بشأن الضيف العظيم . فوضع الملك ديارا فى يدها وسألها عن القيام فى دارها لمدة من الزمن ، فلعلى الله يحدث بعد ذلك أمرا . فكثت عندها حتى جاء الصيف وقوى سلطان الحر ، حر يلصق الوحوه ويذيب الصخور . فاحترق به آخر وردة فى الحدائق وآخر ورقة على الأشجار . ثم جاء الخريف وجرد الشجر من الورق ، والقلب من المرح . ثم مد الشتاء يده الباردة على الأرض ، فقبض على ما فيها من الحيوان والنبات ، وشابت لهوله رؤس الجبال بتراكم الثلوج . واشتد البرد القارس ، برد يجمد الريق فى الاشداق ، والدمع فى الاماق . ثم تبسم

الربيع وألبس الأرض حلالاً جديدة من سدس خضر. فأورقت الأشجار
وتفتحت الأزهار.

ورد الربيع فرحاً برورده • ونور بهتته وبور ورورده
وبحس مطره وطيب نسيه • وأبق مسمه ووثنى برورده
والعص قد كسى العلائل بعد ما • أخذت يدا كاون في تحريده
بال الصا بعد المشب وقد حرى • ماء الشبية في مات عوده

فارتاح الملك الشاب يترا قدوم الربيع، ولكن قلبه لم يرل حرياً كثيراً،
ولم يدحل إليه الربيع بماطره الرائعة الجميلة وروائحها الطيبة الزكية. لأنه كان
يشتاق إلى من يسليه في حلوته ويرافقه في عرته فعرست المحور بما كان يدور
في قلبه، فقالت .

« يا بى. أطل إلك تحتاح إلى قرية فائقة الجمال لتسكن إليها وتنت لها ما في
قلبك من عواطف الحب فان ملكها له بنت وهى بين أترابها كالقمر بين المحوم .
واسمها « باتلى »

فبينما كانت المحور تصف للملك جمال بنت الملك العنان إذا بسهم من إله الحب
احترق قلبه فقام بالأميرة قل أن يراها، وقضى ليلته هارح الصر يتطرطلوع
الصحر فلما تبين بياض الصحر على الأفق، وضع الملك قدميه في الحذاء السحرى
وطار في الحو إلى حبة قصر الأميرة ثم رل أمام بابها ونظر من هناك إلى
جمالها الرائع وكان بياض حديها حيداك يشبه بياض الثلج الطاهر النقى على
جبال همالايا وازداد وحبها روقاً وبها حين انعكست عليه حمرة شفق الصبح .
فكانت في حس مطرها كما قال الشاعر :

خطرت، فقلت قضيب بان حركت • اعطافه بعد الجنوب صبا

ودنت، فقلت غزالة مذعورة * قد راعها وسط العلاة بلا.
ودنت، فقلت البدر ليلة تمه * قد قلده نخومها الجوزاء
بسمت، فلاح ضياء لولوه ثعرها * فيه لدا العاشقين شفاء
سجدت تعظم رها، فتمايلت * لجلالها أربابا العظام

فاداه الملك پترا، فهضت من نومها مذعورة. ورأت أمامها شأناً تمثل
في شخصه إله الحب بحماله الساحر فلم تزل تنظر إليه حتى أصيبت بسهم من
حب الفتى ثم سأله من هو، وكيف وصل إلى قصرها الذى لا يمكن لأحد
أن يجترئ على دخوله ؟

فقص عليها الفتى قصته بأنه ابن ملك نقي من مملكته، وأنه تحول مدة من
الزمن في الوادى والقفار. ثم بحسن الحظ حصل على الأشياء الثلاثة التى لها
أثر سحرى هائل. وأنه وصل إليها باحتداه الحداء السحرى الذى هو من حملة
تلك الأشياء

فتمطعت عليه الأميرة، وأخذت يلتقيان في شرفة القصر الملكى كل مساء.
ويتحدثان ويتفكران في أحسن طريق لإطهار حهما على أبيها، وإن نجحا في مرامهما
كيف يقضيان حياتهما، لأنه لم يبق للملك پترا مملكة يحكم فيها، ولا قصر ملكى
ياوى إليه، ويعمل الأميرة باتلى ملكة يسكن إليها ويعيش معها عيشة راضية مطمئة.

إن طريق الحب هو أشد وعورة وأعظم خطورة. ففي يوم من الأيام بينما
كان المحبان يتحدثان ويتبادلان أسرار الحب، رأتهما حادسة الأميرة، فأخبرت
الملك بما رأت. فأمرها الملك أن تدر حيلة للقبض على الفتى. فاخفت الحادسة
في زاوية من زوايا الشرفة. فلما قام پترا وودعها ليلتها، قامت الحادسة خلفه
ورسمت على عابه علامة حمراء من غير أن يشعر بما فعلت.

وفي اليوم التالي دخل رجال البوليس كل بيت في البلد للقبض على پترا
حتى وصلوا إلى بيت العجوز وقصوا عليه بالعلامة الحمراء على عباة، وساقوه إلى
قصر الملكى. وأحضروه في المحكمة أمام الوزير. فحكم عليه بالاعدام قائلاً:
«لا يكون عقاب من يعتز على أن يحب بنت الملك إلا الموت».

فقال پترا للوزير

«بفضلك أمهلنى ساعة حتى أذهب إلى البيت وأودع أمى العجوز وداعاً لا

لقاء بعده».

فأجاب الوزير هدا الطلب، وأرسله إلى بيته في صحة رجال من الجند.
فقام الحند على الباب ودخل پترا البيت. واحتدى الحذاء السحرى، وأخذ
الكأس والمصا وطار في الجو إلى حمة قصر الأميرة.

ودخل عرفتها فرآها تنكى بكاء مرأ بعد أن سمعت من حكم اعدام محبا.
فلما رأته قائما بين يديها حسنته حياءاً تحسم أمامها. فقال لها پترا.

«على أيتها الحبة ولا تصيبي الوقت. فليسا أن مخرج من هنا بالعور،

وطير حيث نشاء».

ثم أخذ بيدها واحتدى الحذاء السحرى وطار بها على الأودية والجمال
والسهول، حتى رلا في سهل فسيح والخور قد أخذ منها كل مأخذ. فأخرج
الكأس فاذا فيها ما يحتاجان إليه من الأطعمة الشبية. فأكلا منها حتى شبعوا.
ثم لما علت پاتلى ما كان للمصا من الأثر السحرى، قالت لپترا:

«كيف يمكن لنا أن نعيش هكذا وليست لنا مملكة يحكمها ولا عاصمة نسكن فيها؟»

وأمرته بتخطيط بلدة عظيمة بتلك المصا، بشوارعها، وبيوتها، وأسواقها،
وأبنائها، ومعابدها، وقصورها، وجددها، وأفراسها، وأبقالها. فلما فرغ من تخطيط

البلدة انقلبت الأرض وارتفعت الرمال وانخفضت، وبعد هنيئة اقشعت سحب الغبار وظهرت بلدة عظيمة آهلة بالناس بكل ما يلزم للعاصمة من الابنية العالية، والقصور الشاخنة، والشوارع الواسعة، والأسواق الجميلة وغيرها. وسميا اللدة باسميهما د باتلي پترا..

هكذا نشئت بلدة باتلي پترا، بلدة الجمال، والثروة، والعلم في تاريخ الهند
الدهى القديم.



الهند في فترة ما قبل التاريخ

تكوين طبقات الأرض

يجب أن يطرأ إلى الهند في فترة ما قبل التاريخ من الناحيتين الطبيعية والانسائية. فشكل الهند الجغرافي كما نشاهده اليوم على الخريطة الجغرافية لم يتم تكوينه في يوم واحد، بل إنه جاء نتيجة لحقبة طويلة من التطور الجيولوجي أو التكوين الأرضي. كانت الأرض مثل الشمس، كومة متحركة مختلقة، لم تندو عليها أى بلد من البلدان كالحمد مثلاً، كما أنها لم تكن تضم على أية حياة أو أشكال محسنة وقد اصطلاح علماء طبقات الأرض على تقسيم أدوار تكوين الأرض إلى أربعة عصور، كل منها قسم بدوره إلى عصور متفرعة مخصوص الحياة.

والعصور هي:

- ١ - أزوي (Azoi) العصر الذي لم تكن فيه الحياة على الأرض؛
- ٢ - بالوروي (Palaeozoic) العصر الذي شاهد ظهور أنواع من الحياة أولاً في شكل حيوانات عديمة الفقرات كحامل الحمر، ثم بعد ذلك كالسمك والأفاعي والطيور، وظهر أشجار وعائات هائلة التي أصبحت معادن الفحم في الأرض؛
- ٣ - ميسوروي (Mesozoic). العصر الذي شاهد نعت الحياة في أطوارها المتوسطة؛
- ٤ - كينوروي (Cainozoic). العصر الذي شاهد الحياة في أطوارها الحديثة والذي تطورت فيه الحيوانات اللبني التي انبعت منها الإنسان.

والثابت أن الحياة بدأت تظهر على الأرض عندما أخذت الأخيرة تبرد وتتحد وتتصلب. وقد تسمى للأرض أن تبلغ شكلها الحالي بفضل الزلازل وثوران البراكين، وتقلبات الجو والطقس. وهذه الصورة أخذت الهند شكلها. فقد تم نأتها تدريجيا. وبعض أحزائها قديم العهد — الأجزاء التي تجمدت في بداية الأمر. فلها أساس صحري قديمة كقدامة الوجود. والسلسلة الصحرية تمتد عبرها من الشمال إلى الجنوب. وحر الهند الذي على شه الجزيرة، والدكن. وجنوب الهند هي من أحزائها القديمة. وإن السهول التي تؤلف شمالي الهند هي حديثة العهد بالمقارنة، والجرف الذي على شه الجزيرة كان في البداية جزءا من قارة أخرى يسميها علماء طبقات الأرض بـ «گودوانا» (Gondwana) وكانت تمتد هذه القارة من أفريقيا الجنوبية، مارة عبر استراليا، حتى تنال أمريكا الجنوبية. ويستدل على ذلك من مماثلة البقايا المستخرجة من حفريات الأرض في جميع هذه المنطقة. وكانت سلسلة الجبال الغربية (Western Ghats)، بمثابة سور بين الجزئين: الشرق والغربي لقارة گودوانا. ولهذا نجد أن مياه الأنهر في شه الجزيرة الهندية تجري من منابع لها قرية من نحو الغرب في اتجاه معاكس حتى تصب في خليج بعال. وفي الشمال كان بحر المحيط الأوربي — الاسوي المعروف بمحيط تاتيس (Tethys). قد اكتشف هذه المنطقة بأسرها ناداً من أوروبا الوسطى على طول آسيا الصغرى إلى الهند الشمالية وربما. أما في الهند فكان «أراوليس» (Aravalis) الوحيد الذي أطل على هذا الأوقيانوس. والمشابهة التي توجد في البقايا الأثرية من حفريات الأرض في أماكن مفصلة متباعدة كالصين، وأواسط همالايا، وربما، تشير إلى عدم وجود أي حاجز في التقلات في الأوقيانوس. وبعد فترة طويلة من الزمن وقعت الهزات الأرضية الابتدائية لرسم الجبال وتشكيلها. فنقهر وتراجع أوقيانوس تاتيس باتجاه غرب، وأخذت أرضه ترتفع، والأراضي على جانبي الأوقيانوس أخذت تقرب بعضها إلى بعض.

أما الوديعات الباعمة في البحر التي حالت دونهما، انطوت وتخطمت وتقلبت في صورة جبال الهند هماليا، وحال فارس، وحال كارپاثيا (Carpathia)، وجبال آلپ (Alps). وكانت الحركة الرئيسية إرتجاع آسيا إلى الجنوب واندفاع رواسب البحر صد ككتلة الهند الراححة، أى النواحي الشمالية في شبه الجزيرة الهندية التي تحملت شدة صدمة الهرة، وتكررت شيئاً ما، وتشاركت في الانكماش والانطواء. ويرى علماء طبقات الأرض آثار هذا الانكماش والانطواء في أواسط حال هماليا حتى في أعلى قممها وفي منخفضاتها حول شملا (Simla). وذلك على نفس النحو الذى يشاهد في الرواسب الحرة المطوية في الحرة الشمالى من قطاع دهره دون - شملا - اسبتي (Dehradun-Simla-Spiti)

وقد نشأت في نفس الوقت، الأراضى الواقعة بين حال هماليا والمرتفعات الدكية فسطحات الأراضى في النواحي الشمالية من الهند نشأت وتكونت بعد فترة طويلة من العصور، وذاك من نعتة الانخفاض أو البحر تدريجياً بالمواد التى حرفت من أعلى التلال الشمالية فكان هالك فترة طويلة بعد أن أحدث الهند شكلها الحمرافى الحاصر إلى أن طهر آدم في الهند ليرتب تاريخها. فبدأ التاريخ البشرى عمدة طويلة بعد أن اكتمل تاريخ البلاد الطبيعى وتمهدت الظروف الداعية لظهور آدم

مؤرخى الثقافة في ما قبل التاريخ

المصور المجريه

إن المواد المختلفة التى كان يستخدمها الانسان لسد حاجاته الأولى تدل على المراحل المختلفة التى احتارها في تاريخه الدائى. وتوحد هذه المواد في الأغلب في المعدات، والأسلحة، والأحراف، والقصور. وكان هذا المواد في المراحل الأولى يصنع من الحجر ويحت بصورة حشنة. وقد عثر عليه في الغالب إلى

جانب بقايا الحيوانات المقروسة . وعلى هذا الأساس فان أقدم عصور الثقافة يعرف بالعصر الحجرى القديم .

ويليه العصرى الحجرى الجديد الذى يتميز بالتحسس الذى طرأ على صناعة الأدوات الحجرية التى قطعت ونحتت ثم صقلت على وجه أيق ، ولها صلة مع بقايا الحيوانات غير منقرضة . ويتميز هذا العصر باستعمال الفخار التى كانت تصنع ماذى ذى يده بالأيدي ، ثم بعد حين على الدواليب . وكما يتميز أيضا بتكريم الموتى بدفن حشهم فى قور صعت من حجارة ذات أحجام ضخمة . ويتضح من كل هذا أن هوة سحيقة من الرمس قد حالت بين العصرين الحجريين . أما الأدوار التالية فى الارتقاء فتكونت بسرعة وبدون شعور بها — العصور التى امتارت باستعمال الحاس ، ومركاته (البرونز) ، والحديد .

وقد اختارت الهدى كآى بلاد أخرى فى جميع مراحل التطور المشار إليها . ولكن يبدو أنها فاتتها العصر البرونزى (إلا فى أماكن قليلة) واستعاضت عنه بعصر كالعصر الحاسى .

والواقع أن بقايا العصر الحجرى القديم فى الهدى نادرة . ولم يعثر عليها إلا فى المنطقة الدكية والهدى الحنوية على اعتبار أن هاتين المنطقتين من أقدم مناطق الهدى من ناحية تكوين الأرض . وقد عثر على هذه الأشياء فى بطن طلاقات من الطوب والعظام الواقعة ٥٢° حوبى خط العرض الشمالى ، وهى مصنوعة بمادة من الصوان . ولذلك مسمى الانسان الذى عاش فى العصر الحجرى القديم بالانسان الصوانى . وقد عثر على عدة أدوات صوانية قريب مدينة مدراس واوتنگول فى فى مقاطعة گنتور ، وأخرى فى كداپا التى كانت هضل صخورها الصوانية مركز ثقافة العصر الحجرى القديم ، كما كانت بلارى موطن الثقافة الحجرى الحديد .

لقد عثر على بقايا العصر الحجرى القديم منعزلة فى عدة من الأماكن

الأخرى. كما عثر على أداة جميلة الصنعة يضاوية الشكل نحتت من الصو
وادي «رمادا» في ما بعد الطقة الثالثة الرمادية التي تضم بقايا جاموس الهر
من الحيوانات المنقرضة وعثر أيضاً على رماد العقيق اليباني في مكان عائر
وادي «گوداوری». وكذلك اسفرت أودية «كون» الصيقة في منطقة من
عن أدوات يعتقد أنها تنتمي إلى العصر الحجري الحديد بسبب محل وجو
وعثر على شوكة سمكة مسنة صنعت على شاكلة رأس السهم في حفر
راسب هرگمگا في مقاطعة عاری پور، تحت طقة تضم أدوات مصقولة
العصر الحجري الحديد.

إن رجال العصر الحجري القديم ألرموا أنفسهم بالمناطق الصوایة كسوا
گوداها ومدراس، بينما رجال العصر الحجري الحديد انتشروا في جميع أ
الهد. وقد رنت محلاتهم بالانتساع كما يلي.

١- «صواب قصارى، أو أدوات حجرية صغيرة الأحجام، تتراوح طر
بين نصف بوصة وبوصة ونصف وقد صنعت على شاكلة رأس رخ،
هلال، أو على أشكال معقدة. والظاهر أنها غنيت لتوافق تركيب قضة.
خشب عليها لمختلف استعمالها وقد عثر على كمية منها في تلال «وبديا» و
ماگلکند، وربوا، ومرراپور على العموم، وفي بطون الكهوف أو الملاحي
الصحري مع الرماد أو لحم المدفأة أو في أكرام القبور، إلى جانب هياكل
كاملة أو أوان فخارية حشة. وعثر على فأس مستغرب من البرونز صن
على شاكلة أزميل، مرتفع الأكتاف في چوتا ناگپور، وآسام، وبكثرة في
رما، والهد الصیة، وشبه جزيرة ملایا.

٢- مصانع الأدوات: قد عثر على مراكز متعددة تضم مستعمرات العصر الحجري
الحديد ومصانع الأدوات في حوب الهند. وهذه الأدوات قد تم حقلها

8
r-



رسوم من تراب معدني أحمر أو من أحجار الدم. تمثل
الأيل، والتمساح والصيداين - (من مجموعة بي سي راى)

على ما يبدو من صخر بلورى وعليها محاذ يتراوح طولها من عشرة بوصة إلى أربعة عشر، وعمقها حوالى بوصتين. وعثر أيضا بكثرة في هذه المستعمرات على نوع ممتار من الأواني الفخارية المصنوعة بواسطة الدواليب، وأيضا مساح صنعت من الحجر وقطع من أحجار الدم لصنع الألوان.

١- مقاطف الكومات الرمادية الموحدة في مقاطعة بيلارى من أعمال جنوى الهند. والمفترض أن هذه هي نتيجة دبح الحيوانات وحرقها بأكملها. وقد اسمرت عن أدوات ترجع إلى العصر الحجري الجديد.

٤- علامة الأكواب أو نحت نقوش على الأحجار والصخور وهي توحد في أماكن عديدة من الهند

٥- رسوم مصسوعة من تراب معدنى أحمر أو من أحجار الدم. وهي تتوفر:
(أ) في تلال وديا من أعمال مقاطعة ميرراپور ممثلة بمص الصيادين مصحوبين برماح مسدة. وقد هموا بالانقضاض على الكركدن المقرص.

(ب) في كهوف مقاطعة هوشك آنادء تمثل ررافة.

(ت) في تلال كايمور، وهي تمثل صيد الأيايل.

(ث) في سنگپوره، وهي تمثل حيوانا على شاكلة الققر، وأيضا على شاكلة حصان أو غزال. وكثيرا ما تشابه الرسوم الاسبابية في العصر المماثل. وإن هذه الرسوم التي هي من ما قبل التاريخ، يعثر عليها إلى جانب الأدوات التي كانت تستعمل في العصر الحجري الجديد.

٦- القور: بينما هجر أهل العصر الحجري القديم حث موتاهم في العابات، كان يصرفها أهل العصر الحجري الجديد بطريقة الدفن المتمدنة. ولكن المقابر التي ترجع إلى العصر الحجري الجديد قلما توجد في الهند. ولقد عثر

على هيكل لجنة بشرية إلى حاب أدوات مصقلة مصنوعة من الفجار والرجاج في تربة بيميراپور ووجود مقرة تصم ٥٥ قرا مع بعض الأدوات الفخارية في مقاطعة كولا، وفي تافرام على مقرة من مدراس عثر على أكوام من تراب التي تصم نوابت الموتى الفخارية، منها على شكل مستطيل للاناث، وأخرى على شكل الكمثرى للذكور، وكانوا يدهون على صورة مكشنة. وفي أماكن أخرى من مقاطعة مدراس مثل چگل پیت، وویلور، وارکوت عثر على نوابت فخارية مستطيلة مثلها، ولكن مصحوبة تارة بأدوات حديدية. وتوحد القصور الحجرية ذات الأشكال المختلفة في كل مكان في مدراس، وبومباي، وميسور، ومقاطعة الطام الدكية، وإن كانت أعليتها ترد إلى فترة ما بعد العصر الحجري الحديد نظراً للأدوات الحديدية التي تصمها. كما أنها تقيم الدلائل على حرق حث موتاهم وكذلك حرق أهل العصر الحجري الحديد على طريقة دهن موتاهم في الأوعية ولكن الأوعية لم تصم رماد احداث محروقة بل حثاً كاملة صغرت في الحجم بالسحق أو القطع. وفي اديچلور من أعمال مقاطعة يتن ويلي الواقعة على سهر نمارپري عثر على مقرة واسعة تلعب مساحتها حوالي ١١٤ : ايكر، (أى ٤٨٤٠ يارده مربعة). يصم كل ايكر منها حوالي ألف أوعية مدفونة تحت الأرض. ولا بد من أن أحراء من مدينة المقار هذه يرحع إلى العصر الحجري الحديد نظراً للأدوات الحجرية التي تضمها. ولكن القسم الأعظم منها حديث العهد بكثير نظراً للأدوات الحديدية الموحدة فيها، وأدوات الزينة المصنوعة من البرونز ومن الذهب أيضاً. وتوحد أمثال الدهن في الأوعية في رهمن آناد من أعمال السند أيضاً.

المصر السحاسي

كان العصر الذي تعاقب على العصر الحجري عصرًا حديدياً في جنوبي الهند،

وعصراً نحاسياً في شمالي الهند. وعلى ما يلوّح لم يكن هنالك عصراً برونزياً قبل العصر الحديدي في الهند إلا في السند كما سيأتى. والبرونز يتألف من تسعة أجزاء من النحاس وجزء من القصيع. إن الأشياء المتعددة المصنوعة من البرونز التي اكتشفت في المقابر الأثرية في جنوبي الهند هي أشياء تدل على رغد العيش، كالطاسات ويعتقد أنها إما ترجع إلى عصر متأخر أو أنها مستوردة. ولقطة من نحاس، أتت من قرية كنجيريا في الهند الوسطى. واللطة تحتوي على ٢٤ أداة نحاسية حد قرية في الشبه بالأدوات النحاسية القديمة في أيرلندا، يرجع تاريخها إلى ٢٠٠٠ عام ق.م. وقد صم الكنز لوحات من القصعة تحتوي على أقراص مستديرة، وتمثيل رأس ثور بقرنيه ولا بد أن هذه القصعة كانت نادرة في الهند، فلعلمها كانت مستوردة. أما النحاس فيوجد في الهند، والمعتقد أنه هو المراد به أيا، الأحمر المذكور في رگويدا وبالأصافة إلى الكنز في كنجيريا المحتوية على الأدوات النحاسية قد عثر على أدوات قديمة، وصارات، وسيوف، ورؤوس رماح مصنوعة من نفس المادة في مقاطعات كاپور، وفتح كره، ومي پور، وماتور، بل في جميع المواضع في شمالي الهند بأسرها، أى تقريباً من نهر هوكل (في الشرق) حتى الجانب الأقصى من هرايدس (في الغرب)، ومن منخفضات حال هماليا حتى مقاطعة كاپور.

استخدام الحديد

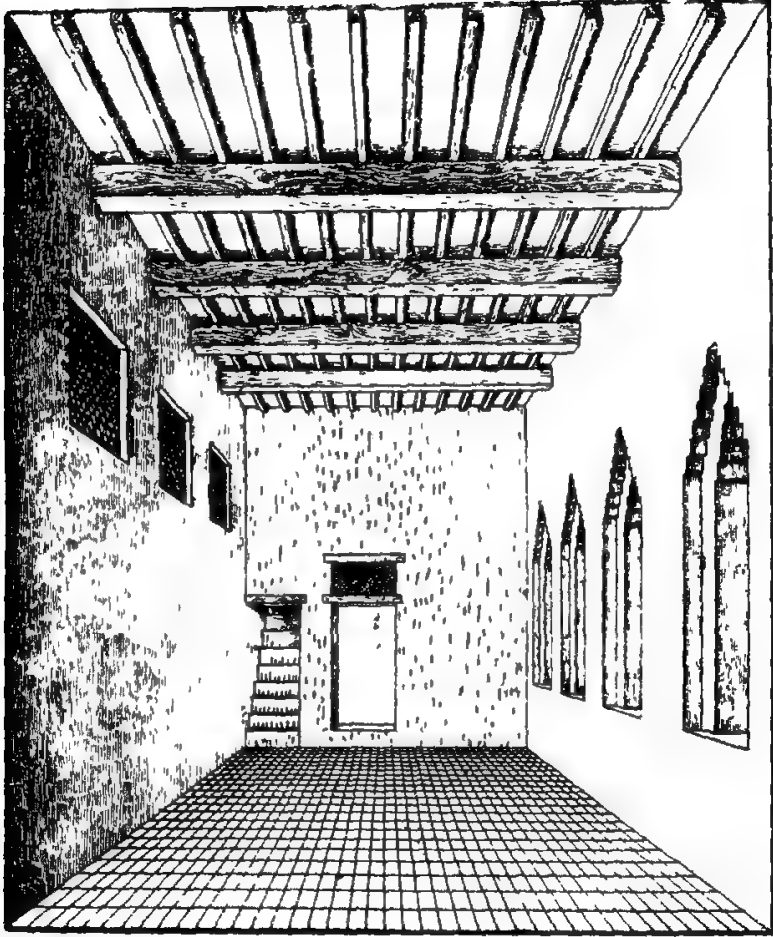
سبق شمالي الهند في استخدام الحديد على جنوبي الهند، كما سبق البابليون في استعماله على المصريين. وقد أشار إليه اثرواويدا الذي ليس متأخراً عن ٢٥٠٠ عام ق.م. ويقول هيرودوتس: إن الجنود الهنود الذين حاربوا في أوروبا ضد اليونان في سنة ٤٨٠ ق.م. تحت قيادة الإمبراطور الإيراني اكزرسيس (Xerxes) قد استخدموا أسهما من خيزران ذات رؤوس حديدية. وفي

الفزوات التي شنها الاسكندر على الهند فيما بعد، فان الهندو - حسب ما رواه المؤلفون اليونانيون - حذقوا استخدام الحديد وال فولاد كاليونانيين أنفسهم. وقبل أيضا أن بعضا من رعاء مقاطعة پنجاب قدموا إلى الاسكندر هدية مائة « تيلنت » (كل تيلنت يساوى ٨٤ رطلا) من الفولاذ.

حصارة إندس (Indus)

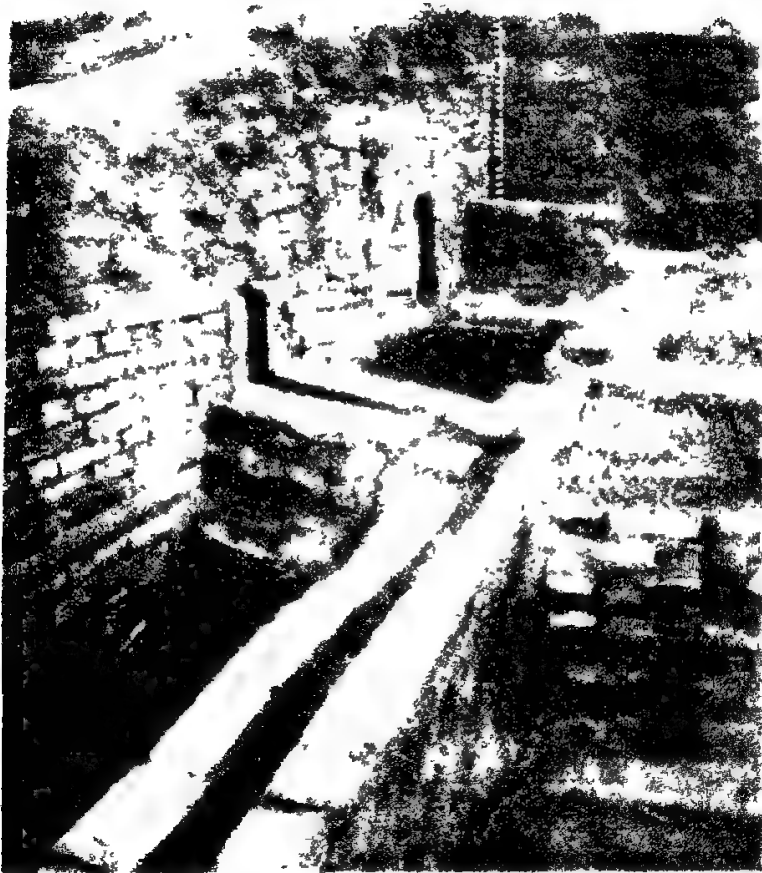
٢٧٥. إلى ٢٧٥. ق م.

كانت لدينا شهادات صئيلة عن فترة ما قبل الساريج معثرة في طول البلاد وعرضها، إلا أن التقييات الأثرية التي أحررت في المنطقة كشفت القاب مؤخرا عن مجموعة كبيرة محتشدة مقعة من الشهادات في مركزين. هما « هارابا » الواقعة ما بين لاهور وملتان، و « موهوجودارو » (أى مقام الموتى) الواقعة في مقاطعة لاركانا في السند. ويستدل من هذه القرائن على قيام حضارة كاملة يمكن أن يشار إليها بحضارة إندس القائمة في مقطة دات مياه وعانات، وادرة في ما مضى مما هي الآن. إن الأمطار في السند في تلك العصور القديمة كانت أشد غزارة مما هي عليه الآن بدلالة استخدام اللسات المحروقة في العرن لتغطية الجهات المكشوفة من مبانيهم القديمة، واستعمال اللسات المحففة في الشمس في تعنته القواعد وملتها لكي تحفظ من العوامل الحوية. ودلالة أخرى هي أختام رسمت عليها صور للحيوانات التي تسكن غابات كثيفة. ودلالة أخرى هي نظام متقن لمجارى المياه الذى أقيم في المدينة. وكانت منطقة السند في تلك الحقبة من التاريخ لا تستمد مياهها من نهر إندس (ومروعه) بحسب، بل من مياه نهر آخر هو نهر مهران العظيم الذى بقى جاريا حتى القرن الرابع عشر الميلادى. وكان هذان النهران يقسمان في ما بينهما كميات المياه الضخمة المصبية من الأنهار الخمس الواقعة في مقاطعة پنجاب. وإليها يعود الفضل مبدئيا في قيام هذه المدينة القديمة في



المطر الداخلي للقاعة في موهجودارو

نقار حصارة إندس - ٢٧٥٠ إلى ٢٧٥٠ ق م



نقارى فى موهجودارو

السند. وعلى نفس النحو عثر السير اوريل ستائن (Sir Aurel Stein) على بقايا مستعمرات واسعة غنية، تشير عهدها إلى ما قبل التاريخ في إحدى المناطق المجاورة لجنوبي بلوچستان. وقد استمرت رفاهية السند وإزدهارها حتى عهد امپراطور فارس في القرن الخامس ق. م. (كانت السند في عهده مقاطعة لها)، وفي عهد الاسكندر الأكبر الذي رآها حزماً أكثر ترعرع دون غيرها من أجزاء الهند تحت الحاكم موسيكالوس (موشيكاً أو موچوكرناً؟). وهذه المنطقة كانت معرضة للفيضانات كما يستدل على ذلك بالأسس الراححة والردفات العالية التي استخدمت في بناءات موهجودارو.

قامت على سطح الموضع الذي عليه موهجودارو سلسلة من قمم يتراوح علوها من ٧٠ إلى ٢٠ قدم. وفي المساحات الواقعة ما بين هذه القمم وبين مستوى المياه في نهر الأرض، عثر على سبع طبقات من القايا، يرجع عهد الثلاثة الأولى منها إلى عصر حديث وثلاثة أخرى إلى عصر متوسط قله، وأما السابعة فترجع إلى العصر الابتدائي. والمعتقد أن بهاك طبقات أخرى أكثر قدماً من هذه الآثار دفنت تحت المياه على عمق ٤٠ قدماً من سطح الأرض، على أن الطبقات التي اكتشفت إلى الآن على قيام حضارة كاملة ترد أسسها ومبدأها إلى فترة أقدم أي إلى ما لا يقل عن ألف عام.

غاياما: مايبا

وهي تحتوي على أماكن للسكنى وأماكن للعبادة وحمائم عامة شعبية للأغراض الدينية والدينية، ودار أخرى واسعة فسيحة على شاكلة القصر واجهتها ٨٥ قدماً وناحيتها القصوى ٩٧ قدماً، ولها قاعة فسيحة للاستقبال ومدخل واسع، وغرفة البواب، وحوش تبلغ مساحته ٣٢ قدماً مربعاً تحيط به غرف في الطابقين الأعلى والأسفل مرصوفة بالطوب، ولها مجرى مغطى يتصل بمحاري عامودية

تصب مياهها في آية مخارية دفنت تحت رصيف الحوش لمستراحات الطبقة العليا. وهناك مبان أخرى متسعة غاية الاتساع عها، ويحتمل أنها هياكل المعابد. وعثر أيضاً على قاعة فيها ٢٠ عموداً من الطوب تبلغ مساحتها تسعين قدماً مربعاً، ويرجع عهداً إلى الحقبة الوسطى.

ولكن أروع بناء هو المعسل الكبير الذى يستعمل كدائرة مصحة مائية رسمية، وقد أصبحت إليه ملحقات عديدة ويتألف هذا المعسل

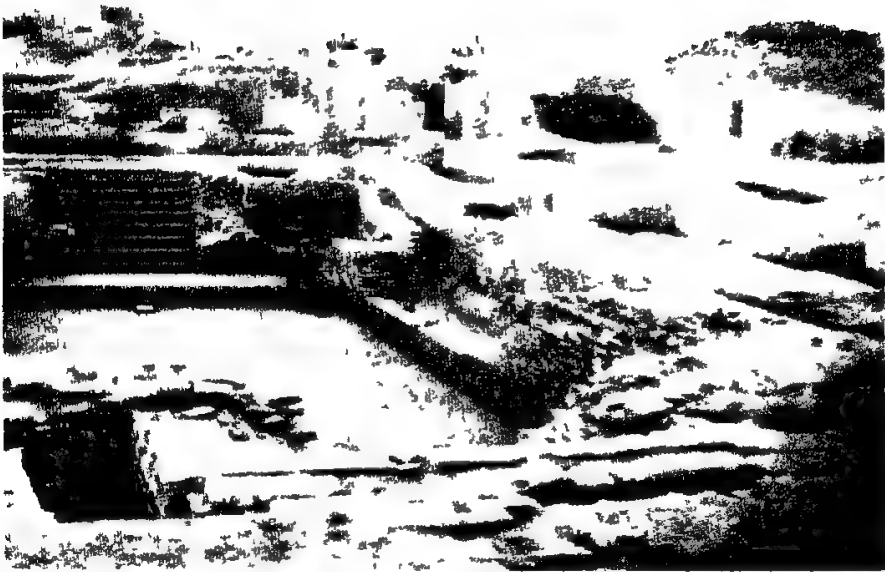
(أ) مساحة مربعة مفتوحة ذات زدهات تسعها دهاليز وعرف من جميع الجوانب.

(ب) معسل للساحة بطول ٣٠ قدماً وعرض ٢٣ والعق ٨ أقدام في وسط المساحة المربعة، وله مجموعة من الدرج في الأطراف.

(ت) طقه علياً من الخشب بدليل العجم المحرقى أو الرماد الذى عثر عليه.

إن تشييد هذا المعسل للساحة يعكس فصلاً واف في الكفاءة الهندسية في ذلك العصر. ولكي يكون مسبكاً وتدعماً لأسسه، قد صنع ناطه من الطوب الناعم المعطى لطقه من طين الحس يلع سبكها أربعة أقدام، ودعمت هذه لطقه سبكها بوصة من القير الذى لا تؤثر عليه الرطوبة، ثم عررت من ورأها بخدار حفيف آخر من الطوب المحروق، وأتى بعدها حشرة من الطوب الحام، وعليها مرة أخرى سور مستطيل من الطوب المحروق الذى أحاط الجميع. ولهذا بقى هذا الخوص محفوظاً إلى هذا الحد إلى الآن، بعد أن انقضى عليها زهاء خمسة آلاف عام.

ومن إضافات هذا المعسل الكبير يفرض وجود حمام أو مغسل في الهواء الدافئ، فهناك آثار جدران قصيرة تحمل أرض الحمام، ومداخل عامودية لتدفئة الغرفة دلالة نظام التدفئة بمحرق تحتاني.



المعبد الكبير

1

آثار قديمة أخرى، ومصرن لطيفة، وصاغات

إن نمو هذه المدن الابتدائية توقف على العوامل الزراعية والتجارية. وهناك عينات قمح وشعير أخرحت من الدهس كانا يزراعان في ذلك الحين — وعينات مسحوق ورحى من أحجار غير مستديرة لطحها. وكانت تزرع أيضاً شجرة التمر، بدلالة ما عثر عليه من النوى.

تألف غذاء سكان إندس من لحم الحروف، والبقر، والخنزير، والطيور، ولحم السلاحف البحرية، والبرية، وأسماك الأنهار، أو ما حى بها من الدهر. وقد عثر على عظام أو أصداف كل هذه الحيوانات في الحرائب.

ويستدل من بقايا الهياكل أن الحيوانات التالية كانت تدعى في ذلك العصر: الثور الأحذب، والحاموس، والعم، والفيل، والحمل، والخنزير، والدجاج، ويمكن أن يكون الكلب أيضاً.

واكتشفت أيضاً القايا للحيوانات البرية التالية: النمس، والثراب (شبه الباعار)، والفأر الأسود، والایل، وتمائيل، صغيرة لحيوان يرى يشبه الثور، والكركدن، والهر، والقرد، والذب، والأرب.

المعادن ومادها

قد استعمل الذهب والفضة، والنحاس، والصفیح، والرصاص، إلا أن الحديد لم يك معروفاً على الإطلاق وقد تبين أن الذهب المستعمل يتضمن حلقة من الفضة تعرف بـ «إلكترون» (Electron) ولا بد من أنه تسرب إلى البلاد عن طريق التداول التجاري من أماكن كولار، ومانتاפור في الجنوب مثلاً. فالذهب من هذا القسم يوجد هناك. وكان الذهب يستخدم في صنع الحلى.

والنحاس الذى استعمل في معية الرصاص لا بد، وأن كان مستورداً من راجهوتانا، أو بلوچستان، أو إيران، التى توجد فيها الرصاص بمعية أحجار النحاس

المعدنية. والآن استيعص الحر بالنحاس في صناعة الأسلحة، والأدوات، والآنية المنزلية كزؤوس الرماح، والسكاكين، والعاسات، والأزميلات؛ أو الحلى كالأساور والحلقات وغيرها. وقد وهد الحاس ها في الطقة الابتدائية أقدم عهد بكثير من ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد. ويثت استعماله على نطاق واسع في العصور الابتدائية بكثير، بالأدوات المصوغة من الحاس المدقوق التي وهدت منها ٤٢٤ قطعة في كنجيريا كما ذكرها آها.

أما الصميج فلم يستعمل بداته بل كان يحلط مع الحاس لانتاج البروز المحتوى على ٦ إلى ١٣ في المائة من الصميج. وكان البروز يؤثر على الحاس في صناعة الأدوات ذات الأطراف الحادة أو لألطف إحماز. وحيث إه اكتشف في الطقة الابتدائية القديمة فلا بد أنه كان مستعملا قبل عام ٣٠٠٠ ق. م. وهذا ما يرر الطرية القائلة بأن الهد لم تعهد عصراً روزياً بالكلية. إن الموارد التي كان يستمد منها البروز والصميج المستعمل في مناطق السند كانت خارج الهد، وكانت تقبل إلى الهد من إيران الشمالية وأفغانستان العربية، عن طريق «ممولان» (Bolan Pass). ومقاطعة هزارى باع كانت المصدر الوحيد في المسد على أنها لم تكن في متاول سكان إندس نظراً لعدد المسافة التي تفصل بينهما.

واستخدام في البناء وأعمال أخرى أحجار مختلفة، أوقى بها من دافى الأماكن وأقاصيها. والحجارة الكلسية المستوردة من سكهو كانت تستعمل في تغطية المحارى كما أن تلال كرتار قدمت اللارم من الجبس الذى يستعمل كوة ورغام في صنع ستارات مشبكه، والأوانى، والتماثيل. واستخدمت الحجارة الصلبة من المناطق المجاورة، كصخر البلور والحجر التارى، في صنع المسحق والرحى، ووقبات الأبواب، والمتاقيل للوزن. ونحتت أحجار الصوان وسنت حتى

تصير مثاقيلاً وصقالات، أو شحذت لتستعمل كالكساكين، كما استعمل أنواع أخرى من الحجارة لصنع الخواتيم والتماثيل الصغيرة. أما الحجارة الصفراء من جيسلبير فهى المادة التى توحد فى التماثيل وغير ذلك من طقوس العادة. واستخدمت أنواع مختلفة من الحجارة الشبيهة بالكريمة فى صنع المساح وأدوات الريشة كالحجر اللورى، أو حجر الدم، أو العقيق الأحمر أو اليشب، أو اليشف، أو الزرحد. والحجر الأخضر الدقيق «امازون» (Amazon) الناعم ورد من مصدره الوحيد فى الهدى أى من دودابتا (Doddabetta) فى جبال نيلگيرى، والحجر الكريم الأزرق «أمانست» (Amethyst) من مصيدة دكية، والحجر اللازورد (Lapislazuli) جاء من بدخشان، والفيروز من حراسان، واليشم (Jadite) من حال پامير، وتركستان الشرقية، والتبت.

واستعمل أيضاً مواد أخرى كالعظم، أو العاج، أو الصدف، أو الحرف. وجاء الصدف من السواحل الهندية، والخليج الفارسى، أو البحر الأحمر.

ويستدل من مجموعة فلكات المعزل التى عثر عليها فى بيوت موهجودارو أن العزل كان عادة مألوفة بين عامة الطبقات العية والفقيرة على السواء. ودلالته التفاوت فى الفلكات المكتشفة بعضها عال من الحرف وأخرى رخيصة من الفجار أو الصدف. أما المواد التى استخدمت فى صنع المسوجات فلكات الصوف والقطن وقد دلت التحقيقات العية حول كسرات من القطن وحدت ملتصقة بوعاء صمى على أن القطن المستعمل فى ذلك العصر يشابه القطن الهندى الحالى الحشن بما يتميز به من تركيبه الملفوف. وعلى هذا فإن القطن الهندى المحلى كان معروفا عند أهل بابل باسم «سندو» وعند أهل اليونان باسم «سندون». وإياه كان قطناً أصلياً، وليس قطناً من نتاج الأشجار حسب الاعتقاد السائد إلى الآن.

أما أزياء تلك الأيام فشملت الشالات كما نقش على تماثيل. وكان الرجال

طلقون لحي قصيرة وسوالف، وكاوا يخلقون شواربهم تارة كما كان في سومر، كانوا يرحون شعرهم إلى الورا. ثم يقدوها بمساعدة شكة ويتركوها في ظهر الرأس. وتارة عثر على غطاء للرأس تجمع إلى نقطة في طهره بصورة مجمدة أو غطاء أطول يحاكة ملفوفة وعثر على ثلاثة تماثيل للراقصات وقد لففن شعرهن في كومة بحيث تمر بالأذن اليسرى وتندلى على الكتف الأيمن.

وشملت الحلى في الدرجة الأولى القلادات، وعصابت للحين، والأساور، وحواتم الأمانل للرجال والنساء، والربار. والحلقات، والحلاخل. كانت الحلى تصنع للأعيان بالذهب، والفضة. والحرف، والعاج، أو بالحجارة الكريمة الوسطى، وللطبقة الفقيرة بالصدف، والعظم، والحاس، والمحار. وكان العقيق الأحمر يثقب بحدق ومهارة يستعمل كالحجرات في الربار

إن حصاره إندس تنمى إلى العصر النحاسى، وبرهانه استعمال الأسلحة والأوان الحجرية والنحاسية والبرورية في آن واحد. وكانت أسلحة الحرب والصيد القوس والسهم، والرمح، والعأس، والحجر، والصولجان على أن صنع السيوف لم يوصل إليها بعد ولا إلى الدرع لوقاية الجسم. ويذكر من بين المعدات الأخرى الطار، والماسحل، والمساشير، والأرميلات، والمواسى، المصنوعة من النحاس والبرور، والسكاكين والعأسات المصنوعة من المعدن المذكورين ومن الأحجار الصوابية والحجارة الصلبة. وبعض الأشياء الحجرية كالصحون والطأسات، والهربات، وصاديق الزينة، ولوحات ألوان المصور، والمصقلات أو المثقالات، وقد تركت مهارة عصر الحجرى أو النحاسى وراثتها بكثير.

ونظرا إلى قلة اللقطات من الأسلحة التى تستخدم في الهجوم أو الدفاع، يمكننا أن نعتقد أن سكان موهنجودارو لم يكونوا عسكريين إلى حد كبير، ولم تساورهم مخاوف بوقوع غارات عليهم.

ومثقات الوزن الابدسية، لها أهميتها. الصغار منها كانت مكسبة من حجر صوانى أو من الأزدوزار، والكار منها مخروطة الشكل. وكانت هذه المثقات أكثر إتقاناً واستقامة من مثقات إيلام وبلاد ما بين النهرين. وسلسلة نسبة بعضها ببعض كانت ثنائية في ابتداء كسفات سوسا ولكن اعشارياً في ما بعد، أى ١، ٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢، ٦٤، ١٦٠، ٣٢٠، ٦٤٠، ١٢٨٠. والمثقال المستعمل بكثرة كان دى سة ١٦، ووزنه ١٣٤٧١ حرام.

وكانت الأواني المبرية السائدة فخارية ذات أنواع وأشكال مختلفة: حمامات التقديم، والكؤوس، والمسحات وحرث التحريم، وأمثالها. ووجود عدد كبير من الكؤوس أو أقذاح الشرب يطهر عادة الابدسى — ولا تزال عادة همدوسية — أن تند الأقذاح بعد استعمالها للشرب مرة واحدة.

وكانت الأواني الفخارية الابدسية تصنع عادة على الدواليب، وتصنع باللون الأحمر والأسود. وبعضها كانت أيضاً معلولة، ومتعددة الألوان، ومصقولة. والفخارات المصقولة الابدسية هى أقدم بمؤدح من نوعها، وأيضاً من نوع صناعة ناعمة في العصور القديمة في العالم. وقد ظهرت في بلاد ما بين النهرين ١,٠٠٠ عام ق. م. وبعد ذلك بكثير في مصر. وصنعت ألوان فخارية متنوعة بكثرة، منها الخشيشة، والصفارات (على شكل الطيور)، وأحسام الرجال والنساء، والطيور، والعربات. وكانت الطيور مركبة على دواليب، والثيران مشددة إلى نير العربات. والعربات هى أقدم نماذج ما عرف من نوعها، كالعربة المقوشة على إحدى الحجارة في أور، (Ur) — (يوركها «وولى» Woolly) نعام (٣٢٠٠ ق. م.).

وأصحاب إندس قد اخترعوا الكتابة، واستعملوا طريقة كتابة تنمى إلى نفس النظام المتداول في ذلك العهد، شبه الكتابة التصويرية كما كان الإيلامى

(Elamitic) في بداية الأمر، والسميري (Sumerian) القديم، والمينوتي (Minoan)، والمصري وغيرهم. وقد عثر على ٣٩٦ علامة لهذه الكتابة، وما عدا ذلك نقوش على الشمع، والأحتام، وقطعات الخزاف، ولوحات نحاسية وأيضاً على الأساور الطيبة المرححة ووحدة «العلامات» مردوجة وعدلت الحروف باضافة حركات أو خطوط.

وتشاهد أيضاً مجموعة خطوط لن يتعدى عددها اثني عشر، وقد تكون لها القيمة اللغوية لا العددية. ويلاحظ أن الكتابة كانت من اليمين إلى اليسر، باستثناء ما يكتب منها للتكميل وكأن وفرة عدد العلامات تدل على أن الكتابة لم تكن مجانية بل كانت صوتية

وتبدو من الآثار والبقايا عدم وجود ذلك الجمال الذي ينشأ فيه الفن اللطيف. ولكن في الأشياء الصغيرة كالحواتم وغيرها يوجد بعض الفن ومن مودحها الثور الأحذب، والجاموس، وثور الحلاء فقتت على الختم، وأيضاً صورة ثور شاب قوى المطر نقش على الفخار، وكلب صيد قوى نقش على حجر الحرارة، والحروف الخالصة، والسحاب، والفرد المصورة على الأحكام. فهناك في هذه النقوش حقيقة ومعبها لطافة التلمط.

ولا تتوفر أمثلة متعددة من تمثال في للحسم الانساني. والتماثيل الصغيرة التي تتوفر من الفخار لا تدى أى لطافة في الفن. ومن التماثيل الحجرية - وهي قليلة - ثلاثة تستحق الذكر فالأولى منها تمثل عابدا (Yogi) وقد صنعت عيابه المفكرين على أصل الأنف. والثانية تمثل رأساً يبرز منه العظم الوجنى، ووحماً عريضاً ذا شفتين رقيقتين، ولكن الأذنين مثل صحنين، قبيحتان. والثالث تمثال جالس مرتدياً ثياباً. ويحدر ما في صمن هذا الموضوع أن نشير إلى تمثال رومى يمثل راقصة لها ذراعان ورجلان طويلان لا يناسبان، وهي

ضاربة رحليها على الأرض بمناسبة نعمة الموسيقى . وفي هارابا يوجد تماثلان صغيران فائقان، أحدهما صنع من الحجر الأحمر المستورد من أماكن نائية، يعكس صورة صادقة للاحزاء اللحمية، والآحر، وقد نحت من بلاط دى لون رمادى داكن، يمثل راقصاً واقفاً على رحله النيمى بينما رفع رحله اليسرى عالياً، سلف لـ «سيواناتاراجا» . وإن هذين التماثلين يسقان الفن اليونانى بفضل صدق أخاذ فى تشريح الجسم، على نفس النحو الذى يعتبر فيه التماثلان المصنوعان من الشمع المشار إليهما آخراً، مقدمة لما صورته اليونانيون من رسوم الحيوانات .

❦ الدياسة ❦

إن المعلومات التى عثر عليها فى موهوودارو وهارابا فى الموضوع صئيلة جداً . وقد عثر على عدد كبير من تماثيل فخارية للأنثى التى تشابه ما عثر عليه منها فى بلوچستان، وإن لم تكن الأخيرة هذه صوراً كاملة .

والتماثيل الصغيرة السائبة المشابهة للتماثيل المعثورة عليها فى وادى إندس وبلوچستان، وجدت أيضاً بكثرة فى بلدان غرب آسيا، وحول السواحل الأفريقية فى إيلام (Elam)، وبلاد ما بين النهرين (Mesopotamia)، وترانسكيسبيا (Transcaspia)، وسوريا، وفلسطين، وقبرص، وكريت، والبلقان، ومصر . والاعتقاد سائد أن هذه التماثيل تنوب عن الإلهة «الأم السكرى»، وهى العطرة السكرى . وهذا يوافق تقاليد الهند، الهند التى هى منذ عهد قديم مهد العبادة للأم المقدسة، أم اديتيا الواردة فى رگويدا، إلى الإلهات القروية فى عهدنا العصرى الذى تظهر فيه كمعبودات الشعب الوطنية فى الهند، آريين كانوا أم خلفهم .

وعثر فى هارابا على ختم مستطيل عجيب يمثل الكون أو الإلهة «الأم» .

وقد أتفق من رحها بات، ووقف هنالك رجل يده سكين، ووقفت امرأة رافعة يديها ولعلها كانت لأن تضحي.

وكذلك عثر على خاتم يمثل إلها مدكراً على شاكلة الإله سيوا، ذي ثلاثة وجوه وثلاثة عيون، وقد ترع على عرشه على نحو طريقة ناسك (Yogi) ووقف إلى جانبه حيوانات، العيل والهر على الأيمن، والكركدن والحاموس على الأيسر، وإيل دوقرين، أقف تحت العرش. ويصدق المطر لقب «بشوتى»، لـ «سيوا» يعنى به «رب الحيوانات». الأيل الذى يشير إلى العابات جاء كمقدمة للمحوت الودية التى تمثل حديقة الأيايل التى ألقى فيها بودا خطته الأولى. وفي هذا الرسم ميرة أحيية للإله سوا التاريخي، وهى القران يتوحان على رأسه يرمران إلى الألومية. وهذه هى الميرة التى تسقى الرمح دى ثلاث شوكان لـ «سيوا» (Saras) أو ثلاثة درر للوديين.

وهناك رسم آخر عثر عليه فى موهجودارو ممثلاً نفس وصع الناسك، وإلى جانبه «ناكا» راكماً فى العادة له رافعا يديه على حاييه. ولقد عثر على رسم آخر يصم صورة نفس الإله فى نفس الوضع ولكن له وحده واحد فقط. وقد ذكرنا الرسم المحوت على الحجر لناسك وعياه على مدأ أنه.

ويتصور المستر چادا (فى مجلة «انتقاد العصرى» [Modern Review] لأغسطس ١٩٣٢) أن شكل الواقف بأربع أذرع الذى يوجد فى كتابة العلامات فى إيدس هو لاله، ويرمر إلى الإلاهة ذات الأذرع الأربعة التى صمها معد الآلهات فى إيدس، وهو يسبق إله الهدوس المتأخر ذا أربع أذرع مثل براهما، أو وشو أو سيتا.

وهو أيضا يدل على أن الآلهة الواقفين المقوشين على حوالى ست أختام من موهجودارو (لوحة ١٢ ولوحة ١١٨ صورة ٧ من كتاب السيرجان مارشل



سيروايشوئي (رب الحيوانات)



راجع ص
٩٥ - ٩٦

A - لاختم - صور (a) العزال (b) النمر (c) العيل (d) الثور الاحدب
والهدجاج الحرشي (e) الحروف (f) الثور (g) الجاموس البري (h) الثور
البري (i) النمساح (j) الثور الاحدب (k) السكركدن.

عن موهنجودارو) هم آلهة في وضع «يوگا» المسمى بـ «كايتوسرگا»، والوضع الواقف ينتمى إلى نساك الجيدين، كما رسم مثلاً في التمثال الشهير: «حوتاريشاناوا» الذى يرجع تاريخه إلى القرن الثانى الميلادىة الموحود في متحف منهرا (Muthra). واللفظ «ريشانا» معناه الثور، الذى هو العلامة للجيدين. وإبه لمن المستغرب أن الاختام عدد ف (f)، ج (g)، هـ (h)، فى لوحة ٢ (ب) تطهر إلها واقفا ولديه ثور فى الأمام. هل هى المقدمة لـ «ريشانا»؟ فان كان كذلك فلا بد للمذهب الجيية أن يأخذ محله كتفا مكتف بالمذهب السيوى (Saivism) كـمذهب من أقدم المذاهب الحاسية العهد، مساعدا على سد الثغرة القائمة بين حضارة إندس وبين الحضارات الهندية المتعاقبة على اعتبار أنها مرحلة من مراحل التطور الثقافى العمومى.

وإلى جانب عادة «شكتى»، و «شيو»، كانت هالك عادة «لنكا» و «يوى»، كما يستدل على ذلك من رسمين نقش عليهما نصفة واقعية لا إلتباس فيها على أحجار عثر عليها فى حوض إندس وبلوچستان وعلى أحجار الاختام المتعددة. ولا شك أن ثلاثة أنواع من المحارة الطقوسية قد أسمرعها القاب فى موهنجودارو وهارابا، وهى ثلاث أحجار للحوائم المكمدة اليوانية والذكر (Phallic)، ويوى (Yuni)، الصغار كانت تحمل كتعاويد وعددها منها كثير، والكبار منها كانت طقوسا للمادة.

وكذلك يوجد دليل على عادة الأشجار على نوعين. الأول: عادة الأشجار فى أشكالها الطبيعية كما نقش ذلك على الاختام فى هارابا. أما فى الحالة الثانية لم تكن الشجرة طقس العادة بل الروح التى تقمص فيها. ومن أروع الاختام التى عثر عليها فى موهنجودارو، خاتم يظهر الإله — فى صورة جسم عارى — بين فرعى شجرة، والشجرة هى «بييل» التى اشتهرت بشجرة العرفان لبوذا. وتتجلى

عبادة هذه الالاهة في سلع صور للاناث، قد تدلى شعرهن إلى الورا، وهذا يدل على أنهن من عدة الالاهة. وأيضاً في رسم شخص متضرع راكم نصف الركوع وله شعر طويل. وقد انتصب حلقه حيوان مردوح، بعضه ثور وبعضه معزة، وله وجه الانسان، ولعله بمثابة واسطة لالهة شجرة بيدل. ويوجد بعض أختام أخرى، أحدها يدى شجرة وقد انشق من رأسين مردوحين للحيوان دى القرن الواحد، والقابا (من هارابا) تظهر معرة أو حيوانات قريبة مع الالاهة وعددها. وتسلسل تقليد هذا المذهب بطهر في منحوتات « بارهوت » و « سانجى » التى تظهر « ياكشا، أى حبات العانة، ولكها في محل ديل في دار الآلهة.

ويوجد في موهودارو دليل عادة الحيوانات في صورها على أنواع مختلفة من الأختام، وعلى الآوانى الفخارية، وعلى المنحوتات الحجرية. يدل على ذلك أولاً صور مخلوقات أسطورية أو مركبة، كعرة نوحه الانسان كما ذكر آنفاً، أو شكل نمصه من حروف أو تيس ونمصه من ثور ونمصه من فيل، أو شكل مخلوقات وميبة ذات رؤوس ثلاث نصفها آدمى والنصف الآخر قرقى، هاجماً على ممر قرقى (كأنه « مانى، أو « أوكيدو » السميرى من منحوتات أربع آلاف عام ق. م.)، واستعمال القرون للآلهة.

ثانياً، رسمت مخلوقات التى ليست أسطورية كلياً، كالحيوان ذى القرن الواحد، ووحوش أخرى ذات قرنين مصحوما بحورات، وحيوانات تمثل عمال دينيون من الجن.

ثالثاً، رسوم حيوانات حقيقية طبيعية، مثل:

(١) جاموس البحر

(٢) ثور الخلاء الهندى

(٣) الثور الأحذب

(٤) الكركدن الهدى

(٥) الثور القصير بدون حدة

(٦) النمر

(٧) العيل الهندى

وتدو بعض هذه الحيوانات، لا سيما النمر، والكركدن، وثور الحلاء آكلة من الأوعية دلالة على قربان الأظعمة إلى الهائم التى اعتقدت آلهات، لأنها لا يمكن أن تكون هائم أليفة

وأخيراً هالك تماثيل ومنحوتات أخرى للحيوانات والطيور. الحروف، والخنزير، والكلب، والفرد، والذب، والأرنب، والسحاب، والبغاء، وطيور غيرها، منها ما كانت على شاكلة الألعبات، وأخرى مقدسة كالعمر والكش رسمت على الفجار بمهارة فية، لاستعمالها كتعاويد. ويظهر بعض هذه الحيوانات كوسطاء للآلهة الهدوسيين، مثلاً الثور لسيوا، أو الأسد لدركا، أو الحاموس لياما، أو التيس لبراهما، أو العيل لاندرا، أو يعد الفرد كأنه هومان، أو الثور البرى لكورى.

وأخيراً، كان التطهير بالمسل أو باستعمال الماء بطريق آخر، من نظام هذا المذهب. وهذا يفسر الأنظمة المتبعة للعسل التى توجد فى بلد موهجودارو، والتى تميزها عن غيرها من سائر المدن التاريخية القديمة.

❦ الخلاصة ❦

فتتألف ديانة أهالى إندس من

(١) عبادة الآلهة «أم، أو «شكتى»؛

- (٢) عبادة إله ذكر - وهو السلف لسيوا؛
- (٣) عبادة الحيوانات - طبيعية، أو مركبة بالإنسان والحيوان، أو خرافية؛
- (٤) عبادة الأشجار على حالتها الطبيعية أو الأرواح التي تنقص فيها؛
- (٥) عبادة الأحجار الحامدة، أو الأشياء الأخرى، أو عبادة رمز لكاي ويني؛
- (٦) عبادة الثروة، كما يظهر في عبادة الجحور المقدسة؛
- (٧) الاعتقاد بالتعاون والطلاسم الذي يدل على اعتقادهم في الخن؛
- (٨) ممارسة الرياضة السكية (Yoga).

ويلاحظ من هذه المميزات أن هذه الديانة كانت رغم بعض العناصر الدخيلة كما ذكرناه، نموًا محلياً، وسلفاً نسبياً للهندوسية التي ما زالت مميزات كطقوس شكتي وشيوا عدد ماكا، وكماشة الأشجار والحجارة وعبادة الذكر و«يوگا».

❦ تصريف الموتى ❦

كان أهل إندس يتخلصون من موتاهم بالحرق. ويثبت ذلك مما عثر عليه من أوعية مخصوصة لحفظ رماد الحث المحروقة، أو أوان أخرى محتوية على القايا البشرية، من عظام محروقة ورماد، وإلى جانبها أوعية أخرى مملوئة من نقمة محروقة وغيرها، وكذلك أدوات متعددة أعدت لاستعمال الموتى في الحياة الآخرة. وعثر أيضاً على أوعية الدهن تخوى على أوان للنقمة وأشياء أخرى للموتى، ولكن عارية من عظام بشرية. ولعل العظام المحروقة التي بقيت بعد حرق الحث طحنت في مسحوق ثم سدت، كما هي المادة الجارية في بحاب. وقد وفق السير أوريل استاش إلى اكتشاف عدد من هذه الأوعية للدهن، ومن القور العارعة التذكارية في أماكن مختلفة في بلوچستان. وعادة دفن الموتى إما حرقاً (كما كانت العادة في دفن العظام الباقية من الحث بعد أن أكلتها الحيوانات المفترسة والطيور) أو كلياً كانت نادرة. ويوجد أمثلة الدهن

الكل في واحد وعشرين هيكلاً عثر عليها في موهجودارو، سبعة منها في الشارع العام والباقي في غرفة، وهي ترمز إلى ثلاث طراز سلالي — سلالة «استريالي» (Australoid) الابتدائي، وسلالة البحر الرومي، وسلالة «آلپ» (Alpine). ويستدل من الطبقات التي عثر فيها على هذه الهياكل أن القصور تنتمي إلى عصر التقيقر لموهجودارو. وعثر في هارابا وبلوچستان على عدة نماذج أخرى من الدفن الكامل. ولكنها متأخرة العهد.

الامتداد

الآثار المدفونة التي أحرحت من المكايين في موهجودارو وهارابا تشير إلى وجود حضارة مشتركة متسقة قد مدت حدودها عميقة في سائر السد وپنجاب. وقد عثر أيضاً على أماكن أخرى في هذه المناطق يرجع تاريخها إلى العصر الحاسي، كما أن هناك طبقة حضارة أقدم من العصر الحاسي، تستط من الأشياء الفبة التي تنتمي إلى العصر الحجري القديم، والتي عثر عليها في السد كرجمة الحجارة على القصور ومحاني الحيوانات وعمارات أخرى حربية خشبة، وكذلك ما وجد في جبال روهري وكرنار من قشور وأصل الأحجار الصوابية. هكذا سقت ثقافة العصر الحجري القديم على حضارة موهجودارو في السد.

المصادر والاشتراكات

كان تطور حضارة إندس هذه جزءاً من حركة أوسع، ظهرت في نمو حضارات ابتدائية أخرى مثلها خلال العصر الحاسي في المناطق الآسيوية الأوربية الواسعة حتى غربي إيران وبلاد ما بين النهرين. وهذه الحضارات هي كسات للأهر الكبرى: السيل في مصر، والفرات ودجلة في بلاد ما بين النهرين، وقارون وكركة في غربي إيران، ونهر هلماند في سايبستان. وعلى ذلك فليس من

الغريب أن تكون أودية أهار السد وبنجاب الواسعة الخصبه مراكز لهذه الحضارة الانتدائية، أو إنه ليس مستغرب إن وجدت في الاكتشافات الجديدة دلائل امتداد الحضارة إلى أودية حما وكدكا، وهما أكثر وسعة وغزارة.

إن هذه الحضارات المتعددة، لكل واحدة منها خصائص امتارت بها، إلا أن هالك عوامل مشتركة في ما بينها. على طريق المثال، اخترعت كل واحد من الاقاليم لنفسها علامات لكتانة الكلام فالكثافات الهيلوغرافية في مصر تختلف كلياً من كثافات كريت (Crete)، والكريتيه من السميرية، والسميرية من الايلامية (Elamite)، وهلم حرا. ولكن مع هذا الاختلاف هناك فكرة مشتركة، وهى استعمال علامات صورية ليس لمجرد تقييد الأشياء أو الأفكار بحسب، بل لتقييد الأصوات أيضاً ويوجد مثال متشابه في صناعة العزل والسيج - فيما استعمل أصحاب إندس القطر كان أصحاب النيل يستخدمون الكتان ولكن كان في صناعة العزل والسيج معروفا في المطلقين كملك مشترك في العالم المهدب في تلك الأيام. وبطبق هذا الكلام على صناعة الفخار أيضا كان لكل منطقة أساليب وأشكال خاصة لأوانها الفخارية، ولكن دواليب الفخار ومن ثمت الألوان على الألوان بواسطة الوقود كان معروفا لديهم بدون فرق. ورعما عن وجود هذه الأفكار والاختراعات المشتركة بينها، بقيت حضارة إندس بارزة ومحلية في مميزاتها المخصصة، كما بقيت شاكلة محصورة لكل واحدة من الحضارات النهرية المعاصرة الكبرى.

ومع أنه سبق لنا أن أشرنا إلى المميزات الهندية الخاصة التي تنطبع بها حضارة إندس، سقوم هنا تلخيصها على الوجه التالى.

تحتوى المميزات على :

- (١) استعمال القطر للمسوجات الذى لم يعرفه العرب إلا بعد ألفى أو ثلاثه آلاف عام؛

(٢) وعود مستوى أعلى للحياة فى المدن، ووسائل الراحة كما يتضح من المنازل العسيسة، والمغاسل، والآبار، وظام المجارى لمنفعة المواطنين العادين، التى لم تكن معروفة فى مصر القديمة وفى بلاد ما وراء الهرى، أو فى بلاد أخرى فى غربى آسيا التى لها عمارات ارستقراطية كالفصور العخمة، والمعابد، والقصور، ولكن بدون اهتمام إلى مساكن الطلقات الفقيرة أو الشعب؛

(٣) بلوغهم مستوى عال فى فن الحصر أو النقش على الحجارة الكريمة، كما يتضح من تماثيل صينية أو من نقوش الحيوانات المحوتة على الأختام كالثيران، أو من التماثيل الشرية الصغيرة الحذانة بفضل جمال صنعها، كما ذكرنا من قل؛

(٤) الديانة التى تدى عيانا سلفيتها للديانة الهدوسية الحاضرة فى بعض هيئاتها، كما قد وصفاها.

عصرها

يستط عصر حضارة إندس من التشأه الذى رأياه فيما قل بينها وبين الحضارات الأخرى القديمة التاريخية كالحضارة الاتدائية التاريخية التى قامت فى سومار، والحضارتين المتأخرتين قل رواسب مياه الفيضان لايلام، وبلاد ما بين الهرى. وقد كشف الغطاء عن التشابه القاطع فى مختلف المواد الأثرية التى عثر عليها فى إندس، وإيلام، وبلاد ما بين الهرى. ولا يمكن تعليل هذا التشابه إلا أنه نتيجة الاختلاط العمال فيما بين هذه المناطق فى هاية عام ٤٠٠٠ ق. م

وأهم هذه المواد هى الأختام الخمسة الحاملة للعبة الالدية الخاصة — (الكتانة والثور الأحذب)، التى عثر عليها فى أماكن مختلفة من إيلام وبلاد ما بين النهرى. ووجد منها رسمان اللذان فى دأور، وديكيس، وقد نسا تاناً إلى ما قبل عصر السرجانى (Sargonic)، أى عصر قبل ٢٨٠٠ عام ق. م. وقد عثر

على أختام تشابهها صم سح طقات أقدم تاريخياً فى موهنجدارو. فاذا فرض ٥٠٠ عام لهذه الطقات السعة من القايا المختلفة فى موهنجدارو، على أها كانت عرضة للسرعة فى الالحطاط والتحديد بسبب العيضات المتكررة، قد يمكن أن يقرر عدم حصارها فى ما بين ٣٢٥٠ و ٢٧٥٠ ق م. مع سماحة لعهد أقدم لتاريخها ومصدرها. وبالإضافة إلى الأختام هناك مواد أخرى وأشياء الزينة التى تقيم القرائن على وجود اتصال صميمى فيما بين هذه الحصارات. فالتى تستحق منها الملاحظة هى

(١) بعض كسرات من الرهريات المصنوعة من الحجارة الأوانية الهدية عثر عليها فى «العبد»؛

(٢) تطرير رسم على كسوة الباسك فى تمثاله الذى أشرنا إليه سابقا والذى يعتقد أنه من صنع سوميرى (Sumerian)؛

(٣) رسوم قرنية على الأختام ثبت انقاسها إلى الإله «إبان» (Eabani) البطل؛

(٤) حبات السعة من العقيق الأحمر المحفورة، التى تطهر هس أسلوب صنع الحسات التى وجدت فى قور كيش، تنمى إلى عصر ما قبل السرجانية (Sargonic)؛

(٥) طرار أو أشكال الحرات، والمواقف لوصع التقدمة، والمثقلات الحجرية؛ وغيرها.

وهلم حرا إن الأوانى الفخارية المصورة من موهنجدارو يحددها المستر أرنست ماكى (Mr Earnest Mackay) بماسة أسلوب تريدها إلى ما بعد عصر سوسا الأول (٤٢٥٠ ق م) أو حتى إلى ما بعد عصر سوسا الثانى (٤٠٠٠ ق م). فى الفترة الواقعة ما بين ٣٢٥٠ و ٢٧٥٠ ق م. وهى نفس الفترة التى لا بد أن ترد إليها الأوانى الفخارية المصورة من بلوچستان التى عثر عليها السير أوريل استائن.

وقد كشف المستر وولى (Mr Woolly) مؤخرًا (عام ١٩٣٢) ختمًا هنديًا آخر في أور في جذع قبر، ويحوله إلى السلالة الملكية الثانية ويؤرخه في حوالي عام ٢٨٠٠ ق.م. ولكنه نفسه يشك في تاريخه وأهميته نظرًا لعثوره عليه بصورة شيء معزول في محتويات قبر. وأيضًا تحوم الشكوك بنفس الطريقة حول تاريخ الاختتام الحصة المشار إليها آها.

وإنما لعل أثبت أساس من حصص بعض الآثار التي كشفتها البعثة العراقية التابعة لمؤسسة شيكاغو الشرقية (Chicago Oriental Institute)، وذلك في طبقة محدودة من الآثار القديمة من منطقة التل الأسمر (القديم: إشنونه) في الصحراء المحاورة لمدينة بغداد. فقد عثر في سطح هذا المكان على أختام أسطوانية، وقدر، ولوحات حكومة ساراجان (Sarogon) من عكاد - (حوالي عام ٢٥٠٠ ق.م.)، يوه ختم منها بالوضاحة باسم «شدورال» (Shu-dur-ul)، وهو الملك الأخير من تلك السلالة. وكذلك عثر هالك على آثار هي هندية الأصل على وجه التعيين، ولا شك أنها مستوردة من منطقة حوض إندس. فيمكن بهذا تحديد تاريخ حضارة إندس على وجه اليقين. وعثر على حاتم يمثل حيوانات كاليل والكركدن - الأحيين لبابل - ويحمل طابع طريقة إندس في إررار أرحل وآدان الميل وطية حله، وفي إراز أدن الكركدن على الوجه المخصوص. ويستعاد إلى الأذهان هذه المناسبة ختم موهنجدادو الذي يعكس موكبا من الحيوانات وضع فيه الميل والكركدن حيا لجب. وعلى هذا فلا يمكن أن يكون ثمة شك في أن هذا الختم المخصوص قد استورد من حوض إندس ووصل إلى إشنونه حوالي عام ٢٥٠٠ ق.م. ومن بين الأدوات الهدية الأخرى التي عثر عليها في هذا الموقع، أختام مربعة بعقدة منقوشة في ظهرها، وعليها نقش مركبات متراكزة لا توجد في بلاد ماوراء النهرين ولكنها شائعة في

موهنجودارو. وحيات السحرة المحفورة من العقيق الأحمر التي هي هندية الأصل بلاريب، ضمت إلى السحات العكادية (Akkadian) في القلائد. ويوجد عظام كلوية الشكل، مشابة لمثيلاتها، المرصعة في الصدف، الموحدة في موهنجودارو، والتي لا يوجد لها أثر ما في بلاد ما بين النهرين.

التقنيات التي أحرقت في هذه المنطقة في بغداد قد كشفت القاب عن آثار بقايا خمس عصور متعاقبة، وهي:

- (١) عصر لارسا (Larsa) ٢١٨٦٠ - ١٩٣١ ق م؛
- (٢) عصر ما بعد الساراجانية (Post-Saragonic) من العراة الحليين؛
- (٣ و ٤) عصر الساراجانية المقتنسة من اللوحات والأختام المقوشة؛
- (٥) العصر القديم الابتدائي الذي امتار بناء المارل المصنوعة من الطوب المستوى المقعر المعاصر لقور أور. يستنتج من هذا أن آثار أور أقدم من آثار بغداد بألف عام على ما حدده المستر وولي، أي أنها ترجع إلى حوالي عام ٢٥٠٠ ق م فإن كان كذلك، سقطت نابل على مصر التي لا يتعدى عهد سلاطاتها الابتدائية على ٣٠٠٠ عام ق م. وبهذه الطريقة يرجع تاريخ حصار إندس مريداً إلى الورا.

وأخيراً يجب ألا يربى عن النال أن هذه الآثار الهدية التي عثر عليها في مساكن اشنوبه من عهد ساراجان (كما ذكرنا في المقوشات) لا تتشابه كثيراً بما عثر عليه في موهنجودارو إلا الأختام الستة المذكورة. ولعل هذا التباين بينها يرد إلى أسباب جغرافية أو تاريخية ولا يستبعد أن الأختام التي عثر عليها في بغداد ترجع إلى عصر أقدم من حصار إندس أو إلى عهد بعدها بمقارنة الأختام التي وجدت في موهنجودارو. كما لا يستبعد أنها جاءت من مركز آخر لهذه الحضارة نفسها. وقد يكون الافتراض الأخير أقرب إلى الحقيقة. ومهما

كان الأمر أن مظهر موهنجودارو لا يعتبر المظهر الوحيد أو أقدم المظاهر الحضارة إندس القديمة، كما سبق — (يقوله الدكتور فرا نكهورت فيلد، مدير الحفريات العراقية، في كتاب بحث به إلى صحيفة تايمس المؤرخ ٥ مارس سنة ١٩٣٢ م).

الواضعين

من هم واضعوا هذه الحضارة؟ والقابا البشرية التي عثر عليها في موهنجودارو تكشف القاب عن أربعة أقسام سلالية: قدماء الأستراليين (Proto-Australoid) وأصحاب بحر الروم (Mediterranean)، والفرعة المغولية من آلب، وأصحاب آلب. فقدماء الأستراليين لا بد أن جاءوا من شبه القارة الهندية، وأهالي بحر الروم من السواحل الجنوبية في آسيا، وأما الألبيون والمغوليون فمن المناطق الشرقية والعربية من آسيا.

فسكان السد في ذلك العصر المكركاوا حليطين من أجسام مختلفة. ودلالة الجناح قد تأكدت بدلائل التماثيل المحوتة. إن تماثيل الرؤوس والأجسام التي اكتشفت في موهنجودارو تشير إلى احتلاط أقسام متضادة من السلالات. ولكن هذه الدلالة لا بد أن توحد مع الاحتياط. ذلك لأن العامين لم يكونوا علماء وصف الإنسان، ولم يأخذوا على أنفسهم أن يقدموا سجما مؤتمنة طبق الأصل، كشكل مضبوط للرؤوس. وعدد الجناح التي عثر عليها، قليل بحيث لا يتيح لنا فرصة لاستنتاجات عامة سليمة عن العناصر الحليطة التي ألقت مواطى موهنجوارو.

والسؤال الثاني الذي يمكن أن يعترض هو: هل كان سكان إندس دروايديين؟ هذا السؤال هو على أساس النظرية السائدة بأن السميريين (Sumerians) الذين كانت لهم علاقات صميمية بهم، لعلمهم كانوا ينتمون إلى نفس القسم السلالي كالدررايديين. ويقم البرهان على وجود الدراويديين في هذه الأماكن.

الشمالية في العصور القارة تداول اللغة الراهوية (Brahvi) في بلوچستان. ولكن الصعوبة في المسألة هي أنه لا يمكن تحديد نوع الدراويدين أو السميريين على وجه الدقة حيث أنهم بأنفسهم علوطلو الأحناس. فانه لو قدر أن الدراويدين جاءوا إلى الهند من العرب كعراة فان أرومتهم السلالية الأصلية قد تعيرت بسبب التزاوج مع سكان الهند الأصليين أى الجنس القديم من الأستراليين. ومرة أخرى، لو قدر أنهم من أهالي الهند فلا بد أنهم كانوا في الأصل من قدماء الأستراليين، وإهم اكتسبوا طابعهم الدراويدية خلال تطورات طبيعية ومفضل احتلاطهم بالعناصر الآرية. ومهما كان الأمر، وسواء قدم هؤلاء من العرب إلى الشرق أم من الشرق إلى العرب فان الحاحم القليلة التي فحست في موهجودارو لا يمكن إثبات انتسابها إلى الدراويدين أو السوماريين.

الصلة بالحصارة الوبدية

أما السؤال الأخير هو ما إذا كان أصحاب إندس وحضارتها معروفة لدى الهند في سجلها المكتوب القديم المعروف بـ «رگويدا». وما إذا كانت حصارة إندس قد تقدمت الحصارة الوبدية أم تبعها، وهل كانت سلفا لها، أم تولدت منها. وسنأتى فيما بعد دراسة الهند الرگويدية. وإيمان النظر بالدقة في دلائل رگويدا يؤدى إلى أن الاشارات الموجودة فيه عن غير الآريين وحضاراتهم ترجع إلى أهالي إندس وكما سيبين فيما بعد، فان قدم رگويدا هذه قد ثبت بفضل ما وجد في عاصمة الحثيين (Hittite) التي ترجع إلى القرن الخامس عشر ق. م. من النقوش التي تصور الآلهة الرگويدية الصريحة، الأمر الذي يثبت أن رگويدا هذه لا بد، وأن نشأ في عصر أقدم حتى قدرت حضارتها أن تهجر إلى بلاد ما بين النهرين. ونظر سديد إلى تطور اللغة السنسكريتية وأدبها قبل ظهور البوذية في القرن السادس ق. م. لا يمكن أن يعين تاريخ رگويدا متأخرا

ع ٢٥٠٠ عام ق. م. وهو التاريخ الذي كان قد بلغ فيه رگويدا نتاجا متقنا. ونظراً إلى هذه الاحتمالات التاريخية، استنتج البروفيسور لانگدون (Langdon) أنه الأرجح بكثير أن الآريين في الهند هم أقدم ممثلي السلالة الهندية - الألمانية (Indo-Germanic) ولقد أكد في نظريته هذه باعتقاده أن الكتابة البرهمية نفسها تقتبس من الكتابة الهندية.

إن رگويدا يظهر دراية وافرة عن أقوام غير آرية أو السكان القدماء. فهو يسمي العير الآريين «داسا، أو «داسيو، أو «اسورا، ويشير في محل إلى أناس «پيساجا، و «راكشاسا، المردولين الذين يهوهون في المعارك بضوء وصرخات خفية. وكذلك يذكر أسماء الرعماء والأقوام العير الآريين. وبين بعض الخصائص الهامة للحضارة الغير الآرية التي تعيد إلى الأدهان وتمثل خصائص إندس. فلقد وصف العير الآري أنه يتكلم بلهجة مستعرة، وأنه لا يتبع الطقوس الويدية، ولا يعبد الآلهة، ولا يتورع، ولا يضحي، ولا يتبع القوانين بل يتبع نظامه الخاص. وعلاوة على هذه الخصائص السلبية يذكر رگويدا خصوصية إيمانية في العير الآري أنه عابد الذكر.

وهذا الاعتبار، لا يوحد في البيان الرگويدى عن حضارة العير الآريين شيء. يناقض تضمينه على حضارة إندس. وقد سبق لنا أن شاهدنا كيف حصصت ديانة سكان إندس لعبادة الذكر، ولعنهم التي لم تقرأ ولم تهتم إلى يومنا هذا، تستحق الوصف الذي وصفها به رگويدا بأنها تختلف اختلافاً كلياً عن السسكريتية.

أما فيما يتعلق بالنواحي المادية من الحضارة الغير الآرية فيشير رگويدا إلى مدن وقلاع واسعة رحيبة، ملائمة بالبقرات، محتوية على ١٠٠ عمود نيت من الحجارة، ويشير إلى قلاع خريفية ليلجأ إليها في حالة وقوع الفيضانات، ويشير إلى وجود ١٠٠ مدينة في مملكة غير الآريين. ولقد أشير إلى الإله الويدى

• إندرا، في هذه المناسبة باسم «پورانندرا» أى «ناهب المدن»، ألا يلوح في هذا كله إشارة مناسبة لحصارة مدينة في حوض إندس؟ ويعرف رگويدا أيضا شعبا تجارية يسميها «پانى»، ويشير إلى الشعوب الوبدية - ترداسا وبادو - بأنهم قدموا من الحر.

ومرة أخرى، يحدد بعض حماحم موهنودارو بأنها استرالية قديمة (Proto-Astroloid). ويشير رگويدا إلى هؤلاء السكان المخصوصين بـ «أناسا» ومطس الأنوف، ومن سل مسود

وأكثر الحيوانات التي عرفها أهالى إندس. يعرفها رگويدا أيضا كالعم، والتبوس، والكلاب، والثيران والحيوانات التي كان يصطادها معشر الرگويديين هي الغرالات والحماير البرية، والحواميس، والأسود، والفيلة، وهذه معروفة لدى أهالى إندس أيضا. وكان الخيل يربى في الهد الرگويدي ولا يربى في حوض إندس. أما في مسألة المعادن فيعرف رگويدا الخلي من الذهب وهذه الخلي احتوت على الحلقات، والقلائد، والأساور، والحلاجل، والآكاليل، والدرر للعق، وقد شاهدها كيف كانت أكثرية هذه الخلي تستعمل في مدينة موهنودارو.

وعلاوة عن الذهب يعرف رگويدا معدنا آخر يسميه «أياس» (Ayas) الذي كان يستعمل في صناعة الأواني. وكان المعدن يدق أيضا. ولعل رگويدا يقصد بأياس، النحاس. هي الصفائف المتأخرة «اثروا ويدا» قد عرف الحديد ومسمى «سياما-أياس»، وهذا الاسم يميز النحاس باسم «لوهيتا» (أى أحمر) أياس. ورگويدا يعرف أيضا الأدوات المصنوعة من الحجارة كـ «اسما چكرا» أى الحرارة الحجرية، أو «أدرى» أو «أسانى» يعيان أحجار الرمي.

وعلاوة من ذلك، يعرف رگويدا بعض أصناف من الأسلحة التي لم تكن

معروفة في حوض إندس، كالدرع المصنوع من صفاح معدنية رصت بعضها في بعض وصفقت بالاتقان، والمغفرة المصنوعة من أياص أو من ذهب. وطريقة تزيين الشعر التي كان يتبعها رجال ونساء رگويدا تشابه بالعادة السائدة في موهنودارو. كان الشعر يمشط ويدهس. النساء يصفرنه. ويوجد ذكر فتاة تنسج شعرها في أربع صفوف. كان الرجال في بعض الأحيان يرتدون شعرهم في لفات. والرجال المعروفون بـ «واسشتا» يرحلون لفات شعرهم على جانب الأيمن، ويطلقون الحام.

وأشد طابع للحضارة الالندية، أي حرفة القطع، هي أيضاً حرفة ثابتة في الهند الرگويدية. رگويدا يسمي الحائك «وايا» ومسحبه «ويمس»، والوشيمة «تسارار»، والسداة «أوتو»، واللحمة «تنتو».

لم تستورد جميع هذه الشهادات الرگويدية ليثبت أن الحضارة الرگويدية كانت سلفاً للحضارة الالندية أو مولودها. والذي يود أن يثبت أن حضارة رگويدا بمسابقة أرضية صورتها الجغرافية والتاريخية تظهر معرفة واسعة بعالم العير الآري وبصفة حياته وثقافته التي في بعض شأها، كما ذكر في رگويدا، تطابق بما تشير إليه القايا المكشوفة في موهنودارو، فيمكن أن نعترف في موقف ما أن العير الآريين المذكورين في رگويدا هم العير الآريين الذين أوجدوا الحضارة الالندية. هذا الافتراض يوافق الرأي المقبول عاماً عن رگويدا بأنه لا يتأخر عن ٢٥٠٠ عام ق.م. وهكذا كان معاصراً في الواقع لهذا التاريخ القديم لاندس.

شعوب فترة ما قبل التاريخ

والآن لنا أن نربط منها أمكن هذه الثقافات المتعاقبة التي نمت في فترة ما قبل التاريخ بالسلالات التي أوجدوها، ونصل الآثار القديمة بالتاريخ الطبيعي

للأجناس البشرية. إن تعيين العناصر السلالية، ومصادرها، وعلاقتها يتوقف على إيمان الطر في المعيرات الطبيعية، واللغوية، والثقافية. ولا يمكن محاولة دراسة كهذه إلا في رسالة محصورة في الموضوع.

المواد المحمية

إن المواد المحمية لفترة ما قبل التاريخ لدراسة الأحاس في الهد صئيلة. وهي لا توجد إلا في أماكن قليلة كـ أدنجا بالور، وفي عدة أماكن أخرى في الهند الجنوبية. وفي سيالكوت، وفي يابا على مقربة من آگره، وفي مال في بلوچستان، وفي موهودارو. وبعد هذا جميع دائرة المواد المحمية لفترة ما قبل التاريخ في الهد. والحاجم التي وجدت في هذه الأماكن هي من أنواع مختلفة - الاسترالي القديم، والتي تنسب إلى عمر الروم، والآلى، والمستطيل في الشكل والعريض فيه. فعلى هذا لم يكن سكان موهودارو متشابه النوع بل كانوا قوما مخلوطين.

وعلى أن تقبل وحود أناس برؤوس مستطيلة وعريضتها بين قدماء سكان الهد كما تدل هذه الجماجم عليها.

ولقد لوحظ الفرق بين الجماجم الشرية في هذين النوعين في السلالة المشابهة للإنسان التي طهر منها آدم. وكان شكل الجماجم في السلف عريضا وتطور الشكل المستطيل فيما بعد، ولو كان لبعض الأشخاص رؤوسا مستطيلة من بداية الأمر.

الجنس الزنجي

(Negrito)

ويؤمن أن أقدم الأجناس التي قطنت الهند كان من سلالة الجنس الزنجي الذي ما زال يوجد لهم أثر في أندمان، وربما في الأوغال الواقعة في أقصى جنوب

الهد فيما بين أقوام كاردا وأورالي الذين لهم قامات صغار وشعر مفلل . وحصنة الجنس الرنحي في الحضارة هي اختراع القوس .

الجنس الاستراليائي القديم

(Proto-Astraloids)

قد اتفق الجنس المعروف بالاستراليائي القديم أثر الجنس الرنحي . وكان من ذى رأس مستطيل والمعتقد الآن أن أصله كان في فلسطين وليس في أستراليا، كما كان يفترض حتى الآن . ويجب أن يحسب هؤلاء الأستراليائيون القدماء سكان الهد الأصليون نظرا لتركيز طابع سلالتهم في الهد مع أوصافها المميزة وخصوصيتها، ولو أنهم قدموا إلى الهد هجرتهم من العرب في الزمن القديم . والنوع مشاهد في حاله الأصلي في قوم «ويدا» (Veddás) . وهذا النوع هو المسؤول مدنياً لعطساء الأنوف وقومة الخلود في الهد في جميع السلالات إلا الطبقة السامية منها .

الجنس الملاييزي

(Mélanesian)

يمثل الملاييزي قسما مستقرا، مشتقا من اختلاط الجنس الرنحي والجنس الأستراليائي القديم . ويشاهد هذا الجنس في سلسلة الحال التي تفصل آسام، ورمبا، وفي نيكومار وكذلك على ساحل مليلار . ويعرف الجنس بميزات ثقافية مخصوصة كتصريف حث موتاهم بتركها مكشوفة، أو بالطقوس القواربي . وهم ليسوا بجنس خاص أو على حدة بثقافتهم الخاصة .

الاشتراك الاستراليائي القديم في الحضارة

(لغة «مندا»)

يرجع الفضل إلى الاستراليين القدماء في إيراد الثقافة الحجرية الأخيرة

والصناعة الفخارية في الهد. ولكن تراثهم اللغوي أكثر رسوخا وأهمية. يعرف عنهم أنهم كانوا يلحون بلغات أسترالية-آسيائية التي كانت موزعة على مساحة واسعة تمتد من بحاب إلى نيوزيلندا ومن مدغسقر إلى جزيرة إيستر. فالنوع الهندي من هذه اللغات يعرف بلغة مدا التي لا بد أن تحسب في هذه الحالات، اللغة القدي التي نطقت بها في الهد. والامعان في المساحة اللغوية التي كان يلج فيه مدا، بدى الحطة التي تنعته المحرة الأسترالية القديمة. ويمكن أن المحرة كانت من الشرق إلى العرب أو من العرب إلى الشرق. وبقيت مندا حية في أدنى السلسلة من حال همالايا فيما بين لادك وسكيم في عرب أقاليم الهد الوسطى متجها الحوب في حال كحام وويراكايم، ولكن لا تعدى هر كوداوري. ولا تدى لغة مدا قيام صلة بلغات حوب عربى آسيا ومناطق المحيط الهادى حسب، بل أيضا باللغة السوميرية المتلاصقة. وبحسب من هذا أن الفروع المختلفة من أسرة لغات الأسترالية-الآسيائية نشأت في مركز مشترك في أواسط أو حوب شرق آسيا، ومن هالك اتجهت اتجاهها شرقاً

. أما الأقوام الذين يلحون بلغة مدا فيدعون بأسمائهم الحسية: مدا (Mundas)، وكولار (Kolarians) أو كول (Kols) وعددهم يتجاوز ستة ملايين، وهم: سونتال (عددهم حوالى ٢٣ لك)، وبيل (حوالى ١٨ لك)، وكروما (٩ لك)، ومدا (٦ لك) وسوارا (٥ لك)، وهو (٤ لك) وقبائل صغار أخرى مثل كوروا (من سيركوكا وميرراپور)، وحويانك (من ديكنال)، أو كوركوا (من حال بيجارى). والمطقة الواسعة التي تشمل سونتال پراگنا وچوتاناگپور، مصيفا إليها بعض أحرار الأقاليم الوسطى، وأوريسا، ومدراس، هي مركز الحصاره المعردة المدائية أو الكولارية الابتدائية. وقد بقيت على مدى المصور بخصائصها المميزة كالمجتمع القروى الحر، والصيد والصيام بالجماعة، وغياب

نظام الطبقات، وعبادة كل قبيلة منها للأرواح المختصة بها المتعمصة في الأشجار بطريق التضحية، والتزام شرائع مخصوصة من القانون، وفرض العقوبات على مرتكبي الجنح الثانوية بواسطة الغرامات التي تدفع بشكل مادية عشائرية، وفي حالة ارتكاب جنح خطيرة بانقضاء مرتكبيها عن حظيرة العشيرة والأعمال الزراعية وما شاكلها.

الجلس المغولي

(Mangolians)

يوجد آثار هذا الجنس في اللغات الدراويدية يعرف باسم مون خمر (Mon Khmer) يلجج بها سكان حال خسي في آسام، وجمال برما الفوقاني وبعض أجزاء برما التحتاني وشبه جزيرة ملايا وحرائر نيكوبار. وقد تسرت هذه اللغة إلى الهند على يد الغزاة من الشرق، والمغوليين الذين جاء بعضهم من التبت عبر وادي رهميترا والعض الآخر من الصين عبر برما عن طريق أهار ميكونج وسالوين وإيراودي. ويلاحظ أن الغزوات الأخرى من الشرق قد عرفت الهند بلعتين من أسرة تبت-صيني، وهما:

(١) اللغة التبتية البرمية التي يفوه بها أهل تبت من المورا، وكرهوال، وأهالي دافلا، وأوروميري ومشى من شمال آسام، وكارو من تلال آسام العربية، وسكان كوكي صين من جبال ماكا، وبودو أو كوج هار، وماوكالغ، وكروبا وكولبار من آسام، وكاجين أسكفو من نهر إيراودي الفوقانية، وأصحاب برما.

(٢) اللغة السيامية-الصينية المنتشرة في ولايات شان في برما الشرقية.

وكان الغزوة المنغولية التي تعرضت لها الهند من النواحي الشرقية قد امتدت غربا إلى ما وراء المناطق التي انتشرت فيها لغتهم. فقد عثر على خصائص منغولية في الهجاء والآثار الأخرى التي اكتشفت في موهنجودارو.

اللغات القديمة

ويلاحظ أن سكان الهند القدماء هؤلاء قد قدموا إلى الهند لغاتها القديمة - لغات مداء، ومون-حمير، وأسترانيسيا، وتنت الصينية. وكما سيين فيما يلي، دفع الدراويديون هذه اللغات إلى النواحي الخنوية الشرقية، ولغات الهندية-الآرية بدورها حلت محلها.

بحر الروم والآرمينيون

وتعاقب أحاس بحر الروم، أحاس الأستراي القديمة مهاجرين إلى الهند في أمواج متتالية. جاء فرع معه لغته المتلاصقة به مهاجراً بطريق وادي گگا، ممزجا بالآسترايين القدماء، واحتلّ سكان القدماء من البلاد مؤثرا لغات استراي-آسيائي، كما قد بين. وهم الذين عرفوا الملاحة والراعة وبإيات الأحجار الحشنة. ثم تعاقب على ذلك هجرة أخرى من سكان بحر الروم بمعينة ثقافة وحضارة متقدمة أوجدوها في بلاد ما بين الهرين بمشاركة الآرميين. وكان أحاس البحر الرومية مستطيلة الخاتم في حين أن الآرميين من قسم الآلي كانت جاحهم عريضة. وموافقة لطهم، والآرميون والأناطوليون نشروا أنفسهم في جميع أنحاء آسيا الصغرى وبلاد ما بين الهرين واختلطوا بأحاس بحر الروم بسبب مختلفة، وأصبحوا العصر الأكبر في أهالي سومر. وعلى هذا فكان السوميريون سلالة مخلوطة قد نشأت من أهالي بحر الروم - المستطيلة الرؤوس، ومن أهالي آرمينيا - العريضة الرؤوس.

وعلى ما يبدو فإن هذه الشعوب، من أهم الشعوب في فترة ما قبل التاريخ في العالم، وهم أول موجدي الحضارة التي يرجع أنها ترعرت في الهلال الخصيب، تحت الجبال الشمالية في بلاد ما بين النهرين ممتدة من الشام إلى الخليج الفارسي. وكان سبق لاء كانت هذه الحضارة في ازدهارها في نهاية الألف الرابع ق.م.

مدركة مستوى روعياً من الراحة، والفن اللطيف، وحفظان الصحة في حياة مدنيّة. وكانت لغتها دراويدية، واستعملت كتابة تصويرية كما كانت تستعمل في بلاد ما بين النهرين في فترة ما قبل التاريخ.

وقد يوجد أيضاً اجتماع الحس الأرمي محس البحر الرومي خصوصاً في التامليين. وبحوز أنه كان هالك اتصال بحري مباشر بين المناطق الجنوبية من الهند وبين بلاد ما بين النهرين. ويؤيد وجود الاتصال البري بين بلاد ما بين النهرين والبحوض الالدي، ماكتشاف أشياء مشتركة الأنواع في هاتين المطقتين، ووجود اللغة الراهوية في بلوچستان. وتقيم اللغة الراهوية رهانا على وجود أقوام يتكلمون بالسة دراويدية نصفهم أقدم ساكى موهجودارو. وعلى الأعلى هم الدين قدموا بالثقافة إلى الهند.

الحس الآلى

(Alpine)

إن الناس من ذوى الرؤوس العريضة والأيوف الدقيقة الموحودين في إقليم بنغال في الشرق، وعلى الأخص في المناطق العربية في الهند يمكن تفسير وجودهم فقط بظريّة غزوة من قوم آخر—القوم الآلى من حال پامير (Pamir). ولا بد أن هذه الأجناس ذات الرؤوس العريضة—أحاس الآلى—اليوراشيائي، قد شقت طريقها إلى داخل حوض إندس، محلين حصاره موهجودارو، مشرين أنفسهم في السواحل الغربية الهندية، ليصبحوا سلفاً لـ «پرهو» و «مراثها» وغيرهما، مدخلين عنصراً عريض الرؤوس في الراهوى. ثم انحدروا جنوباً عبر سهول ميسور، تاركين ساحل مليار الذى احتفظ بهذا السبب بالحضارة القديمة الأصلية للسكان الناطقين بالدراويدية. وتكلموا بلغة هندية—أورباوية. ولا تزال آثارها باقية في اللغة الهندية الآرية الداردية

(Indo-Aryan Dardic) التي يلهج بها سكان چترال، وهم أيضا عريض الرؤوس. وفيما بعد، أخذت الرؤوس العريضة هذه تتحول إلى صغ الرؤوس المدورة في وادي كنگا شرقا إلى بنغال.

✽ الجنس الدراويدي ✽

(Dravidians)

١٠ ينضح لنا بما سبق أن حصاره حوص إيدس كانت قد احتلقت مع اللاطقين باللفات الدراويدي من سلالة البحر الرومي مع امتزاج آرمينية وحضارة راقية مشتقة من الشرق الأوسط. ولعل أنسب وصف لهذه الحصاره القديمة من بحر الروم وآرمينيا أنها هندوسية، قامت قبل ظهور الودية والتي تضمنت بعض الخصائص الهندوسية المتأخرة كما يبت. وكما سبق لنا كانت هذه الحضارة شبيطة حتى أثرت الحصاره الودية. ويتحدث رگويدا عن قوتها في المدن والقصور، والثروة كما يتحدث عن نساها التي اعتسل بالحليب. وكان في وسع العناصر الغير الآرية، اللأ أمية، التي وحدث في عصر رگويدا أن تشير فقط إلى الأحاس الاسترالية القديمة، فاداً كانت الشعوب كـ «يل» (Bhils) أو «شودرا» (Shodras) محصورة في الجبال والأوعال رغم هجرة سكان بحر الروم وآلب، أو كانوا محتلين وادي إيدس بعد تأخر حضارة ما قبل الودية. ومرة أخرى، الحكاية الودية عن التصادم بين «واسشتا» و«شوامترا» هي حكاية التصادم بين الثقافتين اللتين يرى امتزاجهما في أن «شتريا» أصبح «برهمناء». ووردت في الأحاديث الأخيرة إشارات إلى قوم «ريشي» من غير الآريين. وأخيراً، فإن الكتابة البراهمة للحضارة الودية المتأخرة يوحد أثرها في الكتابة الصورية لحوص إيدس. ومن زمن بعيد أي منذ عام ١٨٦٧ م. أبدى المستر تامس (Mr Thoms) شكوكه في أن الآريين لم يخترعوا حروفا هجائية خاصة

بهم خلال تنقلاتهم، بل إنهم اعتمدوا على البلاد التي استوطنوها لتزودهم رسم خط حتى يمكنهم ليحولوا كلامهم إلى الكتابة. لم تنل هذه النظرية بتأييد لمدة طويلة من الزمن، ونسبت الكتابة الراهمية إلى مصادر سامية واعتبرت على أنها استوردت من فينيقيا (Phoenicia) في ألف سنة ق. م. وكان لبروفيسور لانكدن أن يثبت بعد مرور ستين سنة أو أزيد أن الحروف الراهمية قد استمدت من علامات حوض إندس، وهي الرموز التي استخدمها القدماء الذين سكنوا حوض إندس قبل الآريين. فهكذا — كما يشير هو — السنسكريتيون الآريون قد قدموا قوما من لغتهم الخاصة إلى هذه الحروف. ومعنى آخر إنهم كانوا على إلمام بمعانيها الرمزية، فترجموها إلى السنسكريتية، واستمدوا قيمها الهيكلية من الألفاظ السنسكريتية.

يتضح من كل هذا أن الدين كانوا يتكلمون بال دراويدية كانوا هم المقيمين الآخرين قبل قدوم الهنديين — الأوروبين إليها. وإنهم جاءوها من الناحية الشمالية الغربية حيث خلصوا آثار لغتهم بين الأراهميين (الدين هم أنفسهم يعتبرون آثار موهوودارو من محلات أحداهم)، واستقدموا معهم ثقافة بلاد ما بين النهرين، وآسيا الصغرى أو منطقة شرق البحر الرومي. ويلاحظ أن الأسماء الدراويدية للأماكن قد عثر عليها أحيانا في بلاد ما بين النهرين وإيران، وكما أن لغة قديمة متداولة، وهي ميتاني (حاريان) تظهر تشابهات عظيمة مع اللغة الدراويدية الحديثة في الهند. ويظهر أن الهند قبل أن وطأتها أقدام الآريين أو الهنديين — الأوروبين في الألف الثاني ق. م. لم تكن مجموعة مضطربة من قبائل الاستراليين كما كان يعتقد لزمن طويل، بل إنها كانت تتمتع بحضارة متقاربة لحضارة ما بين النهرين في وديان إندس، ولربما في وديان الكنج أيضا. وكانت تلك الحضارة على اتصال بهذه الحضارة.

آثار هجرتهم من الشمال إلى الجنوب

ارتد الدراويديون أمام الآريين بعد أن خلعوا وراثهم في الشمال من القرائ ما يدل على قوتهم، وعلى أن هجرتهم هذه كانت من الشمال إلى الجنوب حيث وجدوا مقرا هائيا لهم. وتتوافر الدراويدية على السواء في السسكريتية الوبدية والكلاسيكية وفي البراكرتية وكذلك في اللغات الحديثة المحلية المتداولة في الهند الشمالية. وقد اكتشف اللغويون أن اللغة الهندية-الأورماوية لدى إدخالها إلى الهند قد تعرضت لتغيرات ما كان لها أن تأتي من أي مورد آخر غير مصدر الدراويدية. أما هذه التغيرات التي طرأت تنحلي في وجود سلسلة ثانوية من الحروف المسندة في لغة رگويدا، وهي الحروف التي تميزها عن لغة «أوستا»، أو غيرها من سائر اللغات في الأسرة الهندية-الأورماوية. والقرائن الأخرى التي تقيم الدليل على أن هجرة الدراويديين كانت من الشمال إلى الجنوب، تنوهر في أماكن معرولة أخرى احتفظت باللغة الدراويدية وثقافتها والتي خلعوها وراثهم في الشمال بين أقاربهم مثل «مال» و«سورياپهاري» في حال راج محل، و«ادراؤن» في جوتاناگپور (وعدهم حوالي ٨ لك)، و«گوند» (حوالي ٣٠ لك)، و«كاد» في أوريسه والولايات المتفرعة عنها.

إن الشعوب المتكلمة بالدراويدية تتألف من عاصر أو أحاس ثلاث، وهي:

(١) مستطيلة الرؤوس وعريضة الأنوف أو مريح الوبدي والاسترالياني

(٢) مستطيلة الرؤوس ودقيقة الأنوف أو عصر الحر الرومي

(٣) عريضة الرؤوس ودقيقة الأنوف أو العنصر الآلي

وعلى وجه العموم، كان سكان منطقة الدكن من أصحاب الرؤوس العريضة في حين أن سكان المنطقة الواقعة إلى الناحية الجنوبية منها بما في ذلك المنطقتين الساحليتين هم من ذوي الرؤوس المستطيلة. وإن هناك أيضا صلة متزايدة ما

بين أصحاب الرؤوس العريضة وأصحاب الأوف الدقيقة، وما بين أصحاب الأوف الدقيقة وأصحاب اللغة السنسكريتية كما هو الحال في اللغات الكنارية، والملايالية والمراتية والتيليفوتية، في حين أن التاملية — وهي أحد هذه عن السنسكريتية — يتكلم بها أصحاب الرؤوس المستطيلة والأوف الدقيقة.

وينتشر العنصر الآلي من أصحاب الرؤوس العريضة على السواحل العربية ما بين كجرات وكورك، وفي المنطقة الواقعة ما بين بارس وهار، وبصورة ملحوظة في بنغال حيث تقدم الصلة بينهم وبين أوف عريضة خصوصاً في الوسط، وعند مصب الأنهار، وبصورة أقل في اللاحيتين الشمالية والشرقية. وعلى ذلك توحد سلسلة متصلة الأجاس من بوماي إلى بنغال. وعليها أن نتطلع إلى العرب، لمعرفة أصل البنغاليين، وليس إلى الشرق أو إلى المصادر المعولية. ولا توحد في السنغاليين بعض أهم خصائص المعول ويميزاتهم ككلو أحسادهم من الشعر — [الدكتور بي. ايس. كوها في خطته الرئيسية التي ألقاها في القسم التاريخ الطبيعي للجناس البشرية في مؤتمر العلوم الهندية (Indian Science Congress) سنة ١٩٢٨ م].



الأسس الجغرافية والاجتماعية

إن تاريخ الهند الحقيقي يبدأ بقدم الآريين إلى الهند . ويجب بادئ ذي بدء أن تدرس الأسس الطبيعية لهذا التاريخ في الظروف الجغرافية التي أثرت على مجرى حلال العصور . وتختص هذه المسألة الكلمات الماثورة الصادرة عن المستر ريجر هاكلوت (Richard Hakluyt) . إن الجغرافية والتاريخ هما بمثابة الشمس والقمر ، أى أنهما بمثابة عين التاريخ البهى واليسرى .

إن أهم خصائص الهند الجغرافية التي أثرت في تاريخها هي ١ - عزلتها ٢ - ومواصلتها ٣ - وصحافتها ٤ - وتنوعها ٥ - ومعدتها .

- عزلتها -

فلما يوجد حرة من قارة تم فصله بالوصوح وخصته الطبيعة بعزلة إقليم بدانه . إن الهند وحدة جغرافية لا راع فيها ، محفوفة بالجبال في الشمال ومحاطة بالبحر في الجنوب ، وإيها عزلت في الحقيقة عن بقية العالم بمحدود صارمة معروفة . إن جبال همالايا تقدم سوراً مضاعفاً يمتد بدون تقطع من الشرق إلى الغرب لمسافة ١٦٠٠ ميل ويمتد عرضها ٢٥٠ ميل معدلاً ، طويلة هذه المسافة . ومن جهة تبت من السور الشمالى نهض الأهر الثلاثة ، هي إندس وستلج وتسان بو (يسمى ه رايما پوترا ، في حرته الهندى) ، ومن جهة الهند من السور الجنوبى ينهض كوكا وفروعه الشمالى . ويلتقى السد الهمالياى على جانبه الشرقى بجواجز في صورة جبال يتكون ، وماكا ، ولوشائى المكسوة بالآواعال التي تحول بين وادى إيراودى في رما والسهول الهندية ، وتعزل الطريق المستقيم ما بين الصين والهند . وفي نهايه الشمالى القرية تقوم مقام السد زاوية من الذروة الأعلى المتألفة من جبل

كراكورم بقمتهما الثانوية في الارتفاع في العالم، المعروف بجبل «كودوين أوستن» (Mount Godwin Austin)، و«قمة هندوكش» (Hindu Kush) مكتنفة بين جوانبها وادي ليه، وكلكت، وجنرال التي تشكل أقصى المراكز العسكرية في الشمال للإمبراطورية الهندية. وإلى ما وراء هندوكش أو في جنوبها يقع «سفيد كوه»، و«قمة جبل سليمان» التي تحول بين الهند وأفغانستان وجبال كراتار التي تفصلها عن بلوچستان.

وفي الجنوب أقام الأوقيانوس في الأيام العارة حائزاً مهيباً معزلاً، باستثناء التبادل التجاري السلي القليل الذي كان يمكن بالمراكب الشريفة، وباستثناء الرحلات الحرة المتلحقة في تلك الأيام في السواحل. وكان الأوقيانوس يوفر للهدد الوقاية الكافية ضد أي غزو بحري إلى أن وحد الأوربيون (حول قارة أفريقية) طريق رأس الرجاء الصالح وإن قدوم ثلاث سفن لـ «واسكودا كاما» على ساحل كاليكوت عام ١٤٩٨ الميلادية، جعل البلاد عرضة لقدوم المقتحمين المعامرين بطريق البحر - طريق غزو سلكته الدول العربية الأربع فيما بعد باستمرار ونجاح: البرتغال، وهولندا، وفرنسا وبريطانيا.

وفن الملاحنة قد غير شكل الأوقيانوس، فجعله طريقاً عمومية للاختلاط والغزو حتى انتقلت قيادة البلاد إلى السيادة في البحر. وقد اكتست الآن المدن الساحلية: بومباي، وكراچی، ومدراس، وكلكتا، وكولمو، أهمية عسكرية في الدفاع عن الهند. وقد أصبحت كولمو التي تلتقي عندها عدة طرق بحرية: من بحر الروم، ومن رأس الرجاء الصالح، ومن إستراليا، ومن سنغافوره، ومن الشرق الأقصى، مركزاً عسكرياً هاماً في الأوقيانوس الهندي. ويلاحظ أن الحواجز الجبلية العربية على السواحل الغربية، وبدره الموانئ الصالحة على السواحل الشرقية، وقلة الغور في المياه الساحلية، وصعوبة المراس سبب الأمواج الهائجة،

كل هذه ترتب عقيات مستمرة طبيعية في المواصلات بطريق البحر مع البلاد الخارجية. وأيضاً طبيعة السواحل الهندية لا تناسب نفوها كدولة ذات قوة بحرية.

وحيث أن قسماً عظيماً من البلاد الهندية يمتد إلى الداخل، فمعظم سكانها أصبحوا مروطين بالر. لا توجد هنالك تعريش، ولا تلك الخلجان العميقة والهوى، أو مصات الأنهار التي تفتح بها المساحات الداخلية كما توجد في ناروى (Norway) أو الجزائر البريطانية، التي لا بعد أى حرة منها من الحر، والبعض من الخلجان والهوى التي توجد في الهند لا تصلح للوانى. والمياه الطبيعية الوحيد في الهند هو بومباى. ومبائى مدراس و كولمبو هما اصطاعين، وأما كلكتا فهي على مصب هر. وبالطريق إلى هذه العقيات الطبيعية فإن الملاحة الهندية ونشاطها الحرى لم يلما دوراً هاماً في التاريخ الهندى.

وفى حين أن الهند تنامياً تقف معزولة عن العالم فإن بعض أحزائها بدورها معزولة عن بعض. وسلسلة حال وديا (Vindia) بأوعالها المعويصة الممتعة قد قدمت في كل الأرمسة حاحراً فاصلاً بين شمالى الهند وحوها. وقد وقف استثمار الآريين أمام هذا الحاحر لمدة طويلة بموجب النصوص السسكريتية القديمة. وإلى يومنا هذا يظهر في هذين الجزئين من الهند تباين عجيب في ميادين السلالة، واللغة، والعادات الاجتماعية. فعلى طريق المثال ذكرت في كتاب من بوزيانا في عام ٥٠٠ ق. م. عادة اجتماعية عامة التي تفرق بين الساحيتين الجنوبية والشمالية، وهى العادة المتبعة حتى الآن في المناطق الحوبية من تزواج شخص مع اسة خاله، وهى عادة يستهجبها الهدوس في المناطق الشمالية. والواقع أن المناطق الحنوية من الهند كان لها تاريخ منفصل، مع قيام مواقف قليلة من الاتصال بتاريخ المناطق الشمالية من الهند. ولقد قل الملوك الذين أحاطت سيطرتهم على الشقين الجنوبي والشمالى، كحكومة چندرگپتا موريا، أو أشوكا،

أو جلال الدين أكبر، أو أورنگ زيب. والعلة النسية في الجنوب هي المسئلة عن اغفاتها من غزوات المسلمين التي تعرضت إليه الاحزاء الشمالية من البلاد لعدة قرون.

وسلسلة جبال وديا بما فيها من جبال ستورا والتي تصم وديان هري رمدا وتاتي، تمتد من خليج كامى (Gulf of Cambay) إلى راج محل في بنغال. وفي الجهة الوسطى في الهد تتحد حال وديا وستورا لتؤلف المرتفعات في الاقاليم المتوسطة (Central Provinces). وفي الاحة الشرقية حتى الجبال الشرقية، والمطقة الواقعة بين هري كوداوري ومهادى الممتدة إلى إتجاه شمالى في وادى هر سون، هي أيضا معرولة الحال والالوعال دات الحى موطن السكان الاصليين العاريين من صعة حضارية، وفي بقاع من الارض كـ «سوتل پرگما، وفي حال وأوعال الهد الوسطى، أو في مرتفعات يلكيرى، كما قد ذكر.

وحق في زمان الكتاب الويدى المسمى «ايتريا راممانا» (الدى لا يتأحر تاريخه عن ٢٠٠٠ ق.م)، قد ذكر أسلاف الاحاس العير الآرية: اندهرا، وهوراندهرا، وسارا، وويليدا، ومريتيا، قد سكوا في صواحي المدينة الآرية في أوعال وديا في الاحة الشرقية وفي الحوب الالعد. قد عرلت حال انامولاي، وبالى، وكاردبم مملكة كيراله التي اسعت عنها في العصور الحديثة ولايتا كوجين وتراونكور. ومن آثار هذه العلة فيهم، يوحد لديهم عادات اجتماعية غريبة كالمرأة تزوج رجالا متعددين في آن واحد، أو التراث الاموى (مموحه إذا مات رجل ورثه ابن أخته)، هذه عادات غير معروفة في النظام الاجتماعى الآرى ونقية البلاد الهندية.

ومثال عزلة آخر ملتف للنظر هو العلة في المنطقين المزدحمين، في جوب الهند، منطقة سهول كرناتك الممتدة من مدراس إلى تانجور، ومنطقة سواحل

مليار ما بين كوجين وكالكوت. وعزلة المطلقين المعمورتين في ما بينها نقطة تقطع بالثغرة المسمى ثغرة كوثماتور أو بالكات، وهي التي تقيح لاسواق كراتاك منفذا ضروريا إلى المراء. والموانى الطبيعية على سواحل مليار. إن الأمواج على سواحل كورومدل مضافا إليها الحواجز التي تتألف من الجبال الغربية وراء ساحل مليار هي السبب في العزلة السنية في حوى الهند تعينه منها ثغرة كوثماتور وتلتحم كوثماتور التي أصبحت تتمتع بأهمية كبرى لديها.

المواصلات

إن الهند رعماء عن كل هذه العزلة الطبيعية لتعكس صورة اجتماعية معقدة غريبة مخلوطة بأجاس مختلفة، ولا شك أنها وليدة المواصلات بالعالم الخارجى، والهجرات، والعروات الأحسية فكذا يافض تاريخ الهند جغرافيتها. وحركات عالمية في الفكر والشعوب قد تعدت على عزلتها خلال العصور القارة وأدخلت في حضارتها عناصر سلاطات وثقافات مختلفة، يمكن تقسيمها إلى:

(١) الأجاس ما قبل الدراويديين (Pre-Dravidian)؛

(٢) الدراويديين (Dravidian)؛

(٣) الآريين (Aryan)؛

(٤) الفرس (Iranian)؛

(٥) اليونانيين (Greeks)؛

(٦) الروميين (Roman)؛

(٧) السيتين (Seythian)؛

(٨) الألبانيين (Huns)؛

(٩) المسلمين؛

(١٠) الأوروبيين (European)؛

السؤال هو: كيف أمكن جريان النفوذ الأجنبي؟ وما هي الطرق الثابتة التي ساعدته في الدخول إلى الهند؟

إن الحدود الشمالية الشرقية من البلاد لا تحتوى إلا على عدد قليل من الثغرات، وهي تسمح بحركات واسعة الطاق. والممرات الثلاثة في ما بين سيكيم وتبت - حيلب، وناتو، ودوكيا - ريفية متمتعة تسمح بالتقليل القليل فقط. وفي الشرق تقدم طريق رهميترا ممرا من تبت، ومن الصين بطريق ميكالوك، وسالوير، وإيراودي، ولكن الممرات على نطاق واسع من هذه الطريق، تمتعها الأدغال الكثيفة وسكانها الوحوش. هكذا قد تركت وقاية الهند في هذه المنطقة في يد الطبيعة.

والحصن الشمالى بأكمله حوالى ١٥٠٠ ميل، في الحقيقة لا يسمح بالاختراق. وهناك بعض ممرات تمتد من حال بامير على طريق كلكيت، ومن تبت على طريق ليه، ومضيق ستلح إلى الهند. وبالممرات الثلاثة المعروفة عمر مستاغ (أى الجبل الثلج)، ومركارا كورم (أى الجبل الأسود)، ومركاكي هيسمو التى يزيد ارتفاع كل منها على ١٨.٠٠٠ قدم، قد يسرت حركة تقل محدودة ما بين بنجاب وتركستان الشرقية من ناحية، وتبت من ناحية أخرى. ولكن هذه الممرات صالحة لمروور التجار لا للهجات والغزوات. ولم يعتبرا صالحة للحجاج البوذيون القادمون من الصين فى القرون الوسطى كـ «يوان چوانك»، الذى توجه فى بداية سفره غربا متخذاً الطرق الصحراوية الواقعة فى شمال تبت إلى أن وصل إلى أوكسس، ثم انحرف باتجاه جنوبى عبر ممر هدوكش.

وفى المناطق الجنوبية، كانت الهند دائماً عرضة للنفوذ الأجنبى بطريق البحر، وللتبادل التجارى السلمى مع مصر وابل فى بداية الأمر ومع الامبراطورية الرومانية بعد ذلك. وقد عثر فى مدافن مصر على المتوجات الهندية كالنيلج

(للصباغة)، وخشب أشجار القرم الهندي، والثوب الناعم (موسلين) لاستعماله في لف الموميات. ومن بين العنائم التي حملها فرعون معه في سفينته إلى مصر كان العاج، والذهب، والأحجار الكريمة، وخشب السندل، والقردة وجميعها من الهند. ويحمد بعض العلماء ثروت التجارة الهندية في التوراة، وذلك بسبب ما يقع من الذكر فيها عن أشياء كانت الهدى فقط تقدر أن تصدرها في ذلك الزمان، كالأحجار الكريمة، والذهب، والعاج، وخشب الآسوس، والطواويس، والتوابل - كانت هذه الأشياء حراً من الضائع التي حملها سبع سليمان. وقد وجد خشب الساج الهندي في حرائب أور - والكلمة السالبة للثوب الناعم هي «سدو».

ويتحدث الكتاب الهندي «بيورو - حاناكا» المؤلف في حوالي ٥٠٠ ق. م. في لغة بابلي قطعاً عن التحار اليهود الذين كانوا يحملون الطواويس إلى بابل. والمنحآت الهندية الخاصة كالآرز، والطواويس، وخشب السندل، كانت معروفة لدى البابليين بأسمائها الهندية التاميلية فقط. ونظراً لقطع المواصلات بين بابل والهند بعد عام ٤٨٠ ق. م. فلا بد أن هذه المنحآت قد استوردت في بابل قبل هذه الفترة بكثير حتى وصلت إلى يوان حوالي عام ٤٦٠ ق. م. وأصبحت مألوفة في أثينا (Athens) في عهد سوموكليس الذي تحدث عنها (٤٩٥ - ٤٠٦ ق. م.).

وبموجب المؤلفات الهندية القديمة كانت سوپاراك - سوپارا، وبهاروكاچاچها - بهروج أهم مراكز التجارة القديمة على سواحل بومباي. وكان للتبادل التجاري الهندي مع الروم الذي تطور على أوسع نطاق بين عهدي أغسطس ونيرو، قائدتان رئيسيتان في موريريس (كرانكاور) على ساحل مليار، وفي كويري پدانام (بوهارا) على ساحل كورومدل، وكانت تشحن منها البضائع الهندية التي قدرت ثمينه في الروم، كالتوابل والمطور، والحرير، والثوب الناعم والقطن،

والؤلؤ والاحجار الكريمة. وكان مركز تجارة اللؤلؤ مدينة بانديا القديمة، عاصمة كوركاي (تيلى ولى) وهى الآن مدفونة تحت الرمال. وزاد الاقبال على الزرجد من الاحجار الكريمة، وكان يستخرج من مناحم منطقى كوثماتور وسالم. والنقود الرومانية توجد أغلبها فى كوثماتور ومادورا. وتحدث المؤلفات التاملية القديمة عن قوم «ياوانا» (القوى) و«مليجها» (الابكم) بأهم كانوا فى خدمة ملوك تامل. والكلمة «ياوانا» بنفسها قد دخلت فى السنسكريتية سبب اتصال هندى مع اليونانيين. وإلى هذا الاتصال أيضا ترد نقايا مستعمرتين من اليهود والمسيحيين على ساحل ملبار.

وقد بدأت تجارة أهل اليمن مع الهند على أعقاب التجارة بين الهند وبين مصر، وبابل، والروم. وبعد مو الاسلام فى ٦٣٢ الميلادية عمت سيطرة العرب على جميع الموانى الواقعة على بحر العرب وسواحل أفريقيا وعلى الطريق البحرية المؤدية من الخليج الفارسى إلى الهند والصين.

إن اتصالات الهند مع العرب حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى اقتصرت على التجارة الساحلية التى كانت تجرى على حوانب الهند العربية. وبعد ذلك خضعت البحار لعلوم الملاحة ومهدت طريق التسرب فى الهند للأوربيين فى حين أن غزاة الهند وفاتحيها كانوا قد تسللوا إليها سابقا بواسطة الطرق البرية الواقعة على الحدود الشمالية الغربية من البلاد. والحدود الشمالية الغربية رغم المنطقة الجبلية الملتفة حولها يعتبر أكثر قابلية فى الاحتراق فى جميع الامراطورية الهندية، وهى تحتاج إلى استعدادات مستمرة وعالية لتأمين الدفاع عنها. والذى يضاعف عموم أمنها هو حدودها الطويلة الممتدة التى تخترق المناطق القنائلية إلى أفغانستان.

ولشعور أهمية حدود الهند الشمالية الغربية بأكملها لا بد أن نتطلع إلى ما

وراء الحدود المباشرة للهند ونقوم بدراسة هيئة النجد الايراني الذي يشمل على الممالك الثلاثة المتجاورة: أفغانستان، بلوچستان، وفارس. وهذا النجد يرتفع إلى المرتفعات الممتعة في حال پامير في الواجهة الشمالية الشرقية، وفي جبال آرمينيا في الواجهة الشمالية الغربية، ولكنه من السهل ملوغة بالوادي الأخرى في جهة الخليج الفارسي، وبحر العرب، والهند، وتركستان أو توران في الشمال. فتأمين الدفاع عن المهد يحتاج إلى السيطرة على الخليج الفارسي وبحر العرب، كما يقتضي اعدام قواعد القوات الأحية على السحد الايراني في الجهة الحوية والشرقية. إن العباد إلى الهند سهل عن طريق أفغانستان بواسطة هر كاول، وعن طريق سيستان. وإن ممر همدوكش الذي يحصل حوص هر أوكس عن حوص هر إندس سهل الوصول إليه من كلتا الجانبين ويمهد عدة طرق إلى المهد سالكة وديان الأهار، أشهرها وأكثر استعمالا هي طريق «خير». وهذه الطريق تمتد من كاول قمر على وادي هر كاول مارة بمنطقة «سو» عبر ممر «كورم» وفيما بعد في هر إندس. ووادي هر توجي يبتدى من غربة ويمتد إلى داخل المهد وتفيض منه هر توجي التي ترتفع إلى سفوح جبال وزيرستان لتصب في هر كورم. ويقع ممر كوماال بين أفغانستان وديرا اسمعيل خان. وعلى بعد منه، حيث تخلص الحال الأعماية في الجهة الغربية، تقع طريق أخرى حول أطرافها فوق السحد المفتوح ما بين هرات وقدهار، وهي لا تعد كثيرا من سيستان، وتسير من قدهار مانجاء حنوي شرقي مارة بمنطقة صخرية حتى تبلغ الأرض الواطئة في إندس. وهذه الطريق تسمى طريق بولان عندما تتعدى المضيق الأخير وتصل إلى الهند. والطريق الأخيرة في المواصلات التي تربط إيران بالهند، تمر بمنطقة مركان الصعبة المرور سالكة ساحل بلوچستان. واكتسبت هذه الطريق شهرة في التاريخ لأن الاسكندر المقدني قد اختارها (لعله كان طبقا للخطة السابقة التي سلكها الفاتحان من قبل: سمسز اميس وساترس). وكانت نتائج معركة لجيوش

فى سفر رجوعهم من الهد عام ٣٢٥ ق. م. وقد كثرت استعمال هذه الطريق على يد تجار العرب. وهالك أيضاً اتصال جانبى بين الطريقين المهمين: خيبر وبولان، سالكا عبر سلسلة من الوديان ما بين قندهار وكابل مارة بغزنة. وقد اشتهرت هذه الطريق بالزحف الاسكندرى فى غزواته الحثرية (Bactrian) والهدية، وفى العصور الأخيرة رحف الحمرال رورتن من كابل لنعدة قندهار خلال الحرب الافغانية عام ١٨٨٢. وهالك عدد من الممرات ما بين طريق كابل وقندهار التى تؤدى إلى المنطقة الحلية على الحدود الهندية.

وهكذا جميع هذه المواقع، مفتاح لجره عظيم من تاريخ الهد القديمة والحديثة. إن الثعرات الموحدة فى حواحر الهد الحلية الواقعة فى الشمال العربى قد استخدمت — كما ذكرناه آنفاً — للمواصلات السلية والعروات العيفة ولحركات وهجرات سلالية واسعة. وجاء من هذه الطرق بعض شعوب ما قبل التاريخ، والآريون الذين تولد منهم التاريخ الهندى. وفى العصور التاريخية جاء العزاة الأجاب من أمثال سائرس وداريس، والإسكندر وسيلوكس، وأقوام ديمتريو، وسليشيا، وبارتيا، وكوشان الذين دخلوا الهد فى عهدهم فى المواصلات التجارية الشيطعة مع الامراطورية الرومانية بطريق البر. وحاء المسلمون خلال القرون الوسطى. والاستثناء الوحيد فى مسئلة الأصل المهم الأعظم فى تاريخ الهد هو الأوريون الذين دخلوا الهد من ناحيتها الجوية بطريق البحر.

وليس هالك مغالاة فى أهمية صحراء راجپوتانا من الناحية الاستراتيجية أو العسكرية فى الدفاع عن الهند خلال العصور العارة. هذا القفر الياس من صحراء كچم (Rann of Cutch) الممتد فى جهة الشمال الشرق لمسافة حوالى ٤٠٠ ميل وعرض ١٥٠ ميل، بمعية سلسلة جبال اراولى من ورائه كحصن آخر، يشكل خطاً ثانياً من التحصينات ضد غارات عدائية من طرق بولان ومكران

إذا عبر ممر خير ذات مرة. فالطريق ممتدة إلى دهلئ الذى يمكن أن توصف به النقطة المركزية التاريخية لجميع الهند. ومن موقف الحد الشمالى من جبال أراوالى حيث تصل القوات الغازية من شمال الغرب إلى المياه الصالحة للزراعة، تسيطر دهلئ على المدخل الذى يمهّد الطريق من سهول پنجاب إلى الداخل - إلى قلب الهند الذى يحتوى على سهول هرى جنا وكنكا. لم يصل الفاتح الفارسى داريس إلى هذا المدخل فى القرن السادس ق. م. ولا الاسكندر الذى توقف تقدمه عند حال ياس (Beas). وقد بقى للسليين وحدهم أن يعبروا هذا المدخل ويتمكوا بذلك من تثت أقدامهم بصورة دائمة فى الهند. ولكهم استغرقت لهم حوالى خمس قرون - من يوم فتح العرب السد فى ٧١٢ م. إلى أن طهر السلطان الأول فى دهلئ فى ١١٩٣ م. - ليوسعوا نطاق حكمهم من أطراف الهند إلى قلبها بمدخل دهلئ وفى خلال هذه المدة، كان سكان راجوتانا فى مأمن بمرية بلادهم الطبيعية، وقد أوقفوا المسلمين الغزاة من حمة الشمال الغربى على الطريق المؤدية إلى دهلئ. وقاموا أمام الحجاج الحوبى من الجيش المهاجم. وبعد فتح دهلئ أصبح المسلمون القوة السائدة فى الهند.

ويمكننا أن تصور حوص إندس - الذى يقع ما وراء صحراء راجوتانا فى أسفل مرتفعات أهماستان - كالعروة الأولى للهند الأصلية. وقد كان للسليين فى هذه العروة خلال ما يوف عى ٩٠٠ عام الأغلبية بين السكان. والقاع الواقعة فى الناحية الشمالية الغربية من دهلئ، أى فى المدخل الذى يقع بين الصحراء والمناطق الحلبية، مرروعة بميادين الحرب - القديمة منها على مقربة نهر جنا حيث تمكن الفاتحون المسلمون من التغلب على المقاومة الهندية، والحديثة منها على مقربة من سر ستلج حيث استطاعت القوات البريطانية الزاحفة من التغلب على السيخ (Sikh). وليس من باب الصدفة أن وقع اختيار الانكليزية على مدينة

شمالا التي كانت المقر الصيفي لثاني الملك الانكليزي لنصف سنة كل عام، بل هي كذلك لأنها تقع على المرتفعات الهائلة، وتطل على هذا المركز الطبيعي للامبراطورية والكفاح من أجل السيادة. — (تاريخ كبرج للهند).

❦ اتساعها ❦

وقد تكون الهد قطرا معصلة قائمة بذاتها من الناحية الجغرافية، ولكنها من ناحية الاتساع وحدودها الشاسعة أقرب إلى أن تكون قارة. فحجمها يساوي القارة الأوروبية، باستثناء روسيا، أو عشرين ضعف مساحة بريطانيا العظمى. ومن بين التقسيمات أو المقاطعات فكل واحدة من بحار والمقاطعات المتحدة، والمقاطعات الوسطى، تفوق بريطانيا في الحجم. ومساحة كل من مقاطعة بنغال وبهار، وأوريسا تساوي مساحة إنجلترا واسكتلندا معاً. وكل من مديرتي بومباي ومدراس تفوق مساحتها من مساحة إيطاليا، بينما مساحة مقاطعة آسام تعادل مساحة إنجلترا لوحدها. ولا تدرج الهد في ضخامتها إذا قولت بمناسبة عدد سكانها لا من أرضها. فمجموع سكان الهد يعادل خمس سكان العالم. وكذلك كل واحدة من مقاطعات بنغال، أو مدراس، أو المقاطعات المتحدة، تفوق عدد سكانها سكان بريطانيا الكبرى في حين أن مقاطعة آسام الصغيرة تضم من السكان ما يعادل سكان الممالك بلجيكا، أو السويد، أو هولندا.

❦ تنوعها ❦

وضخامة الهند قد أنشأت التنوع المطابق في خصائصها الطبيعية وأحوالها الاجتماعية وقد وصفت الهند من أجلها بـ «ملخص العالم».

❦ ألف — تنوعها الطبيعي ❦

يتوفر للهند مجموعة من أحوال جغرافية هي مبعثرة في جميع بلدان العالم وفي

المجال الواسع بين خطوطها العرضية والطولية تضم الهند ثلاثة أنواع من الطقس: طقس القطب الشمالى أو الحوبى يوجد فى المساحات الواسعة على ١٥٠٠٠ قدم فى جبال هماليا والطقس المعتدل والحر فى سهولها المنخفضة الممتدة إلى البحر. ومن ناحية الرطوبة أو الأمطار تقدم الهند هس المجال الواسع، من ٤٨٠ بوصة فى السنة من الأمطار فى جيرابوى - وهو أكبر تسجيل قيد فى العالم - إلى أقل من ٣ بوصات من الأمطار السوية فى السد وراحيوتانا. وهذا التنوع فى أحوالها الجوية قد أدى إلى التنوع المطابق فى منتجاتها. ويقول العالم «هوكر» إن نباتات الهند أكثر تنوعاً من الساعات فى بلدان أخرى لها نفس الضخامة فى المساحة فى النصف الشرقى من الكرة الأرضية. إن لم تكن فى أكملها. ويقول «ملاندهورد» إن تنوع الحيوانات فى الهد يهوق تنوع أوربا ولوكات أوربا مصاعمة للهد فى حجمها. والواقع أن منتجات الهد، كما يقول «لى» تحتوى على جميع ما يحتاج إليه لخدمة الانسان. وعلى ذلك فان الطبيعة قد أعمت على الهد قابلية خاصة فى الاكتفاء الاقتصادى لها وعدم الاعتماد على الغير فيه. وقد ترك للانسان تحقيقه.

ب - تنوعها الاجتماعى

الاقوام، واللغات، والمذهب

إن ضخامة عدد سكان الهد، وهم الذين يؤلفون خمس البشرية، تشتمل على أوسع تنوع فى حياتها الثقافية والاجتماعية. فهنا تجتمع السلالات البشرية الثلاثة المبدئية: الفقعازى أو النصف الأبيض مع ما يميل منه إلى الشقراء والسوداء، والمنغولى أو الجنس الأصفر، والحشى أو النصف الأسود (فى أدمان). ويشمل هذا التقسيم العام على الأصناف التالية من السلالات البشرية كما أشار إليه السير هربرت راتلى (Sir Herbert Risely) فى تقريره عن إحصاء السكان

في عام ١٩٠١ م:

(١) الصنف الأصلي من السكان قبل الدراويدين . ويتميز هذا الجنس بقصر القامة وعرض الأنف وغير ذلك من الخصائص التي سبق ذكرها، وبينت في ذكر القبائل المختلفة الموحدة في الأدغال.

(٢) الصنف الدراويدي، وهو يتميز بقصر القامة، والشرة السوداء، وغرارة الشعر، وطول الرأس، وعرضية الأنف، وهو يوجد في جميع المنطقة الواقعة في جنوب الأقاليم المتحدة وفي شرق خط الطول ٧٦° في الشرق.

(٣) الصنف الهندي الآري . الذي يوجد في كشمير وپنجاب وراچپوتانا المتميز بطول القامة، وشقارة الشرة، وغرارة الشعر على الوجه، وطول الرأس، ودقة الأنف البارز.

(٤) الصنف التركي الفارسي الذي يوجد في مقاطعة الحدود الشمالية الغربية (N W Frontier Province)، وبلوچستان، والمناطق الواقعة في غرب إندس، ويتميز بقامة فوق المتوسط، وشرة شقراء ورأس عريض، وأنف طويل . فعلى هذا فإن هر إندس هو حد سلالى بين صنى التركي الفارسى والهندي الآرى، كما هو حد سياسى بين إيران والهند.

(٥) الصنف السيتى الدراويدي (Seytho-Dravidian) الذى يوجد فى السند فى شرق إندس وكجرات وفى المناطق الغربية من الهند، ويتميز هذا الصنف عن الصنف التركي الفارسى بقامة أقل طولاً، ورأس أطول، وأنف أقصر وأمثالها. ويظهر من اسمه أن العصر الأجنبي في الصنف بوجود الرأس العريض هو بسبب السيتيين الذين حكموا المناطق الغربية من الهند في الفترة ما بين سنة ١٢٠ و ٣٨٠ الميلادية . ولكن لم يكن في وسع السيتيين، كما

يظهر من تاريخهم، أن يؤثروا في السلالة المحلية لأنهم بدلا من أن يؤثروا في ثقافتهم، قد أخذوا بأنفسهم صحة هندوسية بالتدرج. ولا بد أن انحدر العصر الأخرى من السلالة الآلية ذات رأس عريض، القاطنة في غرب آسيا وإيران، والتي شقت طريقها إلى غرب الهند على نحو ما فعل الدراويديون. ولا بد أن حدث هذا في عصور بعيدة عن الزمن الذي يست وسدت فيه طريق الهجرة.

(٦) الصف الآرى - الدراويدي أو الهندوستاني من پنجاب الشرقية، والأقاليم الوسطى، وهار شكل رأسه طويل والشرة يتراوح لونها بين الاسمر والأسود، والالف يتراوح بين المتوسط والعريض، والقامة دون المعتدل - ما بين ٥ أقدام و ٣ بوصات، و ٥ أقدام و ٥ بوصات. ويعود أصله إلى اختلاط الهنديين الآريين مع الدراويديين المفتوحين. يوجد أولا هذا الصف بحاله في مقربة من خط الطول لـ "سيرهد". ويظهر من رگويدا أيضاً أنه في عهده لم يمتد الاستثمار الآرى إلى وراء سيرهد التي هي وادى "سرسوتى". إن رگويدا مربوط ببلاد ذات سعة أهر. والآدب الويدى المتأخر لبراهمنا واپيشد، مربوط بالمناطق الشرقية بين نهري جينا وگگنا، وتمتد حتى مقاطعة منهرا المشتعلة على كوروك شيترا - الأرض التي شهدت الضال منذ عصر ماهاهارتا إلى حروب پانى پت. فالبرهان المنتج من الآدب تسف البرهان الذى يتوفر من علم السلالات فيما يختص بالحدود الفاصلة ما بين هذين الصنفين، وهى الحدود التي تنع طعنا خط التقسيم الفاصل بين دورين أو عصرين من التاريخ، عصر هجرة القوم الهدى الآرى الذى تبعه عصر الاستثمار الهدى الآرى، وكان ذلك تطوراً طبيئاً محتوياً على فتوحات وامتزاج في السلالات والثقافات.

(٦) الصف المعولي في برما وآسام ومحضات سلسلة هماليا المشتعلة على بوتان ونيبال وأطراف الأقاليم المتحدة. وبجانب وكشمير. ويتميز الصف بالرأس العريض، والشرة العائمة الصفراء، وقلة الشعر على الوجه، وقصر القامة، والوجه المسطح، وحفن العين المائلة ويرجع وجود هذا الصف إلى الفتوحات المعولية من تبت والصين

(٨) الصف السعالي في نعال وأوريسا المير رأس عريض، وشرة عامقة، وشعر غرير على الوجه، وقامة متوسطة، وأنف متوسط مائل إلى العريض. وقد اصطلح «رائلي» لهذا الصف اسم المعولي الدراويدي، لاعتقاده بأنه تنح ناعام عصري الدراويدي والمعولي. وقد سبق لنا أن أوضحنا بأنه من الصف الآلى من دوى الرؤوس العريضة والحاحر الفاصل بين نعال وبهار هو سياسى وكذلك حسى كما أشير إليه أيضاً فى المراجع الأدبية فمثلا ذكر أترواويدا أن أصحاب مكددا وأصحاب أدكا هم من الأقوام الحارحة من صعة الحصار الآرية. فى حين أن مرجع ستاپاتا رهما يذكر اسطورة عن انتشار العقيدة الراهمية من منطقة عرب الشرقية إلى وديها أو تيرهوت.

وهذا التنوع فى الأحاس مصحوب بتنوع على أوسع درجة فى اللغات فى الهند والتقرير الإحصائى الصادر فى سنة ١٩٣١ قد عد ٢٢٥ لغة حية فى الهند التى تمثل فيما بينها أربعة من الأسر العظمى لىطلق البشرى أى الآسترية (Ostetric)، والتبتية الصينية، والدراويدي، والهندية الأورباوية. قد تركت اللغة الدراويدي فى الجنوب فى لغات تيليگو، وتامل، وكارى، وميلالم، ولكل واحدة منها أدب عظيم. ووراثها فى الشمال تسيطر اللغة الهندية الآرية على اللغات المتكلمة التى لم تتركز وتتشكل بعد بالأدب. إن التوزيع الحالى فى اللغات الهندية الآرية

يحدو على غس القواعد التي تحدو عليها المراحع السسكريفة القففة . وفعن «سافافا رهف» موطل المطق . أف اللعة الهففة الآرفة . فف أرض كوروفچالا من هفف أفها اففف فف هفاف مفففة . وفعف ذاف فعن «مو» موطل الففافة الهففة الآرفة فف ما سمف «آرفافوراف» أف المطقة الفف ففع ما بفن هفالاف ووففا من فلف فف فف فف فف العرب . وفعن «رافمارشفففا» وهف أرض كورو . وچالا . وفسافا . ووراسفا . فأها كانت فف عففه فاملة للواف فلك الففافة هففاف مفعف . وعلف ذاف فف فف العصور الفففة مطقة وسطف من اللعات الفافاف . ففة اللعة هففة العربفة . ولها فرام فافلف من اللعات ففل الففافة . ولفاففافة . ولفاففافة فف العرب . ولفاففافة فف الففمال . ولفففة الففرفف فف «ففرف» و«فام فافرف فففل علف الكففمفرفة ولفة اللاففافة . ولسففة . و«فكففه فف العرب» و«لراففة فف الففوف العربف . ولفاففة ولففافة ولفاففة و«لأورففة فف «ففرف» و«فأفنا ففع الففافة الهففة الآرفة من رافمارشفففا «فف ففاف ففمفافة للفعوف الفافافة علف طول فافرف فففا و«فام عركوسالا فف ففها و«فف» مفعفه مسافاف الفرامفن الفافلف ولفافرف من اللعات .

و«فلاف الففعوفه من رافمارشفففا ولفن المسفمفراف الهففة الآرفة اللاففافة فف فلاف «لأفرف السفة لا فف من أفها فأفرف بالفعواف الفارسة من فاففففف فف «فكفرفا فف «فقرن السادس ق م» و«فان فففة هفا الفففال م «فلافرفف ولفففففن الآرفف ففور مموعة لعات مفففة فعرف باللعات «فففففففة (Pitavata) الفف ما فالف ففففف علف كففرف من المفرفاف الوففة لمفورة» و«فف ففمفل فف المافف المفففة مفرى كالول وسواف المشار فلفها فف ركوففا و«فف ما وراف اللعات الفساففافة ولفرام الفافرف الهففى الآرف فف العرب . فوفا اللعات الفراففة كلفة فففو ولفوف .

وتقدم الهدد أكر تعابر من حبتها الديثة فتوحد بها جميع أديان العالم فالهدوسية وحدها دين ٢٩٠ مليون نسمة من السكان، ولا بد لمذهب أن يكون حامعا وعميما في مائه حتى يوافق الناس هذه الكثرة من الملايين وذلك لاتساعه المظم، وأسلوبه الجامع، وأصبح دينا عموماً لأناس متباين في السلالة، واللغة، والتقاليد، والمصالح السياسية الاحتجاءة. ولدين الاسلام حوالى ٩٠ مليون من المتبعين قد ورعوا على مختلف المقاطعات في الهدد نسب مختلفة، مؤلفين الأكرية في مقاطعات الحدود العربية الشمالية، ويحاب والسد وسعال، وأقلية في المقاطعات الأخرى وهناك ١٢ مليونا من الوديين والمسيحيون هم أكر من ٦ ملايين، والسيح أكر من ٤ ملايين، والحيديون أكر من مليون، و ١٠٠ ألف من الفرس المحوس وتقدم الهدد تطور البشرية في جميع أحوالها وأدوارها من أداها إلى أعلاها. ويمكن أن توصف كمتحف طقوس، ومداهب، وعادات، وثقافات، ومعتقدات، ولغات، وأصاف سلالية. وأساليب إحتجاءة، وإكها ليست بمتحف الأتشاء الميتة، أو أعراض مادية. بل لملة حية، وأساليب روحانية كل يتطور على شاكلته

٢. حتمية وحدتها

وهكذا كوت الهدد بلادا موحدة قد يهوت ويصيع تصورهما في وسعها الاقليمي واحتلافها. ومجموعتها صالحة جداً حتى لا يمكن إدراكها كوحدة، ويمكن إدراك أجزائها فقط فهي أشبه بالأسطورة القديمة عن الرجال العميان الذين غابوا فيلا، كل واحد منهم يمس عصوا منه ويحسه جميع الحيوان وتصورها واحدة من حكايات أروايشاد عن الحصام في الأهمية الذي نسب بين الأعضاء الحسدية، غير مبالين عن الحياة التي قد عصدهم جميعاً. والواقع أنه لمن العسير أن تتلمس

الوحدة في الكثرة. والهدى في الجماعة، والهدى في المركب. ومجرد التنوع ليس بدليل معاكس للوحدة بل على خلاف ذلك هو علامة الحيوية، والوفرة، والقوة.

ووحدة الهدى الجغرافية واضحة على الخريطة تظهر كيف تفصل البلاد تماماً عن بقية العالم محوحر كأنها لا تنتمي حد مشابهة بالحدود المتنازع فيها التي عبت بدون حقيقة بين بعض الدول الأوروبية

وبالرغم عن هذا فالسؤال باق إلى أي درجة قد أدرك الأهالي هذه الوحدة الأساسية في الهدى أو مثلها في التاريخ ؟ ليست هناك أهمية لعم الطبيعة حتى سحرت لخدمة الإنسان، وله أن يعرف كيف يستكشفها، ويسحرها ويستفيد منها.

إن أول شرط لتقدم الشعب في السياسة والثقافة هو الحصول على قطر مقرر ومعين، يمكنهم أن يحسوه موطناً لهم فيخدموه. فقوم لم يحدوا وطناً لأنفسهم. يسكنون في حالات غير ثابتة وغير معينة، في الاضطراب والالتباس، تنقصهم الشروط اللازمة التي يمكن أن تنمو فيها الثقافة والحضارة إن الحالة البدوية لم تكن أسهل درجات الحضارة وإن الوطن لقوم بمثابة جسم للإنسان. هو ضروري للتقدم من نفسه ولا شك فيه أن تكوين أمة يتوقف على توحيد في عدة عوامل، كالوحدة في اللغة، والدين، والحكومة، والعمومية في التاريخ، والتقاليد، والعادات والطقوس ولكن هذه العوامل كلها ثانوية، وحزورها معروسة في حياة مشتركة ووطن مشترك

كان تقدم الهنديين المكثري في ميدان الثقافة والحضارة نسب تعصدهم الهدى كوطنهم المشترك فطقاً لذلك أطلقوا على الهدى بأحدها لقب «بهارت ورشاء»، ومراجع بوران وصفت اصطلاح «بهارت ورشاء» بأنها البلاد التي تقع في شمال الأوقيانوس (أي الأوقيانوس الهندي) وفي شمال الحال المثلثة (أي جبال هماليا)، والتي تتميز بسعة سلاسل رئيسية من الحال: ميسدرا، وملايا، وساهية،

وسوكتى مت، وركشا (أى حال گودوانا)، ووديا، وپاريپترا (أى جبال وديا العربية إلى هر أراواليس)؛ وفيها يقطع قوم بهارتا، فيسكن قوم كيراتا (أى الأهماح) في شرقها، وقوم ياوانا (أى الآيون أو اليونانيون) في غربها، والسكان أنفسهم يشتملون على برهم، وشترى، وويسيا، وسودرا (أى الهدوسيين) — [راجع «وشو پورانا» لولس]. إن الاسم الحديث «هد» للبلاد ليس تسمية أهلية بل هي استيرادة أجنبية. كانت الهد معروفة لدى الأحاب في العصور القديمة بـ «سدو»، التي تلفظ بالفرس «هدو»، واليونانيون «إندوس»، تاركين الحرف الخلقى الثقيل. إن تسمية «بهارتا ورشا» ليست عبارة جغرافية محضة مثل اسم «الهد»، بل لها معنى تاريخيا مشيرا إلى بلاد يقطعها قوم بهارتا — بلاد ثقافة الهد الآرية التي انكلت لأعمدها الرئيسية على قوم بهارتا. ولما تعين عدد الهنديين الآريين بأنها كانت موطنهم فعمرها بأقصى حدهم وقد استخدمت منهم عواطف حهم وخدمتهم العميقة كما يدل على ذلك أدهم وموحد دعاء من أدعيتهم العمومية كان يلزم على كل هدوسى أن يتذكر صورة وطنه ويعبدها نصفها أرض سعة أهر مقدسة كگا، وحما، وگوداورى، وسرسوتى، وبرمدا، وسدو، وكاديرى التي تقسم فيما بينها مجموع مساحة البلاد ودعاء آخر يتصرع به إلى صورة الوطن كأرض تصم سبع مدن أيودها، ومتهرا، ومايا (هردوار الحالية)، وكاشى وكانجى (كحى ويرم)، وأوانتيكا (أوحيين)، ودراواتى (دواركا)، وهى المدن التي تمثل مناطق هامة من الهد وقد عضد روح هذه الأدعية بنظام الريارات الهدوسية العجبة فيتطلب من الهدوسى أن يرور في حياته الأماكن المقدسة التي تفتقر بمعتقدته. وتوحد لكل واحدة من المعتقدات الهدوسية مهمة أو فرقها قائمة ذكرت فيها الأماكن المقدسة إما من صف ويشاوا، أو سوا، أو سكتا، وهى موزعة في طول الهد وعرضها، غير مقصورة على مقاطعة واحدة. ولقد تجمع الفرق المختلفة على أن يهرض على كل حرب من التمتع

أن يرور أَمَاكى مختلفة وبعيدة في البلاد حتى يبعث فيهم شعور حتى عما يؤايف موطهم المشترك وعلى نفس هذا المعنى، أسس شكرا أربع مراكز دينية (منا) في أربع نقاط من أقصى جهات البلاد، هي: «جيتيرمنا» في الشمال (على مقربة من بدرى كيدار على حال هماليا)، و«سرادمنا» في دواركا في الغرب، و«گوردنامنا» في يورى في الشرق، و«سبحرىمنا» في ميسور. وعلى هذا فالاعتقاد الثنائي تمدد للقومية في الثقافة الهندوسية وتوحد في بعض المراجع المقدسة كؤايف بهگوا، - بورا، أو مؤلف موسمترق عبارات مملوءة بحماسة حب الوطن ذكر بها أن الآلهة أنفسهم قد شكلوا بهارتا ورشا وودوا لو أنهم ولدوا فيها لأنهم تملكه الحية على الأرض بسبب بيتها المحركة للروح وفوق ذلك، بلغ الذكر أوج "معنى" يقول: «الأم والوطن يفوقان الحية في العظمة».

وتدل كل هذه الآراء والمقاربات أن الهندوس قد رفعوا شأن الوطنية إلى درجة الحدس، يقول أفيد: «يفاض شهر» «يظهر الهندوسيون إلى الهند كوحدة سياسية» علم يريدون أن تكون حب سيطرة واحدة مهما كان صاحب السيطرة - «الطائفة» أو «مسرة» أو «هندوس» وأن تكون الهند تحسبها ماديا لثقافتهم الروحية، بل معبر عنهم وبنية الهند الأم لهم وحملوا الهند رهياً لثقافتهم، وملأوها بروحهم وفي في وحب به متناه شيء أكبر من أنفسهم».

والجرب "سياسة" التي حصل عليها الهندوس القدماء ساعدتهم أيضاً علاوة عن ذلك، في مراكزهم تصور النواص ويمكن تصور وحدة البلاد إذا ما حكمتها سيطرة سياسية واحدة. وتقدم كان الهندوسيون القدماء على علم بنظام السيطرة العليا ومرتبها في عصور قديمة جداً وتدل على ذلك ألفاظ ويدي هامة مثل «كارات»، أو سترات أو راجا دهيراج، أو سروهوم، والرسومات الوبدية للعبادة مثل راجا سويا، أو واحايبا، أو أسواميدا، التي قررها الملك الذي أصبح بعض

غزواته ملك الملوك ويوجد في بعض المراحع الوبدة وبعدها في الصوص أمثال مهانارتا أو بورانا، قوائم لمثل هؤلاء الملوك العظام. وعلاوة على هؤلاء الأنظمة الدين وحدثوا في فترة ما قبل التاريخ، قد طهر عدد مهم خلال فترة التاريخ من أمثال جندركيتا موريا، وأشوكا، وسمودرا گيتا، وهرشا، ومهيرا بهوفا، وفي الأيام الأخيرة خلال الدين أكبر وأورنگ زيب وكان بعضهم يقدمون تصحية الحصص ليعطوا عن سيطرتهم العليا، أمثال يوشيامترا، وسمودرا گيتا، وكارا گيتا الأول، وآديتاسينا، وبولا كيسي الأول. فطام السيطرة العليا تاريخ طويل في الهند، وكان إدراكها يوفق المتل الأعلى الذي وضع في كتهم المقدسة لأهل الملوك الدين لاقوا بمساسة كوتهم من جماعة المحاربين تشجيعاً على الطموح بأنه كان حلالاً طيباً لهم أن يوسعوا مناطق سلطاهم إلى أقصى حدود وطهم

ويظهر وحدة البلاد أيضاً بطابع الثقافة الذي يبرها عن غيرها. هذه الثقافة قد أنشأها الهندوس الذين بلغ عددهم ٢٩٠ مليون والفرس قد وصفوا الهند كموطى الهندوسيين «هندوستان»، «الهند والهندوسيون»، هما مربوطان وبما بينهما أساسياً كالحسد والروح، - (يقوله ريمرى مكديسلد) وقد أدت الهندوسية إلى جمع الهند وحنه ثقافية متينة ناشئة تحملت خلال العصور صدمات التورات السياسية، وذلك لأنها بقيت مصونة في نظامها المميز في الحكم الذاتي الاجتماعي الذي ظل مفصلاً عن الدولة، أهلية كانت أم أحدية وغير مستمر إليها بأي صلة إن الهند تسودها القرى، واعتبرت هذه القرى كأها جمهوريات تحكم نفسها، مع عدة كاملة من دستورات محلية لحفظ الثقافة الأهلية، غير مالية بالتعبيرات السياسية التي تطراً في الإدارة العليا أو الحكومة المركزية

وما هي الخصائص المميزة لهذه الثقافة الأهلية الهندوسية؟ قد بيت الخصائص في الوصف الأهلي الهندوسي بأنها الديانة القائمة على تقسيم السكان إلى طقتين

ومرحلتين من الحياة، وهي أميز خصوصية وأكبر موحد للهدوسية. ففي الأصل كما يتضح من المراجع الوبدية كانت تتكأ على تقسيم المجتمع إلى أربع طبقات أو أربع هيئات إجتماعية على حدة: رهن، وشترى، وويسيا، وسودرا. وبمرور الزمن انقسمت هذه إلى طبقات يصعب عدّها. فالهدوس في جميع الهند مقسمون في مئات من الطبقات والطوائف. وأصل نظام الطبقات الذى هو بميزة للهد قد أسس بهمه إلى حد كبير. والنظام يتصل فى الأصل بحياة الفرد الداتية والبيتية والدينية. ولا يتصل بالحياة العامة. وهو يحرم التراوح فيما بين الطبقات المختلفة (لحفظ السبل فقط)، ولكن تقسيم الطبقات هو فقط حرم من الطعام الهدوسى. والحره الآخر هو تقسيم حياة الفرد إلى أدوار معيشة.

(١) راهماچارى أو دور طلب العلم،

(٢) كراهستا أو دور الحياة الأهليه البيتية،

(٣) واپراستا أو دور المعادة،

(٤) سيباسى أو دور سك، يصرف المرء فيه إلى التأمل.

والدور الثالث لا بد أن يبدأ والمرء فى الخمسين من عمره، العمر الذى يليق لرب البيت أن يعمل من الدنيا والحياة العائلية، ويصرف إلى أوسع وأعلى مصالح الحياة وفى خدمة الآخرين. ويقصد بالدور الأخير التهاً للانتهاء بقطع جميع علائق الدنيا الممكنة. فهكذا تتألف الهدوسية فى هيئتها الاجتماعية الخارجية - كما سبق ذكره - فى فرعين نظام الطبقات ونظام الأدوار. ولسوء الحظ قد زاد التأكيد على نظام الطبقات بالنسبة إلى نظام الأدوار. إن نظام الطبقات يقسم على أساس الولادة ولكن نظام الأدوار يوحد، ويربط جميع الطبقات فى قوابه المشتركة، حتى يهدى المرء حياته بحانب الطريقة المنظمة للتطور الطبيعى الدورى.

واللغة السنسكريتية هي مركبة لهذه الثقافة الهندوسية . ولا يمكن أن نبالغ
أهمية نفوذ السنسكريتية تدعيم الوحدة . ولقد بينها موير ولجيس (Monier
Williams) بالوصوح (في الهندوسية ص ١٣)

« إن الهد وإن كان لها حسنة لمحات مطوقة ، فلها لغة مقدسة وحيدة ،
وأدب مقدس وحيد ، يقلبها ويقدها جميع أنواع الهندوسية على السواء ،
مهما احتلوا في السلالة ، والرتبة ، والفرقة . فتلك اللغة المقدسة هي السنسكريتية ،
وذلك الأدب هو الأدب السنسكريتي — المحزن الوحيد لوبدا أي العلم ،
في أوسع معناه . وهو المركبة الوحيدة للذهب الهندوسي ، وهو المرأة الوحيدة
التي تعكس فيها بالأمانة جميع الفرق الهندوسية ، وآرائها ، وخصائنها ،
وعاداتها ، و (إذا أتيح لنا الاستعارة الرائعة) صحرة وحيدة من حيث تحمل
جميع المواد الضرورية لتحسين اللغات المتداولة أو للتعبير عن الأفكار الدينية
أو العلمية الهامة . »

وهذه الثقافة الهندية المتميزة قد وُحِدَت البلاد مع مرور الزمن إلى حد
عرفت فيه البلاد والثقافة بامصطلحات مترادفة . فكانت البلاد هي الثقافة
والثقافة هي البلاد ، فالمملكة الرومانية قد احتوت على الحدود الأرضية ومنذ
إدخالها في الهد من عهد رگويدا ، قد انتشرت هذه الثقافة الهندية الآرية خلال
المصور في دوائر ومناطق كانت ولا تزال تتوسع ، وعرفت أدوارها المتنوعة
سپيا-سندو ، ورمهارشيديسيا ، وراهماورتا ، ومدهياديسا ، وآرياورتا ، وحمودويا ،
وبهارت ورشا ، إلى أن اختارت نسب وهرة نشاطها حدود الهد ، وشيدت الهد
السكرى في ما وراء حدودها عر الحار . وتوحد الأفكار الهندية وأطعمتها في
الأدب ، والأنصاب التذكارية ، والأماشيد ، والأساطير ، والأخلاق ، والعادات ، ولا
تزال حية إلى الآن في بلاد كسيام ، وكبوديا في البر الأصلي ، وفي جزائر حاوا ،

وسوماترا، وبالي، وجوريبو، وكان ذلك على يد المهاجرين اليهود المستوطنين فيها. وبعض هذه البلاد قد تلقت حتى ديارتها من الهد، أمثال تفت، وبيلال والصين اتعت مذهب «هايانا» من الودية وأمثال رما، وسيلان، وسيام، وكبوديا، التي تدبت مذهب «هايانا» من الودية. إن الاستثمار يستمد حروره من القومية الشيطة المتعدية التي تتعدى شعور الموطن المشترك وثقافتها المتغيرة

يبنى أثرها على التاريخ

إب ما تركته الهد أو حلقته من أثر على التاريخ، يصعب حدا تحديده وبالرغم من وحدة الهد الأساسية، قد أوجد اتساع حجمها وتنوع هيئاتها الطبيعية وأحوالها الاجتماعية، النتائج الطبيعية على تاريخها ونشوء سياستها ولقد عسر دائما أن تتسق الهد بأجمعها في وحدة، وأن يصطح حكمها من مركز واحد تحت سلطان واحد، أو تحت سيطره سياسية واحدة والنتيجة هي أن الهد لم تدرك نظاما كاملا أو موحدا حتى تسمى تاريخها بالتدقيق كـ «تاريخ الهد» كما بقدر أن تسمى «تاريخ الهندرا» أو تاريخ فرنسا إن تاريخ الهد قد تحلل في أكثر الأحيان في تواريخ ودية، ثلوية، غير مسلسلة، فلا تبقى هناك مواصلة في تاريخ عام لجميع الهد وبدل أن يشأ التاريخ من مركز واحد تحت إدارة مشتركة، قد نشأ في الغالب من مراكز مختلفة، وحتى من مراكز مستقلة فيما بينها، فأقدا وحدته في تنوع تواريخها المعزلة والمحلية لمختلف الشعوب والمناطق التي كانت تتطور حسب أساليبها المستقلة، والتي قدمت نقاطا صتيلة في الاتفاق، ونقاطا وافرة في الراجع بينها. ويرتب عليه أن يتنوع ويدرس تاريخ الهد السياسي في قطعات وكسرات، وفي نقاطات وترتيبات معزلة، وفي الحلقات المفقودة المتعددة. ولقد تشكل التاريخ خلال العصور على أيدي عدة أقوام وحكومات أمثال موريا، وكوشان، وإندرا، وكبستا، وكورجارا للشمال، وبلاوا، وچالوكيا، وچولا في الجنوب، أو

المسلم، ومراتها، والسيح، والاكثير في الأيام الأخيرة وقد حكم هؤلاء من مراكز مختلفة ومتغيرة أمثال پاتلى پترا، وپورشاپورا، وپنتها، وناسك، وأوحي، وقوج، وبدامى، وكاجى، وكليان، وتاجور، ودلهى، وپونا، ولاهور، وكلكتا كل هذه كانت مراكز الادارة المختلفة لأولياء الامور السياسيين، ولختلف أدوار في التاريخ الهدى. ولقد حدث مرة واحدة للهد أنه كان لجميع الهد تاريخاً واحداً تحت سيطرة حكومة عامة، وهى إمبراطورية موريا في رئاسة أشوكا الذى در أن يشعر يهوده في جميع أنحاء البلاد بل في أفغانستان وبلوچستان، حتى إلى فارس كأجزاء الهد موسعة، أصبح لها الامپراطور أشوكا، السلطان الأعظم

ويجب أن يهتم أنه علاوة على صحامة الهد، لم تسمح الأحوال في العصور القديمة — كالصعوبات في المواصلات قل الاختراعات الميكانيكية الحديثة أن تكون في الهد إمبراطورية واسعة أو إدارة حكومة مركزية ولكن يكون لعود سلطة أتر حتى تكون الأجزاء المختلفة البعيدة في مساحة واسعة، مألوفة على طاعة حكمها، كان لها أن تكون غير مركزية لحد بلبع، معطيه دائرة واسعة للحكومات المحلية وهكذا كان هناك ولا بد حياة وتاريخاً محلياً، غير مال بالحياة العامة والتاريخ الهدى وبدأ أصبح التاريخ الهدى مجرد مجموعة من التواريخ المحلية المتفرقة

وبلاحظ أنه في وراء هذا الاختلاف في التاريخ المحلي، كان هناك دائماً في أرضية الصورة تاريخ جميع الهد، الذى لم يكن سياسياً بسبب كيفية الأحوال، ولكن كان ثقافياً في صبعته التاريخ الفكرى الذى يتجاوز الحدود المحلية والتجوم الادارية إن جميع الهد لتحمل بعض حركات الفكر والحياة المشتركة التى تنبع في قيام بعض المادى العالية المشتركة والأنظمة التى تميز الحضارة الهدية عن غيرها من الحضارات العالمية، وتصفها بأنها «وحدة في تاريخ الشعوب الشرقى اجتماعياً، ودينياً، وذهنياً» — (يقوله إسمنت [Smith] في «تاريخ الهند القديم»).

مجلس الهند للروابط الثقافية

تقرير السنوات الخمس (١٩٥١ - ١٩٥٦)

قدم سكرتير المجلس السيد إيعام الرحمن حان تقريراً عن نشاط «مجلس الهند للروابط الثقافية» خلال السنوات الخمس الماضية، في اجتماع الهيئة الإدارية العليا للمجلس المعقد في شهر أبريل الماضي تحت رئاسة رئيس المجلس مولانا أنى الكلام أراد وفيما يلي مقتضات من ذلك التقرير.

كان المجلس في عام ١٩٥١ يشتمل على ثلاثة أقسام - قسم الشرق الأوسط، وقسم حوب شرق آسيا، والقسم الإيراني - والآن توحد عدداً ثمانية أقسام، وهي (١) قسم عرب آسيا (وكان يسمى قسم الشرق الأوسط سابقاً)، (٢) قسم شرق آسيا (قسم حوب شرق آسيا سابقاً)، (٣) القسم الإيراني، (٤) القسم الأفريقي، (٥) قسم منطقة حور عرب الهند البريطانية (Caribbean)، (٦) قسم لخدمة الطلاب، (٧) قسم الاستعلامات، (٨) مكتبة ودار المطالعة.

ولست عندما الآن أقسام خاصة للبلاد أوروبا وأمريكا لأسباب شتى، ولكن نشاطاً يمتد إلى تلك المناطق ويقوم باتصالات خاصة مع المؤسسات الثقافية في تلك البلاد

وإليك خلاصة نشاطها في الأقسام المختلفة

١ - قسم عرب آسيا (مع القسم الإيراني).

يقوم المجلس باتصالات مستمرة مع المنظمات الثقافية المحلية في بلاد غرب آسيا. وكذلك يستقبل بلاد اللاطقين بالضاد والبلاد التي يتكلم أهلها

واللغة الفارسية عدداً صحياً من مجلتي العربية «ثقافة الهد» التي تصدر عن المجلس بعد كل ثلاثة أشهر ومجلة «إيران وهد» (Indo-Iranica).

وكان المجلس يتمتع بتشجيع من الحكومة الهندية في سبيل تنفيذ بعض المواد الواردة في المعاهدة الثقافية بين الهد وتركيا المعقودة في عام ١٩٥١، وطبقاً لهذه المعاهدة عين المجلس الدكتور مي لال پاتل أستاذاً للعلوم الهندية (Indology) في جامعة استامبول. وقوبل نشاطه العلمي في ذلك الميدان منذ عام ١٩٥٤ بقبول حسن لدى الأتراك. وطلبت من الحكومة التركية في عام الماضي باتحاد التسهيلات اللازمة لنقل الدكتور پاتل إلى أقره لتأسيس قسم خاص للعلوم الهندية في جامعة أقره. وبإاء على ذلك الطلب قرر المجلس أن يعين الدكتور پاتل أستاذاً زائراً في جامعة أقره علاوة على خدماته في استامبول.

أما الدكتور سي كهان راحه الذي عين أستاذاً للغة السنسكريتية في جامعة طهران عام ١٩٥٠ واصل بمناطه العلمي إلى شهر يوليو ١٩٥٤ ثم استرحته جامعته. فعين في تلك الوظيفة الدكتور ایراج ناراپوروالا الأستاذ الخليل المشهور في السنسكريتية وتولى الدكتور ناراپوروالا مهام منصبه في طهران عام ١٩٥٥. وسوء الحظ قد تداعت صحته عقب ذلك ونقل إلى الهد في حالة المرض الذي لم يتشف منه. وسيعين قريباً من يستحلطه.

وفي شهرى أبريل ومايو عام ١٩٥٢ زار الهند أستاذان وثمانية طلاب من إيران في رحلة قام تكاليفها المجلس. وفي ١٩٥٣ أعان المجلس ماله إيرانية التي رارت الهد. وقد مححت راح الجماعة وصارت مساعدة المجلس في هذا الشأن محل ثناء فائق من الحكومة الإيرانية.

قام المجلس في سنة ١٩٥٣ بتكاليف إيفاد بعثة ودية إلى كابول بمناسبة

احتفالات أقيمت هناك

أهديت الكتب الكلاسيكية وغيرها من الكتب عن الهد المؤلفة بأيدى الكتاب الهود إلى الشخصيات النادرة والمكتبات والمعاهد العلمية فى بلاد عرب آسيا

وقام المجلس باستقبال الرائزين البارزين الذين قدموا إلى الهد من هذه المنطقة استقبالا مصحوبا بالحفاوة البالغة، بطريق استقبالات رسمية وطرق أخرى مناسبة لتلك الشخصيات الرائرة، منهم جلالة الملك سعود عاهل المملكة العربية السعودية، وجلالة شاه إيران وملكته، ورئيسا وزارتي مصر وسودان

وتجمع المجلس تبادل الطلبة بين الهد وبين بلاد غرب آسيا باعطاء المنح الدراسية لمدة قصيرة. وبعث المجلس طالين من الهد لدراسة لغات وثقافات بلاد عرب آسيا، كما أنه دعى طالين من تلك المنطقة إلى الهد لدراسة الموسيقى الهدية والفنون الخيلية

وشكل المجلس فى أوائل عام ١٩٥٥ لجنة للترجمة تتألف من اثني عشر عضواً تحت رئاسة الدكتور جترونى (S K Chatterji) فيما يكون السفير الايرانى فى الهد عمدها وتهدف اللجنة إلى اختيار الكتب الكلاسيكية وغيرها من الكتب فى الآداب الهدية لترجمتها إلى اللغة الفارسية ونشرها والعمل الأول الذى قامت بها اللجنة هو ترجمة شكستلا لكاليداس إلى الفارسية وهى الآن قد وصلت إلى مرحلتها النهائية. ومن المقترح أن تنشر ترجمة لاپايشد على أساس ترجمتها للأمير داراشكوه (أواسط القرن السابع عشر) وبحرى العمل على قدم وساق تحت إشراف الدكتور تاراچند السفير الهندى لدى إيران، ومن المتوقع أن يتم قريباً.

١- جنوب شرق آسيا:

تحمل المجلس تكاليف زيارة الأستاذ بي. وي. بايت إلى بلاد جنوب شرق آسيا زيارة دراسية استغرقت حوالي ثلاثة أشهر من مارس إلى يولية سنة ١٩٥٣. وكان الهدف الأول بزيارة الأستاذ بايت هو دراسة أثر الفكر الهدى والثقافة الهدية في بلاد جنوب شرق آسيا.

وفي عام ١٩٥٣ أوفد المجلس الدكتور ايس. ايم ايج بيار إلى اندونيسيا لمدة عامين لبحث آثار الثقافة الهدية على الشعب الاندونيى وانتهت مدة مهمته في شهر يولية ١٩٥٥، ولكنه قرر لأن يقيم هناك لعدة أشهر أخرى على حسابه الخاص لجمع معلومات رائده لكتابه الذى يريد أن يشره في هذا الموضوع.

ولعب المجلس دورا هاما في إكرام واستقبال الشخصيات البارزة والبعثات الثقافية التي قامت بزيارة الهدى خلال مدة خمس سنوات مصت وأصاف المجلس البعثات الرسمية والغير الرسمية التي جاءت من الصين في أعوام ١٩٥١ و ١٩٥٤ و ١٩٥٦ صيافة مصحوبة بالتقدير والتكريم. وأقام المجلس حملة استقبال على شرف الدكتور محمد حته نائب رئيس الجمهورية الاندونيسية حينما رار الهدى في شهر سبتمبر ١٩٥٥

وأهدى أيضاً كتباً كلاسيكية وغيرها من الكتب الهدية المؤلفة بأيدي الكتاب الهود عن الهدى إلى المكتبات والمعاهد العلمية في الصين، وإندونيسيا، وملايا

٢- القسم الأفريقى :

كانت الزيارة التي قام بها نائب رئيس مجلسا كاكا صاحب كاليلكر إلى غرب أفريقيا في شهر أكتوبر ١٩٥٢ تحت مسئولية المجلس سدا

للعمل بالقرار الذى اتحد فى اذار عام ١٩٥٣ لتأسيس قسم أفريقيا خاص. وتحمل المجلس عبء زيارة شرى راكهوراؤ إلى شرق أفريقيا لدراسة الحالات الاجتماعية والاقتصادية للحالية الهدية فى تلك المنطقة. وقد نشر تقريره بصورة مقالة ليل الدكتوراه من جامعة نوماى. وفى شهرى يوليو وأغسطس عام ١٩٥٤ قام الدكتور سبتى كار جاترحى رئيس مجلس التشريع لعرب مغال وعصو فى مجلسا زيارة ودية إلى عرب أفريقيا من جانب المجلس هذا

ومن جانب أفريقيا قام ثلثة من الشخصيات الممتازة بزيارة للهدى فى أوائل عام ١٩٥٣ صيوفاً على المجلس، وهم المستر موسارى والمستر موتيرا من أوغانده والمستر حى ابن لوانى المعلم فى مدرسة ديكيا. وفى شهر مارس من نفس العام وصل إلى الهدى المستر أودينكا أحد رعماء أفريقيا الشرقية البريطانية بدعوة من المجلس للاقيام بزيارة على نطاق واسع فى طول البلاد الهدية وعرضها وفى السنة الماضية قدم إلى الهدى المستر لوباما أمين صندوق لراطة الشان فى بدو وقام تحولات وسبعة لمدة حوالى ستة أسابيع صيفاً على المجلس وأعطى المجلس علاوة على ذلك محاضرة لدراسة للاستراى ايم متوبوكا وإيل دى ايف موكوتو من شرق أفريقيا فى عامى ١٩٥٤ و ١٩٥٥ لمدة ستة أشهر للحصول التدريب فى الصحافة فى الهدى

هذا وقد أهدى المجلس إلى المكتبات والمعاهد العلمية والشخصيات الممتازة فى شتى أنحاء أفريقيا، عدداً ضخماً من الكلاسيكية الهندية مثل أوباشد وركوبدا وكتبا وغيرها من الكتب عن الهدى التى وضعها الكتاب الهنود مثل دسكورى آف إنديا. (أى اكتشاف الهدى) لخواهرلال هرو وكتب مهاتما غاندى

ومن الأعمال الهامة المثمرة فى راجما نحو أفريقيا هو زيارة بعثة ودية من

أوغانده إلى الهد في شهر مارس ١٩٥٦ ووصلت إلى الهد في ٤ من مارس البعثة المحتوية على ستة من الشخصيات البارزة تحت زعامة الدكتور موارى السكرتير العام للحزب الوطنى فى أوغانده واجتمع أعضاء البعثة خلال إقامته فى الهد التى استغرقت أربعة أسابيع مع رعماء الهد وشعبها، وكذلك زاروا المراكز الصناعية ومراكز التطور الاجتماعى وكانت زيارة هذه البعثة فى فرصة مناسبة، ورحو أن تكون تلك الزيارة ناجحة مثمرة

- منطقة حرر غرب الهد البريطانية

عين المجلس محاصرا ثقافيا فى تريديداد (Trinidad) فى شهر يناير ١٩٥٤ ساء على الطلب الذى قدمه إلى المجلس أهالى حرر غرب الهد البريطانية. وفى شهر فبراير ١٩٥٤ عين المجلس شرى ايس سى. ديكشت فى هذا المنصب فى تريديداد لمدة عام فى الوهلة الأولى. وكان نشاط شرى ديكشت فى نشر الثقافة واللغة الهندية قبول بقول حسن من أهالى تلك المنطقة المحذرين من أصل هدى وعيرهم. وعلى ذلك قرر المجلس تعيين محاصر ثقافى آخر فى حرر عرب الهند على أن يكون مقره فى غيبا البريطانية وعين شرى مهامم سح فى هذا المنصب فى شهر سبتمبر ١٩٥٤. وعاد شرى ديكشت إلى الهد فى أواسط سنة ١٩٥٥ وحطه شرى حيدوب محاضرا ثقافيا فى تريديداد. ويتلقى المجلس تقارير دورية عن نشاط محاصريه المثمر فى تلك المناطق هذا وإن المجلس قد تلقى طلبات مماثلة من أهالى حائكا وسريام لايعاد المحاصرين إلى تلك الجهات أيضا. وراحت الهد فى السنة الماضية بعثة ودية غير رسمية تمثل الشعب المحذر من أصل هدى فى حرر عرب الهد البريطانية وفى أوان إقامة البعثة فى الهند صيما المجلس، وورع على أعضاءها كتب عن الهند. وأرسل عدد كبير من الكتب الكلاسيكية الهندية وغيرها من المؤلفات فى

المواد التي تتعلق بالهند إلى منطقة جزر غرب الهند.

وكان هناك اقتراح في العام الماضي لإيجاد عالم هندي مختار كمحاضر زائر في تلك المنطقة ولكن المجلس لم يستطع أن يعمل بهذا الاقتراح في السنة الماضية لأسباب شتى. وهو الآن قد اتخذ الإجراءات اللازمة ليرسل الدكتور أميا جكرورتي الذي يحاضر الآن في جامعة بوسطن في أمريكا عن الدراسات الشرقية، أريارة هذه المنطقة في هذه السنة لمدة حوالى ستة أسابيع ويلقى خلالها سلسلة من المحاضرات بالمراكز الهامة حول مختلف المواضيع عن الثقافة الهندية

٥ - قسم خدمة الطلاب

يوحده المجلس عناية خاصة تجاه رفاهية الطلاب الأجانب الذين يدرسون في الهند ولهذا العرص فتح المجلس قسماً خاصاً لخدمة الطلاب في سنة ١٩٥٣ وإياه في تعاون تام مع الحكومة الهندية وجامعات الهند. وعدنا الآن حوالى ثلاثة آلاف طالب أحسن (مهم طلاب محدرون من أصل هندي) من حسين بلد مختلفة ويهتم القسم أن تكون إقامة هؤلاء الطلبة الأجانب في الهند على أتم راحة ويحملها أيضاً باقعه ومشرفة. ويهيء القسم مباشرة وسائل لعقد احتفالات اجتماعية، ورحلات العظة، وإشاء حلقات دراسية، وخيام الترفيه للاستفادة منها. ويقوم المجلس بهذه الأنواع من النشاط وغيرها مستهدفاً إلى توثيق الصلات بين الهند وشعبها.

وألف المجلس اللجان المحلية للترفيه في المراكز الآتية لمساعدته في نشاطه. وهي علسكره، وإله آباد، وبارس، وبومباي، وكلكتة، ولكناؤ، ومدراس، وبوبا، ووشواهارتى (شانتى بيكيتن). وهذه اللجان تقوم بتنظيم احتفالات اجتماعية وتشرف على توفير وسائل الراحة للطلاب الأجانب في تلك المراكز

وتسعى في سبيل حل مشكلاتهم العدائية والسكنية وغيرهما .
كان مؤتمر الطلبة الأفريقيين المقيمين في الهد المعقد بدطى في شتاء عام ١٩٥٣ عملاً هاماً من الأعمال التي قام بها المجلس . قد افتتح شري حواهر لال هرو هذا المؤتمر وخطب فيه عدة شخصيات هدية باررة واشترك فيه أكثر من مائة معوث .

اشترك حوالي ثلاثين طالباً من اثني عشر لدا في حلقة دراسية عقدت في ناگپور أثناء عطلة عيد الميلاد عام ١٩٥٤ حول فلسفة عاى وألقى فيها عدد من أحلة العلماء سلسلة من المحاضرات الثقافية عن مختلف نواحى فلسفة عاى وعن الفكرة العاىة .

وكذلك قام المجلس بتنظيم معسكرات التسلية التعليمية في أيام المساحات وأقيم أول معسكر في مساحة الصيف عام ١٩٥٤ في كودا كمال . واشترك فيه من عترة حامعات الهد ثمانية وعشرون طالباً من ستة عشر لدا وصار النجاح الذى حرر هذا المعسكر من نوائت التشجيع لنا لأن نفتح معسكرين آخرين في مساحة الصيف في شهرى مايو ويوبو عام ١٩٥٥ ، واحد في كشمير وآخر في اوتى كاند . فاشترك في معسكر كشمير مائة وستة عشر طالباً من خمسة وثلاثين لدا من يدرسون في خمس وعشرين حامعة في شقى أنحاء الهد . بينما اشترك في معسكر اوتى كاند ثمانية وثلاثون طالباً من ستة عشر لدا من يلتحقون إلى اثنتى عترة حامعة هدية . واشترك في هذه المعسكرات عدد من الطلاب الهود أيضاً .

عين قسم الطلاب في المجلس ثلاثة مديرين ليقوموا باتحاد الاحراآت الالمة لاسداء تسهيلات خاصة لرعاية الطلاب وراحتهم ، واتحدوا مراكزهم الرئيسية في بومباى وكلكتة ومدراس . وهؤلاء الثلاث إلى جانب مدير عام في المركز

وقرر المجلس إفتتاح حلقات خاصة للدراسات الشرقية للطلاب الأجانب الذين يقدمون إلى الهد في هذا العام إذا نالت هذه الفكرة مرموقاً ستكون هذه الدراسات الشرقية حراً مستمراً من نشاطها الثقافي.

٦ - قسم الاستعلامات

أما برامج قسم الاستعلامات للمجلس فهي مساهمة جوهرية صوب إحراز أهدافها المنشودة ومن برامج قسم الاستعلامات المستمرة إصدار مجلتيين بعد كل ثلاثة أشهر، إحداهما الثقافة الهدية الآسوية (Indo Asian Culture) في اللغة الانكليزية والأخرى «ثقافة الهد، بالعربية». وتصدر الهيئة الايرانية في كلكتة مجلة ثالثة في الفارسية والانكليزية باسم «إيران وهد، (Indo Iranica) تحت إشراف المجلس

وهات المجلة العربية التي بدأ صدورها منذ عام ١٩٥٠ محل قبول ورضا من قراءها في داخل الهد وخارجها

وأما المجلة الانكليزية فقد ابتدأ صدورها منذ عام ١٩٥٢، وقد كملت أربع سنوات إلى الآن ومن الشواهد على الطلب المتزايد والاستحسان من الجمهور هو أن المجلس اضطر لطبع كمية كبيرة من أعدادها واستحسانها القراء في الهد وفي الخارج استحساناً بالعملاً. وتتمتاز المجلة بمحتويات ثمينة ومحدودة بديعة في الطبع وأحسن أنواع الصور والرسوم.

ويساهم المجلس أيضاً في نشر المخطوطات السادرة وغيرها من الكتب القيمة عن الهد بطريق القيام بطبعها ونشرها بنفسه أو بطريق منح إعانات مالية لازمة إلى أشخاص أو معاهد تقوم بهذه المهمة. وتتميزاً لهذه المهمة وافق المجلس على إسداء إعانة مالية لازمة للدكتور آر. بي. سكسينا في السنة

الماضية ليستعين بها على نشر كتابين مخطوطين نادريين في حورته . أما ترجمة بروفيسور هادي حس لشكتلا إلى الفارسية فقد سبق ذكرها . واشترى المجلس حقوق الطبع للنراحم العربية لسنة كلاسيكية هدية قام بترجمتها الشاعر العربي المشهور المرحوم وديع السستاني، من صمها گيتا، ورامايبا، ومهابهارتا، وشكتلا . واتفق المجلس مع مدير الوثائق التاريخية الوطنية لترتيب مجموعة قيمة من الوثائق المنشورة من حاب شركة الهد الشرقية . وتشتمل تلك الوثائق على تقارير من وكلاها في مختلف أنحاء الهد وفي الشرق الأوسط حول الحالات الاقتصادية والاجتماعية في تلك البلاد في الصف الأول من القرن التاسع عشر . ويقوم المجلس بطبع ونشر هذه الوثائق .

٧ - المكتبة ودار المطالعة .

تحتوى مكتبة المجلس على تمانية آلاف كتب، منها ستة آلاف كت من حاب رئيس المجلس مولانا أنى الكلام أراد من المجموعة الثمينة النادرة التي جمعها شخصيا . وأضيفت إليها في السنة الماضية كتب تعادل قيمة خمسة عشر ألف روبية ومعظمها في اللغة الانكليزية . وبما دعانا إلى هذا الاهتمام الكبير لجمع كمية ضخمة من الكتب هو رعتنا الملحة لانشاء مكتبة تصم أكبر عدد ممكن من الكتب النافعة التي تصور للقراء وتحرم عن الحياة الثقافية والاجتماعية لا في الهند فقط بل في جميع نقاع العالم . لقد صار عدم اتساع المكان الحالي للمجلس سببا مانعا للسرعة المطلوبة للهوض بمكتبتنا .

أما دار المطالعة الملحقة بالمكتبة فهي مفتوحة لعامة القراء . وتتلقى دار المطالعة حوالى أربعين صحيفة ومجلة في مختلف اللغات، ومعظمها يصل بالتبادل مع مطبوعاتنا ومشوراتنا .

٨- نشاط المجلس في مختلف النواحي :

امتد نشاط المجلس إلى المناطق التي لم تفتح لها بعد أقسام خاصة إلى جانب أنواع النشاط التي يقوم بها المجلس في المناطق المذكورة بطريقة سقت تفاصيلها . وقام المجلس بإعداد ورقة للرقص إلى الولايات المتحدة الأمريكية تحت إشراف شري راي (D K Roy) في عام ١٩٥٣ . وفي عام ١٩٥٤ قدم المجلس إعانة مالية للدكتور ايس سها في جامعة كلكتة ليسافر إلى استراليا ليشترك في مؤتمر العلوم الهندية العامة المعقد في پرت (Perth) بأستراليا . وكانت رئاسة الدكتور «ماي ليس ديل» (Myles Dillon) من دليل للهدى في رحلة ثقافية تحت مسؤولية المجلس وأقام المجلس احتفالات استقبال للرائين البارين من أوربا وأمريكا مثل «الدكتور ويتري» (Venturi) من إيطاليا و«الدكتور كريس كرك» (Grayson Kirk) رئيس جامعة كولومبيا بنيويورك . كما أن المجلس أهدى إلى الرائين البارين كتباً عن الهدى ، وكذلك أرسل مجموعة منها إلى إيطاليا ، وبولندا ، وبلغاريا ، ويوغوسلافيا ، والمملكة المتحدة ، والولايات المتحدة الأمريكية

وأشأ العلاقات وكون التعارف مع المؤسسات الثقافية في معظم البلاد على وجه الأرض ووصلنا أيضاً إلى اتفاقيات حول تبادل المشورات والمضوعات مع هذه المؤسسات .

ويخصص المجلس اعتمادات خاصة في برامجها القادمة لما يلي :

١- نشر الكتب حول مختلف النواحي في الآداب الهندية والثقافة والفنون .

٢- فتح المراكز الثقافية مع المكتبة ودار المطالعة وقاعة المحاضرات لغرض نشر المعلومات عن الهدى في البلاد الخارجية . ومن المتوقع أن يتبدأ هذا البرنامج

في اليابان، واندونيسيا، ومصر، ولسان، وسوريا، وأفريقيا، ومناطق حزر
غرب الهند البريطانية.

٣ - إيهاد العلماء الهنود كمحاضرين رائرين في تلك المناطق.

٤ - إدخال الدلائل الأوروبية والأمريكية في نطاق نشاط المجلس الواسع (وقد
دخلت فعلا سوع ما في هذا النطاق).



من أخبار الهند الثقافية

احتفلت الهند ونص اللاد البوذية عند تمام البدر في ٢٤ من مايو ١٩٥٦ ذكرى ألبين وحسمائة لوفات بودا العظيم، وتحديد هذا التاريخ يرجع إلى الروايات التي تمسكت بها نص اللاد البوذية، لأن هناك خلاف بين المؤرخين بشأن التاريخ الحقيقي لوفات بودا.

وقد صرح الدكتور راحدر راشارد رئيس الجمهورية أن الحكومة الهندية قررت إنشاء كرسي لدراسة الفلسفة البوذية بجامعة دلهي لكي ينسى الاحتفال بذكرها.

* * *

افتتح رسميا الدكتور رادها كرشن معهد «نالداء» (Nalanda). وقد كانت نالداء في عصر القديم مركزاً عليا عطيما يشهد إليها الرجال طلاب العلم من سائر العالم.

* * *

عثر نائب المدير لمصلحة الآثار القديمة على المحتوات الصخرية بجراثر هاويان (Hawayan)، وهي تشبه الصور المرسومة على الحواتم التي وجدت بوادي إندس. ويرجع تاريخ هذه المحتوات الصخرية إلى ثلاثين قرنا قبل الميلاد.

* * *

وجدت في المكان التاريخي «هوتيشور» بالقرب من متها مجموعة كبيرة من النقود النحاسية التي يرجع تاريخها إلى القرن الأول والثاني من الميلاد. وكان هناك في رمن من الأرمان معد عظيم للبوديين

* * *

اكتشف في مكان لوتهاال القديم (أحمدآباد) أكثر من مائة خاتم يحمل كتابات وصورا حيوانية. ويرجع عهد هذه الحواتم إلى ثقافة هارابا بوادي إندس.

* * *

قام المجلس الهندي للروابط الثقافية بطبع ترجمة التمثيلية الشهيرة «شكنتلا» لكاليداس باللغة الفارسية، ترجمها الدكتور هادي حسن.

THAQAFATU'L-HIND

(INDIAN CULTURE)

PUBLISHED QUARTERLY

IN

MARCH, JUNE, SEPTEMBER and DECEMBER

CONTENTS

Subjects	Contributors	Page
1 Some Problems in Indian History	by Dr. N P Chakravarti	2
2 Malabar (Kerala)	by Mohiyyuddin Al-Alwaiye	30
3 A mistake in Heaven ? (Rabindranath Tagore)	by Anwar Shata	65
4 How Pathi - Putra came into existence ?	by Mahmud Ali Khan	71
5 Pre-Historic India		78
6 Hindu Civilization Geographical and Social Background		122
7 ICCR Report, 1951 — 1956		148
8 Cultural News of India		160

ANNUAL SUBSCRIPTION: Inland Rs 8 Abroad Sh 8 SINGLE COPY - Rs 2

**INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS
PATAUDI HOUSE, NEW DELHI 1**

PRINTED AT THE PRESS OF

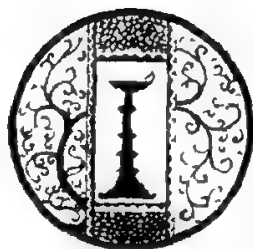
MAHARAJA GURUPURUSHTH OF AMBALSAR, 1000, BANGALORE, AND PUBLISHED BY

MAHARAJA GURUPURUSHTH OF AMBALSAR, 1000, BANGALORE, AND PUBLISHED BY

THAQĀFATU'L-HIND

(INDIAN CULTURE)

*A QUARTERLY ORGAN OF
INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS*



MARCH - JUNE 1956

ثقافتك الهندية

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية



سبتمبر ١٩٥٦

ثقافة الهند

تصدر أربع مرات في السنة : مارس ، يونيو ، سبتمبر ، وديسمبر

الاشتراك للسنة : في الهند : ثمانى روپيات في الخارج : ثمانى شللت
نمن العدد الواحد : روپيتان

تطلب من

مجلس الهند للروابط الثقافية ، بتوى هاوس ، دلهى الجديدة نمرة ١

طبعة «ق» بالكت

صاحبا على طرف الدين : ١٩٦٩ طبع محمد علي ، بمباي ٢

طبع باسم مجلس الهند للروابط الثقافية

ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

العدد الثالث

سبتمبر سنة ١٩٥٦

المجلد السابع

محتويات هذا العدد

مقدمة

٢

١ الأديب في الهند: الهند الزكويدي

٣١

٢ الأساطير الهندية من الكون وحلقته

٥٤

٣ مناقشات وأبحاث طاهر في طفولته

٦٩

٤ ظاهرة الجلبة

٧١

٥ من أعمال الهند الثقافية

الآريون في الهند: التمدن الرگويدى

نصوص رگويدا عن الاصليات الآرية

يعتبر تاريخ الهند في الاعلى تاريخا للآريين في الهند. يبدأ التاريخ من زمان ظهور الآريين في الهند وأقدم مرجعه هو المؤلف المعروف برگويدا سميتا، (Rigveda-Samhita)، وهو ليس بأقدم كتاب عن الآريين الهنديين لحسب، بل أيضاً عن سلالة الآريين تأكملها فالكتاب لا يوضح فقط ابتداء التاريخ الآرى في الهند، بل أيضاً يبين تاريخ الآريين في أماكن أخرى، ويبين هيئة اللغة في عصر ما قبل التاريخ (كالصرف، والتلفظ، والأدوات)، وهيئة المذهب، وهيئة الحضارة على العموم

اللغة الآرية ووطها المشترك

وحد اللغويون أنه يظهر في لغة رگويدا وتراكيب محوها ومصادر أفعالها علاقة بالفارسية، واليونانية، واللاطينية، والتوبوية، والسلتية، والسلالية، كأن هذه اللغات هي الخلفاء لسلف مشترك فيوجد لديهم ألفاظ مشتركة تعبر عن القراءة الابتدائية، أو عن التحررة الأساسية في الحياة مثلا الألفاظ التي تعبر عن الأب، والأم، والولد، والبيت، والرب، والقلب والدموع، والفأس والشجر، والكلب والقر.

فلازم:

في السنسكريتية	:	ماتر	(Mātar)
في اللاتينية	:	متر	(Mafar)
في الانكليزية	:	مدر	(Mother)

ولولد

في السنسكريتية	: سونُ	(Sānu)
في التنيوية	: سوبو	(Sānu)
في الألمانية العوقاية	: سُنْ	(Sunu)
في الانكليزية	: سَس	(Son)

هذه الشهادة اللغوية، هي شهادة مهمة في التاريخ من العهد الاستدائي فالعلاقة كهذه في ما بين اللغات، تشير إلى أساس مشترك للغة مشتركة نطق بها في موطن مشترك أجداد من ينطق بها الآن والناطقون بهذه اللغات أصبحوا أقواما مفصلين راحلين من موطنهم المشترك الأصلي، ولكن أجدادهم كانوا قوما واحدا آرياً. ويمكننا أن نسميهم «ويروز»، بمناسبة لفظ «ويروز» بمعنى «رحال»، الوارد في أكثر هذه اللغات.

والسؤال هو، ما هو الموطن الآري الأصلي — بلاد ويروز؟ يستنتج ذلك فقط من المعلومات التي نحدها في هذه اللغات الهندية — الأوربية أو الهندية — الألمانية. فأولاً لم يسكن «ويروز»، في حرية أو حتى على مقربة من البحر لأنه ليس له عندهم اسم. ثانياً لمهم قد عاشوا في حوض معتدل حيث عرفوا خشب قرو (oak)، وخشب الزان (beech)، والصفاف (willow)، ونص الأشجار التي بها ثمار محروطة (coniferous). ثالثاً كانوا قوما مقيمين (غير مسافرين)، حيث زرعوا الحب رعاية الشهور، وربوا الحيوانات مثل الثور والبقرة، والغنم والفرس، والكلب والخنزير، ما عدا الحمار، أو الحمل، أو الفيل. ويشير الفرس والقر سوبتهما حالة متضادة. فالفرس يسكن في أراضى ممتدة مكشوفة وقلوها يتبع أمه في تجولاتها. وأما البقرة فهي تبقى قريبة من مجلها في رعيها. فلي هذا، لا بد للموطن الآري أن يكون مزيجاً لمقامات زراعية ومكثنة — أراضى ممتدة لتربية الحيل،

ومنحدرة لرعى العم.

إن هذه المقدمات عن الساعات والحيوانات، طفا لما قاله الدكتور كائليس في تاريخ كيمرح للهند (Dr Gile's Cambridge History of India)، تنفي الأماكن الآتية حتما أن تكون إحداها وطنا مشتركا للآريين كما قد زعم.

١ - الهند،

٢ - حال پامير التي اشتهرت لعدم أهليتها في الاستيطان الانتدائي،

٣ - الأراضي الممهدة الشمالية في أوروبا التي كانت فيها أفعال كثيفة في الأيام العارة،

٤ - الأراضي الممهدة الجنوبية في روسيا،

٥ - مناطق القطب الشمالي

ويرى الدكتور أن المناطق في أوروبا التي تشتمل الآن على البحر، والهند، وبوهيميا، تطابق المقدمات المذكورة

١٠٠ الممرات الآرية

الآريون الذين هاجروا من هذا الوطن الأصلي إلى الشرق (وهم يتعلق تاريخ الهند)، وتفقدوا مزارعات جديدة ومكلاآت نكرة، لا بد أن تعوا السيل السهل على طول نهر دنيوب (Danube) الموصل إلى والاكيا (Wallachia)، وفي أقصى الجنوب إلى باسפורس (Bosphorus) والدرديبل (Dardanel). وبعد عبور هذه المناطق ومسطحات آسيا الصغرى لا بد أن وصلوا إلى المياه العالية من جبال يوفرت (Euphrates) وتيغرى (Tigris) - متحين الحصارا المفتدرة التي ترعرعت في ما بين سلسلة الحلين - إلى أن رلوا فارس بالطريق التي تقع بين تبريز وطران، أو تقدموا أهد منها إلى مشهد، وهرات، وبكتيريا.

١٠١ المشاة بين «رگويدا» و«أوستا»

إن الآريين الذين كانوا أجدادا للهنديين والايانيين قد استوطنوا هذه

المنطقة. وعليه فكتابتاهما المقدسان، رگويدا وأوستا، يديان تطابقاً في اللغة والفكر أكثر مما هو في اليونانية أو اللاتينية أو في مؤلفات أخرى هندية-ألمانية. ويمكن كتابة ألفاظ وحمل وحتى أشعار من حروف لغة الهند إلى حروف لغة إيران بدون أى تعبير في الكلمات والتركيب، (يقوله الدكتور كاثيرل). ويمكن تشريحه بالأمثلة الآتية.

١ - الشعر

أوستانه (إيرانية)	معاليها في الوبدية
تات توا پرسا ایرس	تات توا پریچا ریحو
موتى ووچا	ما واج
أهورا	أسورا
تاجیت	تاجیت
مردا	مریستا
وسمى	وشمى
أياچا	أياچا
ويدى	ويدى

٢ - الآلهة

اندرا	اندرا
وايو	وايو
مترا	مترا
موانیتا	ناساتيا
ويرى تراگما	ورى تراگما

فيظهر من هذا أن أجداد الهندوس والفرس قد عاشوا معاً لمدة أطول بالنسبة

إلى أقاربهم الآريين الذين كانوا قد هاجروا إلى العرب . فكأنهم في الجيل الأخير الذي غادر الوطن الآري، ويدل على ذلك لغتهم التي حملت قسمة كبرى من التراث الأصلي الآري المشترك، من السحر، والألفاظ، والأساطير، والقصص .

عهد رگويدا: الدلائل الأحيية والهدية

فالآن السؤال هو، ما هو تحمين العهد الذي وقعت فيه هذه المحررات الهامة؟ يبعث من مسح أحى صوء صدفة على هذا الموضوع . قد أسفر العطاء عن بعض التسجيلات المؤرخة حوالي ١٤٠٠ ق. م. التي عثر عليها في «بوغاز-كوئي» (Boghaz-Koi) في الشرق الأدنى، وهي تسجل بعض القبالات التي أبحرت بين ملك الحثيين وملك ميتاني، وتذكر فيها بعض الآلهة كالوكلاء والشهداء على تلك الاتفاقيات وقد وردت أسمائهم كما يلي .

إيلاني مي-ايت-را-أس-سي-ايل (إيلاني)

«أو-رو-و-با-أس-سي-ايل (ايلو) إن-در (إيلاني) ما-سا-ا (تا-تي-إيا-

ا) ن-با .

تعتبر هذه الأسماء أنها تطابق أسماء الآلهة الرگويديين «متر»، و«ورونا»، و«إندرا»، والقسمين من «مستيا». وبما على أن هؤلاء الآلهة معروفون لدى أوستا أيضاً، طى بعض العلماء أنهم كانوا الآلهة المشتركة للقوم الآري الموحد قبل تقسيمه في الهنديين والاييرايين . ولكن هجاء الأسماء في الكتابة التي تتعلق ببلاد ما وراء الهريين يشير بالوضوح استمائه إلى الأصل الرگويدى . فان كان كذلك فلا بد لنا أن نفترض أن رگويدا وثقافته قد شيدا نفسيهما في الهند قبل ١٤٠٠ ق. م. بكثير حتى قدرا على أن يطلقا أثرهما على ثقافة الشرق الأدنى في ذلك العهد .

إن الكتابات الشهيرة من تل الهارة (Tel el-Amarna) تنمى إلى نفس العهد

الذى يحدد فيه بعض كتابات موعار-كوئي. وقد ذكر فيها بعض ملوك ميتاني بأسماء سنسكريتية في التلغظ، أمثال: آرتانااما، وتسرتا، وستاربا. ويحمل أيضاً أسماء ملوك كاسي (Kassites) الذين حكموا بابل ما بين ١٧٤٦ و ١١٨٠ ق م، أسماء سنسكريتية مثل «شورياس»، (سوريا)، و «ماريتاس»، (ماروتاس الويدي)، وغيرهما. وتوجد في مكتبة أسورباني پال في حوالي ٧٠٠ ق. م. قائمة للآلهة الذين عبدوا في أستوريا، وفيها إسم اسارا-ماراس مساو للاله الأوستائي الكبير: أهورا-مردا، ولو أن تلغظ «أسارا» أقرب إلى كلمة «أسورا» السنسكريتية من كلمة «أهورا» الأوستائية.

وتشير شهادة الأدب الهندي إلى نفس قدم العهد للبحرات الآرية ولوجود رگويدا. وإذا ترعرعت البودية في الهند في القرن السادس ق. م. فلا بد للثقافة البراهمية وأدها أن تكون أقدم منها لأن البوذنة تعترف بها. ولما أن سمح ربما كاف لعمو الأدب البراهمي بأقسامه المتشعبة سوترا، وآرياكا، وأوپانيشاد، وبرهما، وسميتا الويدي الأربعة التي سبقتها المواد الأصلية التي رتبت في ما بعد في سميتا الرگويدا. فعلى أقل التحمين، يصل إلى ٢٥٠٠ ق م في تعيين عهد رگويدا.

يكشف رگويدا العطاء عن حضارة متقدمة

لا توجد في رگويدا نصه ولا إشارة إلى هذه البحرات، بل هو يشير إلى شعب قد سكنوا اللاد، وإلى معاشرة منظمة، وإلى حضارة قد بلغت رشدتها. وموجب النظرية الهدوسية السائدة، لا يظهر من رگويدا أشعة ثقافة الهند الابتدائية أو فجرها، بل يظهر أوحها في الثقافة. فكان إلهة الحكمة، والحرب، والفنون والعلوم والشعر كانت قد ولدت بعدها الكاملة. إن رگويدا هو الجزر لشجرة الفكر الهندوسي بتفرعها في عدة فرق، ومعتقدات فلسفية، وطرق في العبادة. فهو

لا يزال الأصل الوحيد المسلم به في العبادة . فيوجد فيه «غيانترى مترم» الذي يفوه به إلى يومنا هذا ملايين من الهندوس كلمة كلمة معتقدين في العود السرى في كل حركات ألعاطه وسكاتها، ويهون عن تبديلها في عارة بشرية أخرى .

❦ الهد الرگويدية . أهارها، وماطرها، وشعوبها ❦

إسا رى في رگويدا أن الآريين قد ملكوا إقليما واسع المساحة واشتغلوا فيه بحطهم وثقافتهم . وبعض التفاصيل الجغرافية التي نحتها في رگويدا تشير إلى الحدود الهدية الرگويدية . فقد ذكر في العرب أهاركوها (أى كابل)، وكرومو، وگوماني، وسواستو (أى سوات)، إشارة على سيطرة الهد على أفغانستان في تلك الأيام وذكر بعد ذلك الأهار الحمة في پنجاب سدهو (إندس)، وتاسا (حلم)، وأسيكى (چاب)، وپروشى (إيراوتى أو راوى)، ووياس (بياس)، وكذلك سوتودرى (ستلج) وسرسوتى . وذكر حما وگدگا أيضاً . وقسم أناشيد الصبح من رگويدا يستدعى إلى الأدهان هاءات الصبح في پنجاب، ولكن قسما أكبر منه يتخصص سراع الطقوس، وبالرعد والبرق، وباشفاق الأمطار من العيوم، وبالجمال التي لا ترى في پنجاب بل في المنطقة تسمى راهماورتا التي تسيل إليها مياه أهار سرسوتى، ودریشادوتى، وأپايا، ولا بد أن معظم رگويدا قد رتب فيها .

وقد ورع كل هذا الاقليم على عدة شعوب ويديّة . وقد ذكر البعض الأهم منها وسمى قوم گندهارى (المشهورين لصاعات صوفهم)، وقوم مجاوت (على الشاطئ الجنوى لهر كوها)، وأقوام أبو، ودرويو وتورواسا (على خطه هر پروشى)، وقوم پورو وشعب وسط اللاد .

❦ تطوره السياسى : حرب الملوك العشرة ❦

كان تدرج الوحدة السياسية في الهند الرگويدية في معلمان الحركة . يقول

رغويدا عن حرب الملوك العشرة خلاف سوداس، ملك شعب بهارتا. وكانت الحرب بسبب المنافسة في السيادة في ما بين الشعوب من الاستعمارات القديمة في شمال العرب والمتأخرة منها في راهماورتا. ويظهر أن هذه الحرب الويدية العظمى قد استعرت جميع الهند الرغويدية مع من كان من الشعوب غير الآرية. فكان هاك حمة أقوام في غرب إندس. قوم أليا (من كافرستان الحالي)، وقوم پختا (التي تذكر پحتون الأفغانية)، وقوم بهلاناس (ولعلمهم من عمر بولان)، وقوم سيوا (من وادي إندس)، وقوم وشاين. وكان أيضاً حمة أقوام من داخل الهند، وهم أبو، ودورويو، وتروسا، ويادو، وپورو. وقد شمل الامتراح أيضاً على ثلاث أقوام شرقية من ممر حنا الدين قد اعتقد أنهم كانوا غير الآريين، وهم أجا، وسيكرو، وياكشو، وقادهم رئيسهم يدا. وكان في العصبة سيمبو ملك غير آري آخر والملوك الآريون الآخرون الدين ذكروا، هم كواشا، وسميرا، وويكاربا الاثنان اللذان أضافا إلى العصبة من قتلها واحدا وعشرين قوما من أتناعها. وظهر فرقة ريشي كالمدرين للملوك، والقائدين في حرمهم وكان ويسوامترا يقود العصبة ضد سوداس الذي كان يتبع أوامر واستا وقاد ريگو قوم أبو. وغلب سوداس وأقام سيطرته على جميع الهند الرغويدية.

ويمكن أن يذكر من الأقوام الرغويدية المهمة، علاوة عن قوم بهارتا، قوم پورو، الدين انضموا بعد ذلك بمعية قوم بهارتا في قوم كورو، وحلفاءهم كريبو، وقوم سربهايا.

وكان تنافس السيادة في ما بين الأقوام الآرية المختلفة حراً من التطور التدريجي الذي كان يتجه إلى تكوين مجموعة سياسية كبيرة، وتوحيد الهند الرغويدية تحت سلطان أو حاكم رئيسي. وحصول السلطة الآرية على السكان الأصليين غير الآريين لم يكن جزءاً ضئيلاً في ذلك التطور.

ويتوفر في رگويدا لمحات هذه المناقشة البدئية بين الآريين وبين غيرهم وكانت لهذه المناقشة أساب ثقافية وسياسية.

الغیر الآری فی رگويدا

يطلق رگويدا على العير الآرى اسم داسا، أو داسيو، أو أسورا. وقد ذكر أسماء أفراد من القائدين غير الآريين أمثال ايليسيا، ودوني، وجومورى، وبيرو، وورجيين، وسمرا، وأسماء أخرى لأقوام غير آريين أمثال سيميو، وكيكانا، وأحا، وياكشو، وسگرو الدين قد أشير إليهم. وفي رگويدا إشارة إلى قومين مرذولين يساچا وراكشاسا اللذين صرحا صرخات مجعة في الحرب.

ولقد حدد التمييز بين الآرى وبين غير الآرى طبيعيا وثقافيا. فالعير الآرى هو أدكى الخلد وبدون أهب أو أزلف الألف (مثل الدراويدى): (١) كلامه محالف، أى يتكلم ملعة تختلف كليا من السسكريتية الويدية، (٢) محروم من الطقوس الويدية، (٣) لا يعدد الآلهة الويدية؛ (٤) محروم من الورع؛ (٥) لا يصحى، (٦) عاص، (٧) يتنع شريعة عجيبة، (٨) يسب الآلهة الويدية، (٩) يعدد الذكر.

وساق الآريون غير الآريين إلى العابات والحال، أو أحدوم أسارى. فيشير الأدب الوبدى بكثرة إلى داسى، أى الأمة (الخارية). وفي رگويدا، فى قسمه بوروشاسوكتا، يذكر تخليق الفرق الأربعة من الجسم العمومى من الرب. والفرقة الرابعة منها قد تشكل من سودرا الذى يتضمن العبيد. وكان هناك عاملا لا ماص مه وهو المرح بالتدرج ما بين الآرى وغير الآرى بسبب التزاوج أو التحالف. وقد ظهرت أمثال هذا التحالف فى حرب الملوك العشرة كما قد ذكر. فكان للآرى أن يواجهه فى الهند مأمورية ذات ثلاث طبقات: أن يظفر، ويستمر، ويهذب. فكان عليه أن يتغلب على العنصر الأسلى ويهذب.

ولكن لم يكن من السهل السيط للآرى أن يعطل الحلد الأسود. كان غير الآرى في عهد رگويدا محصا تماماً في حصون حضارته التي كانت من حبة المادة متقدمة. يذكر رگويدا عن مدنه وقلاع المصنوعة من الحديد أو الحجر، وعن قلاع واسعة ومسيجة مملوثة بالبقرات، وقلاع ذات مائة عمود، وقلاع حربية للملاجئ ضد العيصانات.

وتوجد مخلفات هذه الحضارة في خرائب المدن التي اكتشفت في هارابا وموهنجودارو كما قد ذكر. والمخالفون الرئيسيون من غير الآريين في رگويدا، هم قوم پاني، قوم تحار على ما يرعهم ياسكا — ولعلمهم هم الساة لهذه الحضارة التجارية في وادي إندس (السد). والآثار التي عثر عليها تحتوي على النقود وأشياء مصنوعة من الصدف التي قد استنتجت من تجارة بحرية. فعلى هذا، كان للآريين أن يهاجموا صد حصاراً متقدمة في وادي إندس التي كانت بها مدن كثيرة والتي كان لهم أن يخضعوها. فموجه قد سمي إلههم إندرا، «ناهت المدن».

وتلقى عدة عبارات متحة من رگويدا صوفاً على الاصطدامات بين الآرى وبين غير الآرى. فتوصف الأرض في محل بأنها قبر للعبيد؛ وتوصف الآلهة إندرا بأنه يهب مدن العبيد السود، ويفي حيوشهم، وتشير إلى دبح ٥٠,٠٠٠ عدو ذي بشرة سوداء في ميدان الحرب؛ وقتل ٣٠,٠٠٠ عدد من العبيد؛ وتشير إلى حصار ١٠٠ مدينة لـ «وانكريدا، غير الآرى على يد «ريجيسوان، وحرره ضد «نسل أسود». وتشير عبارات كثيرة إلى هب قلاع العد الجلي وسمرها وذكر عددها ٩٠ في محل، و ٩٩ في محل آخر، و ١٠٠ في محل. والدعاء الآرى لدى الآلهة إندرا يلخص الحال هكذا:

«إنا قد أحاط بنا قبائل داسيو من جميع الجهات فهم لا يقربون التضحية؛ ولا يمتسبون في أي نحو؛ وطقوسهم مختلفة؛ وهم ليسوا بآدميين؛ يا مهلك

الاعداء! اهلكم . وأهلك نسل داسا (العد) .»

✽ المجتمع: الرواج والعائلة ✽

كان المجتمع الرگويدى على نظام متقر . وكانت وحدته العائلة التى كان كبيرها رباً لها . وكان الرجل يعتقد أساسيا وحدة الزواج . ولم يعرف زواج إمراة مأكثر من رجل واحد . وكان الزوج رب البيت وكانت روحته ربه البيت . وكانت الأخلاق الحسية عالية . ولم يبع مصاحبة المحارم أى رواج الأب بالبت أو رواج الأخ بالاحت . ولم يعرف أيضا الزواج الطغلى ولو أنه شاع فى ما بعد . وكانت هناك حرية الانتخاب فى الرواج . وعاشت الست تحت حماية أبوين وبعد وفاتهما فحت وقاية إحواس .

وكانت عادة الموهات فى الرواج مألوفة . ويظهر من الأناشيد الرگويدية عن الرواج أن العروس كانت بعد رواحها تنقل من بيت أبيها إلى بيت روحها ، وأنه كان لها فى بيتها الحديد مقاما ساميا كربة البيت ، تحكم فيه على أنى الرواج وأمه المتقدمين فى السن ، وعلى إحوة الروح وأحواته . ويظهر أيضا أنه لم يكن فى مستطاع الشر أن يحلل الرواج الويدى ، ولم يفكروا فى عقد ثان للارملة ولو أن هناك إشارة إلى الارملة التى تروحت مأحى زوجها الذى كان قد مات بدون أولاد . وكانت الروحة رفيقة الروح فى الحفلات الديمة .

✽ الميراث ✽

كان الولد يرث أمه ولا ترثه منه إلا إذا كانت وحيدة فى نسله . وقد اعترف بحق الرجل أن يتبنى ابنا له .

✽ الملكية ✽

واعترف بالحق فى الملكية . وأبىح ذلك فى الأمتة الشخصية المنقلة كاللواشى ،

والخيل، والذهب، والحلي، والعيد. وأيضاً في الأرض التي وزعت في حقول، وقيست الحقول بالعناية التامة، وتركت بينها شقات مصفوفة مشتركة.

الحياة الاقتصادية. المرعى والعلاحة

دارت الحياة الاقتصادية حول المواشي. واستخدم الثور والبقر في الحرث وجر العربات. واستخدمت الخيل في حر العجلات وفي المسابقات. والحيوانات الأخرى التي ربوها، هي الصان، والماعز، والحير، والكلاب التي استخدمت في الصيد، ولحرس المواشي وتتبعها، وللحراسة ليلاً.

ورعت المواشي على المكلاآت تحت مراقبة الراعي وكان مسلحاً بالمحاس، وكان عليه أن يصوبها من أن تقع في الثغرات أو تقطع أعصابها، أو تضيق أو تسرق. وكانت هناك غروات لهما. وصنعوا آذان المواشي علامة للملكية

وعلق رگويدا أهمية عظيمة على العلاحة وميرها بين الآري وبين الهندوسى الذى هو خارج من صفة الدرمهامة

وسميت أرض الحرث اوروارا أو كشتيرا. وشدت الثيران إلى المحراث في سرب، عددها ستة وثمانية وحتى اثنا عشر وقطعت سبلات الحبوب الناصحة بالمحصد، وجمعت في حرمت، وضربت على أرض محرن العلة. ثم نطفت الحبوب من العصافة بالعربال أو بمروحة التذرية وسمى العامل عليها «دهايا كرت»، وكيلت الحبوب بالمكيال.

واستعمل السهاد أيضاً. وذكر عمل العلاحة في ملخص في «ستاپاتا براهما»: «الحرث، والزرع، والمحصد، والدوس».

الارواء

يوجد ذكر آبار للانسان وآبار للمواشي. واستجلب الماء من الآبار بالدلاء.

المشددة بالحبال الخلدية وحررت على جراحة حجرية . فإلما الذى دلى هذه الطريقة سيق فى محار واسعة للتروية . وحصلوا على الماء للارواء من ركبات وقوات كذلك .

حشرات الأرض

وبوحد ذكر حشرات الأرض الزراعية كالدوببات، والطيور، والحراد و ذكر أن كثرة الأمطار أو امتناعها مضرّة للغة .

الحبوب

يسمى الحب الذى يررع « ياوا » و « دهايا » . ويذكر كتاب ويدي متأخر عشرة أقسام من الحبوب المروعة: الرر، والشعير، والسسم، وأقسام الفول، والدرّة، والعدس، وأمثالها .

الثروة

كانت تعد الثروة بالمواشى، والخيّل، وبالأبطال أو الأبناء الجباء .

الصيد

بالإضافة إلى مهة رعى المواشى والعلاحة، أخذ الهندوسى الرگويدى بالصيد للقتل، واللهو، ولوقاية المواشى من الحيوانات المفترسة . واستعمل للصيد السهم، والشبكة التى استعملها صياد الطيور . ومسكت العرلان فى الحفر . وصيدت الخنازير بتعاقب الكلاب، وربقت الحواميس بالرق . وأسر الأسد فى حفرة الصيد، أو قوض عليه بالمرصاد بعد أن سيق إلى حفرة مستورة، أو أحيط به وقتل على يد الصيادين . وأسرت الفيلة الوحشية بالهيلة المألوفة .

الحرف اليدوية

كان النجار هو الأول . يصنع البرية للحرب أو الصيد أو لخلل الجنائز .

وكان لبعض العربات غطاء . واستعمل الفأس كأداته ، وكذلك أنتج أشياء مقوشة لطيفة . وجاء بعده العامل في المعدن الذي ادا ب المعدن على النار واستعمل المنقاح المصنوع من ريشات الطيور . وصنع الألوان من المعدن المذاب أو من المعدن المدقوق . وصنع الصانع حلا من الذهب . واستنح الذهب من قاع الهر كهر إندس التي سميت « السيل الذهبي » ، وكذلك من الأرض . وصنع العامل في الجلد أشياء حلدية كوتر القوس ، والمقلع ، والاسار لربط حرم من العربية ، والعمان ، ومجلة السوط والكيس . وكذلك كانت دباغة الجلد معروفة . وكان أيضا هناك الحائك الذي اشتغل بمسحه . وسمى الوشيعة التي استعملت للسح « تسارا » وسمى السداة « أوتو » ، واللحمة « تنو » . وترك الحياكة عموما للنساء . ويمكننا أن نرى عادة لطيفة تشير إلى والد رحل بأنه كان طيبا وإلى أمه بأنها كانت طالحة الحوب .

التجارة والقود

كان التاجر معروفا لدى رگويدا . وكان التبادل شائعا . فعرض تمثال إندرا بقيمة عشر نقرات . وقد عرف التماحك في البيع والشراء ، وكذلك الالتزام بالاتفاقة : « يبيع الفرد كمية كبيرة شمن زهيد ثم يذهب إلى المشتري ويكر البيع ويطلب ثما أزيد . ولكن لا يمكنه أن يريد على الثمن الذي عين مرة أو يعتدر بأنه أعطى كمية كبيرة . إذا ناسب الثمن أو لم يناسب فالثمن الذي عين في وقت البيع يبقى على حاله » . إن تصور القود يوحد في ذكر هدية ١٠٠ « يشكا ، و ١٠٠ حصان . وعرف القرض كذلك وكل ذلك خصوصا بسب ألعاب الرد . وهناك ذكر دفع الثمن أو الثمين إما كالربى أو كحرم الرأسمال .

وعرفت التجارة البحرية . فلا ريب أن رگويدا ذكر « سمدر » بمعنى الأوقيانوس . وهناك إشارة إلى الخزائن في الأوقيانوس ، ولعلها اللؤلؤ أو مصالح التجارة . وحكاية

البحر الذي غرق سفينته في البحر « حيث لم تكن هناك معوة ، ولا راحة

للرجل أو اليد، وتخلطه بها سبعة ذات مائة مجذاف، تشير إلى الملاحه في الحر.

❦ اللباس ❦

شمل لباس الناس على الملابس التحتية، والكساء والملابس العرفية. وكان يسج على العموم بصوف العم. وكانت بلاد پاروشى شهيرة بصوفها، كما كانت كدهارا لعمها. وهناك إشارات إلى الملابس المطررة صنعتها السوة. وتوحد إشارات إلى الأححة المربة بالذهب. ولس الساك ملابس الخلود.

❦ الحلى ❦

استعمل الحسن حليا من الذهب أمثال القروط والقلائد، والأساور، والحلاجل، والآكاليل، وتربوا بالأحجار الكريمة أيضاً.

ومشط الشعر ودهن. والنساء صفره. والرجال بعض الأحيان رتوه في اللفات وقوم واستا لهوه على الحلب الآمين. وذكر أن فتاة رنت شعرها في أربع أصافر. وأطلقت اللحي ولكن كذلك حلفت. وقد ورد ذكر المواسى التي حددت على الحجر. وسى الحلاق «ويتا».

❦ الطعام والشرب ❦

كان اللبن من أم الأطعمة وكذلك متوحاته، الزبدة واللبن الحامض. وورد أيضاً ذكر وحة الحب المطبوخ بالحليب وقسم من الحن، وأكل الكدك المصنوع من الرز والشعير بمروحا بالسمن. وصنع الثريد أيضاً من الحب الذى قشر، وحفف، ثم عجم. أما اللحم فكان يؤخذ من الحيوانات التي أضحي، أى الغنم والماعز. وقد اعتبرت البقرة «أكيا، أى لا تذبح. وحرم المشروبات المسكرة، لأنها أنشأت خصومات في الاجتماع. وكان هناك مشروب نبات

«سوما» كتقدمة دينية، حث عليها الفصل التاسع من رگويدا وستة أناشيد أخرى. ويوجد السات على الجبال أمثال حال موجاوت، أو في بلاد قوم كيكاتا. ولصناعة المشروب عرض النبات للعملية التي يصعب فهم تفاصيلها. فيوضع على حلد، وعلى رصيف، ويضغط عليه بالحجر أو بالمدقة في الهاون ليخرج عصيره، وجمع العصير في إناء جمو، ولقب: كوب الآلهة، أو في إناء «كلاس» و«جاسا» كوني الرهان. وتارة غطس في الماء حتى يعصر منه كمية رائدة من العصير. وينسب السات إلى الكرم الأفغان، أو إلى قصب السكر، أو حشيشة الديبار ولكنه لم ينسب إليها على علم. وقد بوه آثاره التي كانت ذات سرور وهيجان.

❦ التسلّيات ❦

شملت التسلّيات على مسابقة العربات، ومسابقة الحيل، ولعب الرد، والرقص، والموسيقى. وسمى الساق «أحي»، وسمى حلقة الساق «كاشنا» أو «سپتيا». وكانت واسعة ومحددة المقياس. وكان يطلق اسم وسپلا على الحصان الششاش أو حصان الساق. ولعبوا الرد بالقلم الذي قادم إلى الفقر والاستعداد لأن الديون تراكت ووجب عليهم دفعها. وعاقب الوالد ولده المقامر وسمح الرقص لكلا الحسنيين مرافقا بالصوح. وكانوا على علم بالأنواع الثلاثة من الوسائل الموسيقية: القرع، والوتر، والفنج، أي الطلة، والعود، والقيثار (بأصواتها السعة المعروفة والمميرة لديهم)، والمزمار (من القصب).

❦ نظام الحكومة ❦

يمكن أن نجد تطور الهد الرگويدية سياسيا في سلسلة التشكيلات أو الرهطات الآتية التي تكونت تدريجيا:

١ - الأسرة (گريها)

٢ - القرية (گراما)

٣ - المقاطعة (ويس)

٤ - الشعب (حنا)

٥ - اللاد (راشتر)

الأسرة

كانت الأسرة وحدة تشكلها المجتمع وشملت على بضعة مهر عائشين تحت رئيس مشترك، وهو الوالد أو الأخ الأكبر. وسكنت الأسرة بيتاً فضيحاً يسع فيها جميع أفراد العائلة الغير المقسمة بأسرها، وكذلك سكنته مواشيهم لما رحعت من المرعى في الليل وأمكن إعلاق البيت بحجرها العديدة.

القرية

وتألفت القرية (دگرام) بضعة عائلات وأطهر عكسها مالوغل مع ما فيها من الحيوانات والسانات الوحشية وتارة أطلق كلمة دگرام، على أهلها وكان في كل قرية كبيراً لهم.

المقاطعة

كان التشكيل التالي أكبر من السابق وسمى دويس، ودل على دمقر، لأن معنى دويس، في الأصل، دحل أو استقر، وسمى رئيسها دويسالي. ويصعب القول عما هل كان دويس، المذكور في رگویدا عبارة عن تحرئة محلية للحر، أو عن مقاطعة، أو عن جماعة الأقرباء كالعشيرة، ولم يعرف ما كانت علاقته الصحيحة بالقرية أو بالأسرة.

الشعب

إن الشعب أكبر من ويس. ونجد في رگویدا سلسلة الأسرة، والمقاطعة،

والعشيرة، والشعب. ويوجد مقارنة الأسرة بالمقاطعة والشعب. ونجد في ذكر الشعب

يلان خمسة أقوام معروفة، ويان قومي يادو وبهاراتا. وسمى الملك محاط الشعب.

❦ اللاد ❦

كان الاصطلاح للاد أو للحكومة: راشترا.

❦ الملك ❦

كانت الملوكة الودية نتيجة طبيعية للطروف التي أحاطت الآريين، هم كانوا الفاتحين في بلاد عدائية. أنتجت الحرب ملكا، في التاريخ الودي على العموم كما كان الحال في الدول التوتوية. ويشير رگويدا إلى الورطة المؤلة التي يجحد الشعب نفسه فيها إن لم ينتحوا أحداً ملكا عليهم يقودهم في مقاومة الأعداء. فعلى هذا كان الملك قائداً نفسه في حرب الاعتداء وأيضاً في حرب الدفاع. وكان يدعى «محاط الملة، كما قد رأينا، وكذلك «ناهى المدن».

ومكافاة لهذه الخدمات، حصل الملك على الاقياد من رعيته طوعاً كان أو كرها. وحصل أيضاً على الحراج الذى أعطوه لتعصيد منصبه السامى. وحصل أيضاً على الهدايا مهم ومن القاتل العدائية كذلك.

وأدى الملك بدوره، فرائض القاصى ولعله كان الملأ الأخير في الاستغاثة في الانصاف الحقوقى. وكان لديه للعقوبة على الحيات سلطة قضائية. وكان هو نفسه مصوباً من العقاب، وحمل سلطة العقاب تكونه المسند الرئيسى في الشعب، واستعمل الجواسيس لعمله.

وكان لفخفة لباسه علامة منصبه الملكى، وبمناسبة مقامه كان له قصر وحشم وخدم. وورد ذكر قصر ذى ألف عمود وألف باب.

❦ وزرائه ❦

كان في مقدمهم «بروهيت» ومعناه «مقرر في المقدم»، وسميت إدارته

« بروهتي » و « پروها ». وكان هو المصاحب الوحيد للملك كندر له أو كرشد وفيلسوف وصديق. ومن أمثالهم في رگویدا: ويشوامترا أو واشستا في خدمة « سوداس »، ملك بهارتا، من أسرة تريقتسو. ومن أمثالهم المصاحب للملك كروسراوا، وديواني المدر للملك ستناو.

وكانت وظيفته الرئيسية أن يكون كاهنًا عائليًا للملك. فكان بمثابة نفس ثانية للملك في جميع أموره الدينية. ولكنه أخذ على نفسه القيادة في أمور سياسية أيضًا وصاحب الملك في الحرب وشدد إرره بالأدعية لحفظه وطهره. وإن فرقة رهمن هي التي كانت قد استولت على السياسة التي لها أهميتها في جميع أدوار التاريخ الهندي

شملت حلقة الملك أيضًا على « سياني »، أي قائد الجيش، وعلى « گراماني »، أي قائد القرية الأعراض المدنية والعسكرية ولا بد أن يكون عددا كبيرا من گراماني في المملكة ولكن يطهر من الكتب أنها تتكلم عن واحد فقط في حلقة الملك، فكأنه كان نائبا يراعى مصالح القرية وأهاليها. وأطلق كلتي أياستي وإيايا على رفيق الملك المقرب

الجمعات

ولقي حكم الملك المطلق شيئا من العمان بوحود هيئات شعبية سميت « سها » و « سمي »، وظهر خلالها رأي الملة في الأمور المهمة المتعلقة بمصالحهم التي اشتملت أيضا على انتخاب الملك نفسه. وورد ذكر « سها » في مواضع مختلفة في رگویدا ولكنه لا يحدد سمجته ووظيفته بالضبط. واستعمل اللفظ بمعنى جمعية وكذلك قاعة للاجتماعات العمومية لأجل المحالطة الاجتماعية ومباحثة الأمور الشعبية كالقرات، وكذلك استعملت للعب الرد.

وسمى المر الذي كان سامياً في الجمعية : «سها ساهاء»، ونهرا أهلا للجمعية : «سهيها»، وكذلك ورد أن الجمعية لزها النلاء، واستحقها الأغنياء. ولعل هذه الألفاظ ترمز إلى الحقيقة أن الجمعية الرگويدية كانت المجلس الشورى للشيوخ والسلااء. وورد أيضاً كلمة «سميتي» في مقامات عديدة في رگويدا ولكن لا يظهر منها سميتها الصحيحة. فهناك إشارة إلى الملك بأن شخصيته كانت مألوفة في «سميتي»، وكان وظيفته أن يلزمه. وجاء في عبارة أن الملك لقي أصحاب سميتي وأدى عليهم قوته المنية، وحذب إلى نفسه أدهاهم وعراهمهم. وعبارة أخرى تؤكد الحقيقة بأن الاتفاق يلزم بين الملك وبين سميتي لأجل ملاح المملكة.

العدل

نقل الشهادات في هذا الموضوع. وقد شاع قانون المكافاة (وكانت المكافاة بالقود التي دفعت إلى أقرباء الرجل المقتول) وسمى الرجل «ستاديا»، لأن ثمن دمه كان مائة بقرة. ولكن الحيل غير المقبول «پاني»، سمي «وبراديا»، أي الذي استحق العدا لمكافاته.

وتحدد هذه المكافآت يدل على إصلاح في الطريقة الانتدائية التي أحدثت «العين بالعين، والسن بالسن»، وكذلك يدل على المانع في أحد الثأر انفراديا. والاصطلاحات كـ «أوگرا»، أو «حيوا-گريب»، أي «القض حياً»، تدل على وجود حكام الشرطة. وسمى الرجل الذي أقيم للتحكيم «مدياما-سي»، أي الذي وقع في الوسط. وسمى القاضي للقرية «گراميا-وادير».

الحرب

كانت الحروب الرگويدية للدفاع، وللفتوحات، وللغزوات على اللاد المتجاورة لجلب الغنائم. وسميت الحرب «يودها»، أو «ربا». وأطلق اسم «پريت»،

أو «بريثانا» على الجيش . وشمل الجيش على المشاة، وعلى ركان الصلابة الذين خرجوا إلى الحرب في جماعات . ونثر على ذكر عجالات تحارب جيوش المشاة، أو على معركة المشاة الذين حاربوا وحما لوحه صد ركان الصلابة .
ووصفت أسلحة المحارب في أحوال داسا- راجا بأنه كان مسلحاً بالأسلحة الآتية :

١ - القوس والسهم . وصنع القوس من قضيب قوى أتوى في شكل القوس وشدد طرفاه بحبل من حلد القرة . وأطلق السهم من وسط الحبل وسمى ذلك المحل كرايوى، أى المحل الذى حرج منه السهم وسميت الكسابة :
بيشانكين

٢ - سترة من الررد سميت «ورما» المكونة بقطعات من صفايح معدنية نسحت بعضها في بعض، وكذلك سميت «أتكا» ووصفت بأنها كانت من نسيج صفيق .
٣ - محافظ اليد للوقاية من الدلك بحبل القوس .

٤ - المغفر من الحديد أو من الذهب . وسمى المحارب الذى يلبس المغفر «سيپرين» .
والأسلحة الأخرى التى أشير إليها هى السيف وعمده وحزاهه؛ والرمح، والمزراق؛ والقديصة . وأحجار المقلع . واستعملت الأسلحة بالمهارة . وشدت الحيل إلى العجلة مثنى وثلاث ورباع، وقادها السائق بالمان والسوط . وحلس صاحبه المحارب على جانب الأيسر .

ومن المصحوبات الأخرى للحرب كانت الأعلام، والطبول، والمؤذنين عن الحرب .

ومن طرق الحرب كان الهجوم على الحصون المصنوعة من التراب أو الخنادق لمقاومة المهاجمة، أو أحيطت القلاع بالنار .

❦ العلم ❦

إن الحضارة الرگويدية قد أسست على حياة سادجة وفكر عال . فلا توجد لها بناءات فاخرة تذكارية، تظهر تقدما ماديا، كما كانت حضارة المصريين أو الآشوريين، ولكن لا تقل لديها براهين على التقدم الفكري والروحاني . كانت الحياة بسيطة، ولكن كان الفكر عال بالغا أقصى مدارله، سائرا في العالم السرمدى . وبعض أدعية رگويدا، مثل گياترى مَترَم، تصل أقصى نقطة العلم وتهر روح الشر إلى الآن . فلا يسمح هُدوسى مَها كان عصريا بأى تعديل فى حركاتها وسكناتها وألفاظها الأصلية .

إن تاريخ رگويدا هو تاريخ ثقافة عهده ورگويدا فى شكله الموحدة تأليف مجموعة محتوية على عدة حصص، وينتمى إلى أدوار تاريخية مختلفة . فهو لا يشتمل على الأناشيد فى حمد الآلهة، وعلى الأدعية، وعلى ترتيبات التضحية لحشب، بل على قصص شعرية، وكسرات من أشعار ديوية، وأناشيد تعبر تفكرات فلسفية عالية أيضا . ويشير نفس رگويدا إلى أشعار قديمة ومتأخرة، وإلى العلماء الأقدمين والمتأخرين الذين صنفوا أناشيده . وذلك لأن محتوياته ألقت خلال العصور . فكان كل عالم يشد الأناشيد التى أوحيت إليه خلال تأملاته العميقة التى تأسست على ممارسة الامتناع من اللذات . ويورث العالم أناشيده ولده التليد، وأسرته . وهكذا أصبحت عائلات العلماء مدارس ويديّة تحمل مجموعة أناشيدها وتنقلها من الوالد إلى الولد، أو من المرشد إلى التليد . فجمعت كمية كبيرة من تأليف هذه العائلات أو المدارس الويدية . فكانت ذخيرة عمومية من الأناشيد المالية . ولأجل العبادة كانت هناك حاجة إلى منتخبات يسيرة الحصول من تلك المجموعة الضخمة من الأناشيد . هكذا تولدت المنتخبات المسماة بـ « رگويدا مَمتا » . وخرجت منه ثلاث شقات ويديّة أخرى: ساما، وإيجوس، وأثروان . فلدنا

أربعة أدوار لنمو العلم الويدى :

- ١ - الأناشيد الابتدائية
- ٢ - الأناشيد فى مختلف المدارس أو المراكز من أسر العلماء المختلفة
- ٣ - انتخاب الأناشيد فى مجموعة رگويدا سميتا
- ٤ - نمو ثلاث شقات ويدية أخرى من الانتحانات المحفوظة فى رگويدا سميتا

ويظهر من كل هذا الصبح الذى سجل فى رگويدا بأن له تاريخا طويلا . يقول ميكداىل : « ولا بد أن وجود جميع هذه الأناشيد فى رگويدا إحتاج إلى عدة قرون » . ويقول ووترنتر : « ولا بد أن مصت عدة قرون بين الأناشيد الابتدائية وتكميل رگويدا سميتا . وعلى هذا لما برى إلى رگويدا بعد فيه مدى ارتقاء سام فى اللغة والفلسفة . ولا يوجد فى السسكرتية الرگويدية أثر لتقدم اللغة . بل كان قد تم اتقان هيتها الحوية ، وقد عين رمن الفعل وصيغه ، ومفرده وجمعه وشخصه ؛ وقررت جميع قوايين الاحوال (فى الحملة) . وإذا جمعت هذه الميزات فى سيرة حياة لغة ، ظهر أن درحة صرفها متقدمة جداً . وكما يقول بونسين : « وحتى هذه المادح من الشعر الويدى الأقدم تتعلق بالتاريخ العصرى الشرقى » .

وتبدو من القواعد التى استخدمت فى انتخاب الأناشيد وترتيبها فى رگويدا سميتا ، ومن الطرق التى رتت لحفظها ، راعة عليية واحتراع راق فى الحطة . فأولا اتحب ستة من العلماء الرگويدية على أهم كانوا أكثرهم بابة واعتبر مؤلهم حديرا بأن يحفظ . وهم گريتسمادا ، وويسوامترا ، واماديو ، وأترى ، وبهردوجا ، وواسستا . ورتت الأناشيد التى نسبت إليهم فى ستة كتب عائلية ، من « مدل » (أى الفصل) الثانى من رگويدا إلى السابع ، وهذه الفصول هى قلب رگويدا . وأضيفت إليها :

- ١ - مجموعة الأناشيد من العائلات الأخرى ، ويتكون بها النصف الثانى من

• مدل، الأول.

٢- الصف الأول من مدل الأول.

٣- الأناشيد التي تنسب إلى العالم كوا، في مدل الثامن.

٤- أناشيد سوما في محل واحد في مدل التاسع، حتى لا تختلط بالأناشيد التي تكون بها الأحراء الأخرى.

٥- مجموعة الأناشيد الإصافية، وعددها ١٩١، وهو خمس عدد الأناشيد التي في مدل الأول، ويتكون بها مدل العاشر، وتوحد تليجات خصوصية في لغتها وبحر أوراها، ومحتوياتها. وهي مشتملة على الأناشيد الفلسفية، وأخرى على موضوعات شتى كالرواح والدف.

فيشتمل رگويدا سميتا على ٧٠,٠٠٠ بيت، منها ٥,٠٠٠ تكرارات. وذلك لأنه قد وجد في البلاد مجموعة كبيرة من الأناشيد في حالة سيالة، وأشد كل واحد من العلماء ترايحه راجعاً إلى تلك الأناشيد السيالة، كأنها ملك أدنى عمومي، وحدير بأن يلاحظ أن الأناشيد قد احتفظ بها بصحة تامة في الأدهان في الفترة الطويلة بين إنشاء الأناشيد وبين توليد نظام الكتابة على يد علماء السحو الذي نتج به المتن الموحد الآن وسمى بـ «سميتا». فصار هؤلاء العلماء بأمانة في متن سميتا القاطها الأصلية التي استعملها الأسياء القدماء وكذلك حافظوا على أدق الشدودات الطقية واللغوية بدون أى سعى مهم أن يبدلوها إلى الطريقة المعاصرة لهم إلا إذا كان لا بد من تعديلها على قواين الكتابة الرائحة في دور اللغة السسكرتية المتأخر حين صحح المتن المقدس

وعندما كمل الترتيب لمتن سميتا، إتخذت خطوات أخرى لصيائه هو بدوره، حتى يسد باب التبديل والفساد عمور الزمن. ويمكن أن نلاحظ هذه التدابير فلو أنها إتخذت بمسد كثير من الزمن. فأولاً رتب متن جديد لسميتا نفسه

يظهر فيه كل كلمة في شكله المفرد وعلى حالته الأصلية التي كانت قبل قيد الكتابة، وقد فصل المركبات في أحرفها. ويسمى هذا «بدا-باتها» أو «المتن اللفظي» ("word text"). والخطوة الأخرى تسمى «كراما-باتها» أو «المتن السلي» ("step text") وفيه يلفظ كل كلمة المتن اللفظي مرتين في كلا الموضعين، قل كل كلمة وسعدها. فللمثال نأخذ ا ب ح د كأنها تنوب عن أربع كلمات. فكتبت هذه الكلمات هكذا: ا ب ح ج د.

وفصلا عن ذلك أتفق مشروع صيانة النص في المتن المقدس تأليف مراجع خصوصية ككتاب الأمثال الذي يقدم التعديلات الإدغامية، والتي اضطر إليها أوان تبديلها من كلمات سماعية إلى كلمات صوتية في صورة متن سميتا، وكتاب الفهارس الذي يقيد عدد الأناشيد، والآيات، والألفاظ، وحتى المقطعات المحاذية الواردة في المتن المقدس، ليتمكن أن تحفظ مزاجته. ويقول ميكيدال في كتابه «مأصى الهدى»: «هذه التداوير قد صارت أمانة الأحاديث نصفا لم يماثلها غيرها في الأدب القديم».

التعليم

والآن كلمة عن طرق التعلم والتعليم في ذلك العهد. كما قد بين، كان بيت المعلم مدرسة لتلاميذه الذين اشتملوا في الغالب على أبناء أجياله، وعلمهم المعلم فيها المتون المقدسة التي احتضنت به. وحفظ التلاميذ المتون في بداية الأمر بتكرار ألفاظها. إن رغويدا تشير إلى التلاميذ يكررون الألفاظ التي عليها المعلم. وأعطيت أهمية كبيرة للنطق والتلفظ. فورد ذكر سبعة أشكال في النطق وأربع درجات في الخطاب. وكذلك ذكرت براعة العالم وسوامترا في القراءة.

ولكن طريقة التعلم الأساسية كانت الممارسة بأعمال الكفاة والامتناع عن اللذات، وهي المتوال الذي يوصل إلى معرفة النفس، وأدى ذلك إلى معرفة

الشخصية للوحى الالهى أو إلى المعنى الملهم الذى يدرك جميع العلم . ولكن
يحدد جزءاً من العلم طريقة إلى الطلق الشرى . فأوردنا هها مقاما فلسفيا هاما
الذى اتصل به رگويدا ، وهو أن ما طهر فى التخليق ليس إلا كسرة من المضر
أو المطلق . وتشير عبارة هامة أخرى إلى الفكر الباطنى التركيبى الشديد تقنة
الاستتارة حيث يصح بها التليد لثيقا لأن يكون معلما معلما ، ومثاله مثال الضمادع
التي تهض إلى الشاطئ بعد فترة من عمص سبب العيوم .

١- الديانة والفلسفة

إن ساطة الحياة الرگويديه لنى تضاد بدياته المتقنة كما يطهر من المجموعة
الضخمة من آلهة الأمة .

فلديا أولا مجموعة من الآلهة النائين عن الطواهر الطبيعية الأساسية ، وهم

ا - دياؤس (السماء) ،

ب - پريتهوى (الأرض) ؛

ح - وارونا (إله السماء الأصلى) ، وهو الموضوع لأخم أناشيد رگويدا . ويدعى

وارونا لقلب أسورا أيضاً ، وهو يطاق «أهورامزدا» الايرانى . وفى

أناشيد رگويدا الماثلة إلى الفلسفة أكثر من غيرها ، يحل «وارونا» محل

«ريتا» ، ويظهر بها نظاما كويا ويعد ذلك نظاما أخلاقياً ؛

د - إندرا ، اله الرعد الذى يسبب الأمطار . وبالتدرج غلب على «وارونا» ،

فى العبادة الرگويديه . وذلك لما أخذ الآريون يغادرون منطقة پنحاب

اليابسة ويتوجهون شرقاً إلى أرض براهما ورتا المقدسة التى هى ممتازة

بأمطارها وعواصفها .

هـ - الشمس ، وكانت تعبد بخمسة أشكال :

١ - سوريا (الشمس) ،

- ٢ - ساوترى، ممثلة قوة الشمس الانتعاشية،
 ٣ - مترا، الذى اشتهر فى إيران أكثر من شهرته فى الهد، وهو ينسب إلى وارونا،
 ٤ - پوشان، الذى يرمز إلى قوة الشمس لتأثيرها فى نمو الحشيش والسات،
 ٥ - وشو، الذى يوب عن الشمس السائرة المسرعة فى رگويدا، وعد فى
 ما بعد كاله بداته،

- و - رودرا أو إله العواصف والمشر عن شيوا المتأخر،
 ر - أسوين الصبح وأسوين المساء، الممثلين بحمى الصباح والمساء،
 ح - مروت، آلهة العواصف الذين خدموا «رودرا»،

ط - وايو | إله الرياح؛
 ى - وانا |

- يا - پارحايا، إله المطر، والمياه، والأهر،
 ىب - أوشا، إله الصبح الذى ألهم بعض أشعار بدیعة فى رگويدا.
 ولدینا بعد هذا مجموعة من آلهة للعائلة

- ا - أگى، إله النار فى ثلاثة أشكاله - الشمس فى السماء، والرعد، والنار الدنيوية،
 ب - سومما (ماء الحياة)، الذى ألهم أناشيداً رمزية فى العاية فى رگويدا وينتمى
 إلى القمر.

ولدینا مجموعة آلهة معوية أيضاً.

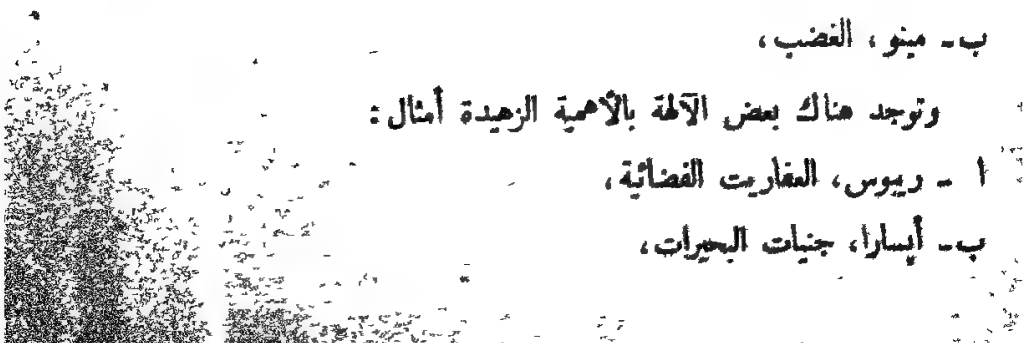
ا - شردها، الإيمان،

ب - مینو، الغضب،

وتوجد هناك بعض الآلهة بالاهمية الزهيدة أمثال:

ا - ريوس، العقارب الفضائية،

ب - أسارا، جنات البحيرات،



ج - كندهروا، حيات الفضائية.

وتارة يدرك الآلهة بالحيوانات، كاندرا بالثور، والشمس كالخواد المسرع. ولكن هذا لا يدل على عادة الحيوانات في رگويدا، وكذلك لا يوحد في رگويدا أثر للطوطمية أى الايمان في سلف حيوان حتى يعتبر ذلك الحيوان مقدسا وجليلا. ولا يوحد أثر لعادة التعان، ولو أن الثعان إله الهاوية، أو الذى يجرح منه ماء يتولد به الشيطان والذى قتله إندرا. وهناك بعض الأثر للحن الذى يعاون صاحبه كما يطهر على سبيل المثال في استعمال تمثال إندرا للوقاية من الأعداء. وكان هاك أعداء للآلهة الرگويدية أشير التى بأسورا وراكشاسا

وتشتمل الديانة الرگويدية في الأساس على عادة الآلهة الذين يرحى مهمم الاحسان أو البركة، وذلك تقديم تصحية مقررة، وأمكن بها الحصول على المرام واحتوت التصحية على مقدمة من اللبن، والحب، والسمن واللحم، و«سوما» ولكن وردت في رگويدا تفاصيل عن تصحية سوما فقط

ولقد نشأت الديانة الرسمية إلى حد بعيد حتى أوحدت سبع أقسام من الكهنة لأداء تلك الرسوم، وهم كهنة هوتري الذين ترموا الاناشيد، وكهنة أدواريو الذين قاموا بالأعمال اليدوية في العادة، وكهنة أودگاترى الذين غنوا أغنية «سام» مع مسعفيهم. وكان بعض أنواع التصحية متقناً وعال، حتى لا يقدر عليه إلا المملوك والأمراء فقط. وعلى ذلك يعتبر رگويدا أرستوقراطياً في مطهره، وليس فيه ديانة عمومية تليق بعامة الشعب.

وتنتهى هذه الديانة الطبقوسية إلى فلسفة عميقة توجد في الجزء العاشر من رگويدا، وكذلك في عبارات أخرى. فقد أورد الإرتياب في فهم تكاثر الآلهة بالوضاحة، وأثبت وحدة العالم في النهاية كمنخلق لله الواحد الذى تشي

إليه الخصوصيات المختلفة. وكذلك قدم التخليق كنتيجة قرآن قام به الروح الأعظم، أو نتيجة تطور من العدم الذى يوجد فى شكل الماء أو الحرارة. وتشير عبارة رگويدية «الوصاحة إلى «الحق الوحيد الذى يتكلم بلسان الأنبياء فى طرق مختلفة، ويسمىهم «أگى، أو «ياما، أو «ماتريسوان».

وأخيراً يعتقد رگويدا بالحياة بعد المات فى عالم تحت سيطرة «ياما».

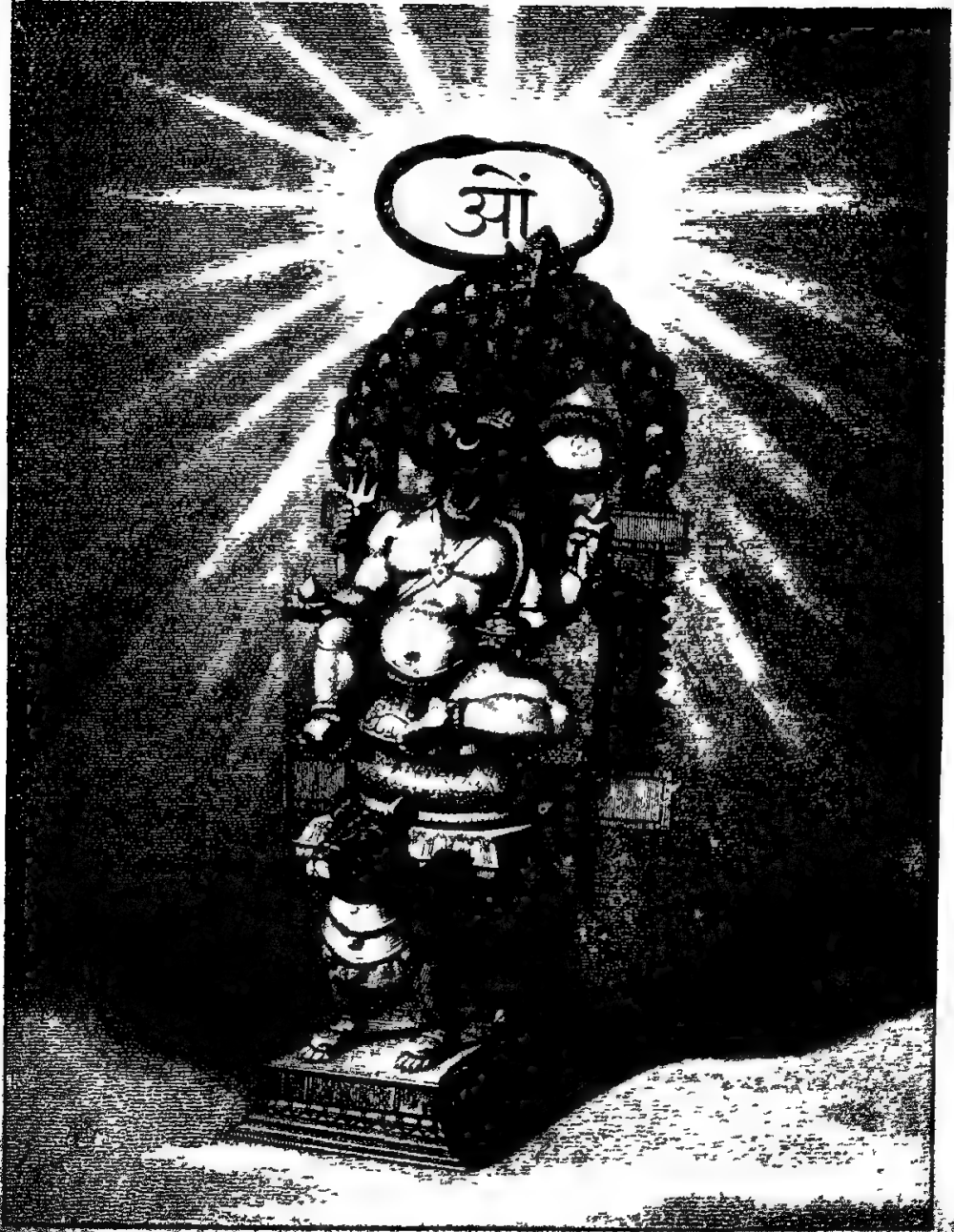


الاساطير الهندوسية عن الكون وخلقها

لكل قوم أساطير، وللهندوس أساطير، وفي الأساطير الهندوسية ما هو يشبه كل الشبه بما جاء في أساطير الشعوب الآرية الأخرى كالآغريق، والرومان، والألمان القدماء، والذين يقطون في بلاد سكنداويا كأهل فلندا، والسويد، والبروج. فقد وجدت أسطورة في الكتاب الهندوسي «كهودجيا أوبانيشد» تذكر «البيضة الأرضية» فتقول إن هذه البيضة هي أصل الخليفة «انكسرت البيضة» فكان نصها من الفضة والصف الآخر من الذهب فصار الصف الفضي أرضاً، والصف الذهبي سماء، وشأ من صفار البيضة الصاب والعمام، وتكونت من عروقها الدقيقة الأنهار، ومن رلالها الحر، وتولدت الشمس من البيضة. وقد قال علماء الأساطير إن هذه الأسطورة الهندوسية تشبه أسطورة شعب فلندا في باب الخليفة من كل الوحوش.

وليست الأساطير وحدها التي تشابهت في كثير من الشعوب الآرية بل تشابهت أسماء الآلهة ووطائفيها كذلك.

والذي يحير الباحث هو التشابه بين الهندوس والمصريين القدماء في كثير من أساطيرهم وأسماء آلهتهم وأبطالهم. كأسماء «امسيس» و«سقي» و«هرى هر المصرية» وأسماء «راما» و«سقي» (زوجه) و«هرى هر من (من الآلهة)». وقد عد المصريون «عجل أيس» كما يعبد الهندوس «ندى» (Nandi) «عجل «شيفا» (Shiva). ويقابل الآلهة المصرية «اوزيرس» الآلهة الهندوسي «إسورا» (Iswara)، وكما حارب اوزيرس «طيفون»، كذلك حارب الآلهة الهندوسي «برهما» أخاه «وشنو» «طيط عليه» ولكن «مهاديوا» قهره وقطع رأساً من رقبته الخنثى. وتقول



مکیش

الأساطير المصرية إن الآلهة «رع»، «سبك» «دموعه»، ومن أشعة هذه الدموع وجدت الحلائق كلها، وكذلك قالت الأساطير الهندوسية إن الحلائق كلها وجدت من دموع «براجاڤتي».

والحاصل أن الأساطير الهندوسية تشبه أساطير الشعوب الأخرى ولكنها تمتاز عليها بأنها لا تزال دينا حيا تدين بها الملايين الكثيرة من الهندوس إلى هذا اليوم، بينما أصبحت أساطير الشعوب الأخرى تراثا للتاريخ.

❦ خلق العالم ❦

وقد عالجت الأساطير الهندوسية مسألة خلق العالم، كما عالجت أساطير الشعوب الأخرى، غير أن الأساطير الهندوسية لم تتفق فيما قالت في الموضوع، بل اختلفت اختلافا شديداً، فافترضت أشكالاً وكميات عديدة لخلق العالم. ومن العجيب أن هذا الاختلاف لم يبل من قدسية الأساطير عند القوم، بل يؤمنون بها كلها على رغم اختلافها، بل تناقضها.

وقد تضاربت أقوال «ريڤك ويدا» (Rig Veda) منه — وهو أقدم كتب القوم وأقدس — في بيان كيفية الخلق. ولقد جاء في واحد منها إن الآلهة ضحّت بمملاق، فتحول حسده إلى السماء، وتحول سرته إلى الهواء، ورجلاه إلى الأرض. وقد خلق من مح القمر، ومن عيه الشمس، ومن فم الآلهة «إندرا» والآلهة «اڤسي» (النار) وخلقت من نفسه العواصف. ونشأت منه كذلك الطبقات الأربعة البشرية: فالرهن من فم، وكشتريا من ذراعه، وويشيا من أصلاعه، وسودرا من قدمه.

وقد نسبت أساطير الشعوب الأخرى، خلق العالم إلى الآلهة الأكبر، إلا أن أسطورة هندوسية تقول إن الإنسان هو الذي أوجد الكون كله بنفسه.

كما حققه الحكماء..

«ومرق شعاع ناري، مزق تلك اللحة المطالبة المحيطة
«أ كان الشعاع في الأسفل؟ أم كان في الأعلى؟ كيف يدري ذلك الشاعر
المسيح؟»

«ووحدت القوى الحصية العظيمة، ووجد فوقها نشاط لا يصيه الكلل.
«ومن يدري، ومن الذي يستطيع ان يقول، كيف نشأ هذا الكون المتسع؟
«لم توحد الآلهة إداك لتحرر بما حرى.
«من اين طهرت هذه الدنيا الخيلة؟ هل صنعها اليد الالهية؟
«ليس عدد أحد علم بذلك
«وإن الرب الذي فوقنا، عدده وحده العلم
«ولكن هل هو يرصى بأن يندنا بالغيب؟»

وعالجت تفاسير «ويداس»، وشروحها «پوراناس» (Puranas) كذلك مسألة
الحلق، ولكنها كذلك لم تأت شئ مقنع، بل تحد أقوالها متناقضة



الاله الأولي «ناتنا» وهو يختص إلهام قدمه

فتلا تقول إن الإله الأول «نرانا» (Narayana) هو الذى خلق كل ما فى الوجود، خلق الكلام من فمه، وحلقت كتب «ويداس» المقدسة من أخلاطه البدنية، وخلق ماء الحياة من لسانه، والفلك من أنفه، والسما والشمس من عيونه، والأماكن المقدسة من آدانه، والسحب والمطر من شعره، والصواعق من لحيته، والصخور من أطفاره، والحبال من عظامه، إلى آخر ما قالت.

ثم تعود فتقول كان هذا الإله قبل خلق الكون، يسبح فى البحر الأول، وهو راقد فوق ورقة من شجرة «بيان» (Banyan)، يتنص إهام قدمه فيه. تقول هذا ولا تحبر من الذى خلق البحر الأول الذى وحد الإله ساحا فيه. وكذلك تقول هذه الكتب إنه كان، قبل أن يكون شىء، بيضة كويسة، ستمها بـ «براكريق» (الطبيعة). وقد تطورت هذه البيضة تطورات كثيرة فى دهور عديدة، حتى تحولت إلى بيضة ذهبية.

لقد طل «سيد الكون» مستكيا داخل البيضة الذهبية أكثر من ألف سنة. وكانت البيضة عائمة فوق سطح البحر المحيط. وبينما كان «سيد الكون» مشتملا على نفسه، مستريحا داخل البيضة، لا يفكر فى شىء، إذ بررت من سرة بطه زهرة لوطس ذات سماء وصياء. لا تصاميا ألف شمس فى سماءها وضياؤها، وكانت الزهرة كبيرة جدا تسع كل ما هو فى الوجود. ومن هذه الزهرة خرج «برهما» خالقا نفسه نفسه. ثم خلق برهما مائر الخلق بقدرته!

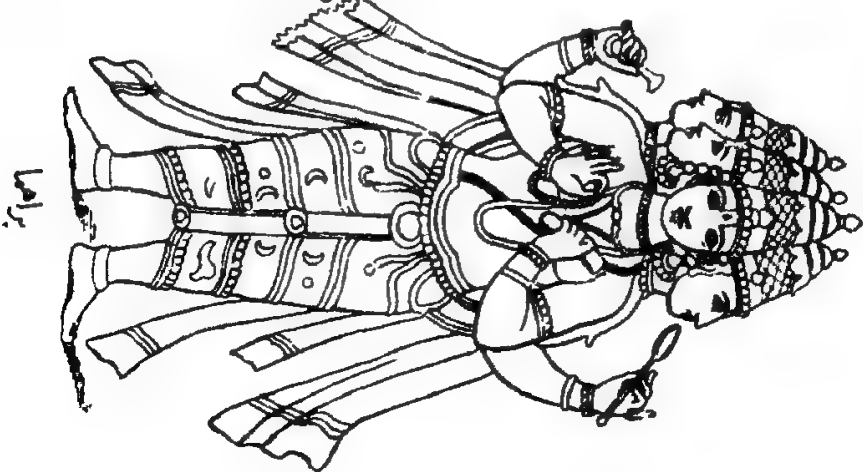
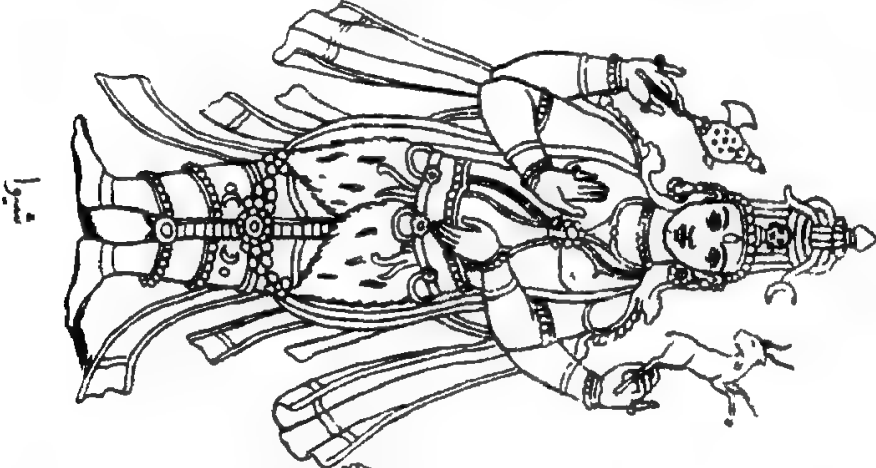
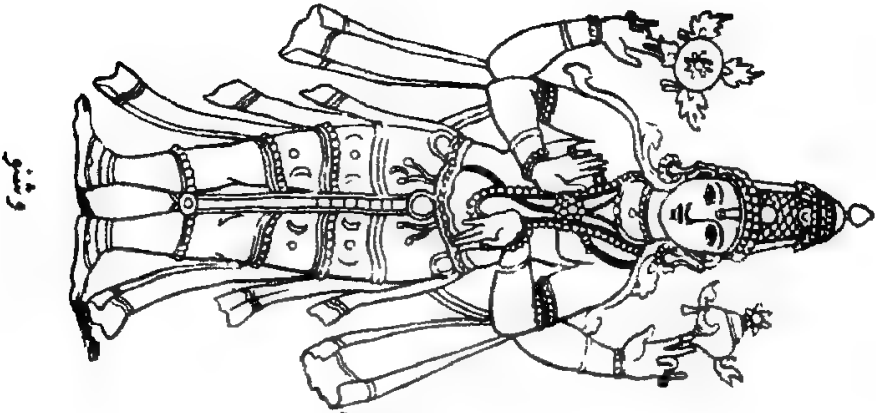
ولكن «برهما» تعرض لخطر عظيم قبل أن يخلق الخلق! وذلك أن «برهما» بعد أن أوجد نفسه، بقى دهورا لا يعمل عملا، لأنه كان يحمل العمل! وأخيرا نسه إلى حبله، فسده عن نفسه، فنشأ من جهله الليل والظلام، ومن الظلام تولدت الشياطين والعماريث. ثم كان أن جاءت هذه الشياطين والعماريث، ولما لم تجد ما تسد به جوعها، زحفت على «برهما» نفسه لتأكله، فأخذ هذا يصبح

مذعورا « لا تقربوا مني، لأني أؤكم، ولا يجوز لكم أن تأكلوني!، غير أن الشياطين والعفاريت الجائعة، لم تصع إلى صياحه وهمت بأكله، فعد ذلك اضطر «برهما» إلى أن يخلق ما يراه اليوم من هذا العالم!

وبعد أن اكتسب براهما قسما من الحكمة نادر إلى خلق مخلوقات توحيد فيهم الصفة الروحانية (ستوا) فأصبحوا سماويين. وخلق براهما من حاصرته فرقة «أسورا»، ومن قدميه الأرض، ومن سبائته الحوارى، وهلم حرا.

وورد في مؤلف بهكوت أن براهما بعد الاختراق الأول الذى لارمه، خلق أربعاً من العقلاء والحكماء وهم ساكا، وسادا، وسنسا، وسناكارا. ولكن ظهرت مهم معارضة لعملية الخلق وعمدوا إلى التقشف وإلى عادة واسوديو. وبذا انحرفوا عن الهدف الذى خلقوا من أجله. فأغضب هذا براهما، فاسعث من هذا العصب «رودرا» القوى الذى تولى على عملية التحليق.

وقد أورد العالم مو في دستوره رواية مختلفة عن قيام الكون. فيقول هذا الثقة إن الخالق الأول الذى خلق نفسه نفسه أحسن بالرغبة لخلق مخلوقات مخلقة من جسمه، خلق المياه أولا، ثم ألقى فيها بذراً، فتحول الدر إلى بيضة ذهبية لامعة تعادل لمعان الشمس، وإبه نفسه تولد في هذه البيضة كـ «براهما» — موجد العالم بأجمعه. ثم تمضى هذه الرواية إلى القول سميت هذه المياه «نارا» لأنها انبعثت من «نارا». وحيث أن المياه كانت في دائرة حركته الأولى، سمي هو بناراين. ولأن ذلك المولود قد خلق من الأسباب الخالدة التي لا تدرك بالحوس والتي كانت موجودة وغير موحدة اشتهر في العالم كـ «براهما». وبعد أن مكث داخل البيضة زهاء عام واحد، شطر نفسه بدافع تفكيره الخاص إلى شطرين. وبعد أن شطر براهما نفسه إلى جزئين تحول الإله بالنصف الواحد إلى الذكر وبالنصف الآخر إلى الأنثى. وخلق فيها «ويراج» (جرقومة الحياة).



«ولتعلم أبى أما (أى منو) الذى خلقى الاله الذكر ويراح نفسه خالق العالم كله».

يستخرج من هذه الرواية التى تعتبر مملوكة من أساطير متعددة بأن الفصل يرجع إلى مو فى خلق الكون. وإياه على سبيل المصادفة حسم سبقة ناراي على نارا. وهى النقطة التى يكتسبها العموص فى كثير من أساطير أخرى.

وحديثى أن أذكر الأسطورة الأخرى التى تقول بأنه انبعثت الخليفة من دموع «برحابتى». ولما جاء برحابتى فى الوحود من العدم بكى قائلاً. «يا ترى لما دا ولدت إن كنت قد ولدت من هذا الذى لا حول له». فالدموع التى سقت فى الماء تحولت إلى الأراضى، والدموع التى مسها تحولت إلى السماء.

إن هذه الأسطورة تمثل الطرية التشائية فى الحياة. وهى الطرية التى تمثل الوجودية وعددا من المعتقدات الهندوسية.

ولقد لحص السير ويليمس فى تربيته عن ناراي كل ما اسحس من نظريات الهندوس حول تحقيق الكون. وحيث أن السير ويليمس قد لمس فيها روح الشعراء الأقدمين بلطافة تامة وحيث أن سحجة الأشودة سامية ومثالية، أرحو السماح من القراء إن استوردت التريمة بطولها.

«يا روح الأرواح! أنت التى سطت المكان فى جميع جهاته، وسطت الرمان الذى لا نهاية له،

«قد أمرت الضوضاء أن يتحد سبيل النظام الحيل إلى ما وراء حدود الخيال السامى،

«فانت الموجودة قبل وجود السماء:

«فانت قد استويت على العرش

«قل أن دارت الأجرام تحتنا أو الأحرام فوقنا،
«وقبل أن علقنا الأرض معها في الهواء الفلكي،
«حتى بمصل حلك الحق،
«ووثت إلى الوجود الأشياء المدومة،
«والأشودة الطريفة قد عيت.
«يا أيها الخير المصود!
«ما الذي حملك على أن تطلق القوات في بداية الأمر؟
«يا أيها الحكمة البالغة!
«ما هو النور الهى الذى سمع من قوتك؟
«ما الذى حملك عليه في بداية الأمر؟ إيه، اهدى مخلق سواء السبيل!
«إيه، ارفعى من القرار الثقيل روحى المعموسة في الطرب!
«حتى ترتفع حرية على أحشة من نار،
«لأنك أتت التى تعللين وأنت التى يمكنك أن تمنى فيها النشاط،
«مدهولة في الطل الدائمى المعرد.
«فى الكآبة العويصة من النور القوى،
«المبيح، الحرير، المسيح،
«قل أن ابشت الروح وتطاهرت الأشكال
«عابن راحها ذهن نفسه.
«ولما حددت البيان الفانيتان الطر (وهكذا نمر المحدود باللامحدود) إلى
المرابا المصقلة

«بنظرة وثب إلى الوجود مسرعاً شكل فائق في الجمال وله لمعان غير منضود،
«ويمكن للمعان أن يذبل خمسين شمساً.
«وسميت الالامة الأولى بـ «مايا»،

وهي التي أعطت لسيدته الحبيب المهبج اللاهوتي تانوتا معلومة بالأفكار العالية
 تخلق به هذا العالم العاخر؛
 ولما أراد الله القدير أن يخلق،
 عددا غير محدود من العوالم
 فظهر من الوحدة إلى الجمع،
 بينما صحت الحليقة السارة، ورت القدرة الحصية
 فأولا، صوت فعال عميم امر المياه أن تسيل فسالت المياه
 مطربة في مكائها الذي ليس له إحصاء،
 مشرة، وافرة، عميقة،

من فوق، ومن تحت، ومن جميع الجهات
 ثم هب السيم الابتدائي على الميدان المائي الواسع حتى حص حبات لامع
 وأحد يمو في شكل متقن، كأنه بيضة سامية،
 واللعان الذي وحد فيه، لم يظهر في أي حليقة أخرى،
 ولا تعرف الأرض حملا تفوقه.
 ورقص بالحفة على الأمواج المتناضلة،
 حتى خرج مرفوها من قشرته المطلقة على الميدان المائي
 شكل سماوي اللون في عاية من الجمال،
 أهى ما يكون في الموحودات، وأعظم العظام،
 فلم يكن كالنشر الذين يغطسون وفي أعيهم يوم الصبح،
 بل كان ملقى على اللوطس في تأملات سماوية،
 فأزهر اللوطس بلس منه وانبعث منه شعاع ذهبي.
 مرحبا بك، يا أيتها الزهرة الأولى!
 مرحبا بك، يا أيتها الدرة السماوية!

يا زهرة • كل ، أو زهرة • يدما ، !
 أو زهرة أى اسم حس ترصين ها أحريى
 ما هو اللاهوت ذات الأوحة الأربعة
 الذى طلع من حدحك الأحصر ،
 فى لباس فاجر وتاج مرصع ؟
 راهما الدكى الكامل !
 قام وهو فى تفكراته الهامة .
 وحرحت من حوالى عييه سهام نارية .
 ولكن بينما فتش عن أصله العبى
 رأى فسبحا من مياه ررقاه أمامه .
 ولم ير يسوعها ولم يعرف !
 ثم ارتد إلى ساق السات الذى حرح منه
 ولاحقاق بعده فخص عن المسألة وهو فى قلق وألم ،
 ماذا كانت قوائمه ، ومن الذى وهبها له ، ولماذا ؟
 كان متحيراً بالشكوك ، ومبهحاً بصره العيف ،
 فقام ، ولما قام سمع
 القول الحقى المملوء بالعلم الكلى
 راهما ! لا تقصر على بحث ما لا يطاق ،
 لا يمكنك أن تسرع على السقاب ، اذهب ومر جميع العوالم أن يطهر فى حيز
 الوجود
 أهلا بك يا أيها الموحود بداتك ! قد أطلق عليك بالطق السماوى اسم « ماراين »
 سبب أرحوحتك المائتة :
 أو أنت « ويا مالا » بالشريط الراهر الذى يتدلى إلى بعليك ،

هل لى أن أغرد بدون لوم عن جمالك الذى لا يمكن أن يوصف ؟
أوه يتامبره الأعلى الملوس بالالسة الصعراء التى هى أكثر ضياء من الأشعة
الشمسية الوهاحة فى منتصف النهار، التى تسح بورها السماوى حول الكرات
السيارة .

أنت الذى لا تمل، أنت الذى لك العيان مثل رهرتى اللوطس،
أنت العدو المستمر للنشر العيف بقوتك الحارة !
حواسى المعشبة قد ملأتها هذه الأفكار،
وتعوم عباى فى الطلام،
وأى عين يمكنها أن تحمل شعلتك،
وأى نطق يمكنه أن يعبر عن أعمالك بالوق العصى أو بالودع الوقى المكمل .
إن الروح العليمة بقوتها المسيطرة تأمر أن تشرق من كل إدراك فيصانات مصيئة،
وتلمع فى قوس القرح، وتتلاألا فى الأنهار،
وتسم فى الرعم وتصحك فى الرهر الذى يطهر
على المطلة الربيعية فى الستان،
وتهد فى الرياح وتعد فى حلقوم كل طائر من الطيور التى ترحب بانين الربيع
الناصر،

أو تنطق عن حبها فى نيمات رائقة
بيما المعنى المعنط يطرق سلك المماس حتى ترى به الصحور والغابات؛
وتنفس بالروائح الطيبة فى عانة الصندل، أو فى الأمكة التى ترعى وتلدب فيها
غزال المسك الثمين،
وتقطر فى العصير العذب من عقود العواكة،
وتحترق للصحة فى القرقل اللذيذ؛
وتملأ نفوذ وجودك فى الشواطىء الناعمة والجبال الصرة،

وتنفخ الروح بارادتك في الهواء. والسيول، والكهوف، والغابات، والبيادين،
وتحكم تخيلك السامى على الجميع.
يا أيتها القسة الزرقاء اللورية واليران العصرية التي تلهب وتنفس في الهواء
السيال اللطيف.
وبأيتها القوة العمالة التي تحيط هروعك هذه الكرة المشعولة بالنال بالحركات
الدائرية المشككة،
والحال التي تشيد أوج قمها الحريئة المصينة في السماء، وتمرح ألوانها الحصراء
بالور "ياقوتى الأرزق".
والروصات الهادئة والمرحات التي تتلأل بالألوان المختلفة من أوراقها وأرارها
المرر كشة بالدى.
فلهذه الأشياء أن تعد من أنظرى!
هى صور حادثة ومظاهر لا أساس لها
إن روى المستعركة تعلم فقط وجودا وحيدا،
ومن المحسوسات تدرك المصدر الوحيد الذى لا انقطاع له،
والذى يثبأ منه كل مادة وكل شأن.
فالشموس تشتق قوتها منه،
والسيارات تعلم مصيرها منه.
ولكن لا أرى الآن شمساً ولا عوالم،
فأرى الله فقط، وأحمد الله فقط.

- مدة العالم وهايته -

إن الأساطير العلكية عند الهدوس ترد وحدة الكون الرمية إلى "كلها"،
أى إلى يوم من أيام رايها الخالق. يحلق رايها في الصاح العوالم الثلاثة:

يظهر مرور الزمن . ولا يعرف أصحابها الحقد، أو الكآ، أو الاغترار بالنفس أو الحداغ . ولا يكون هناك تارغ، أو مقت، أو ظم، أو وحل، أو حزن، أو حسد، أو غطة . وتكون طقات الناس متساوية فى وظائفها مؤدية بواجباتها، تداوم على عادة إله واحد، ودعاء واحد، وطقس واحد، وتكون لهم صحيفة واحدة .

وتستمر حقبة «كرتنا» لمدة ١٠٧٢٨٠٠٠ عام ويقال إنه يكون الأيض لون الآلهة خلال هذه الحقبة

وفى الحقبة التالية «ثريتا» يكون الدين على ثلاثة أرحل ويرمردلك إلى أن العصلة تقص فى ذاتها بالربع فالناس فيها يتمايلون قليلا إلى المكر والتحاصم وتمتاز هذه الحقبة بظهور أناس مائلين إلى الانغماس باللدات، ولكن يهوق عدد الراهمة عليهم بكثير، ويكون الراهمة على إلامم بالتعاليم الصحفية ولو أن الناس يصحون شاطرين ويدأون بمراعاة أعراضهم، ولكنهم مع ذلك يكتنمون بالمتاعل الديية ويحافظون على أوقات أدائها .

وتتد هذه الحقبة إلى ١٠٢٩٦٠٠٠ سنة ويكون الأحمر لون الآلهة .

وفى الحقبة الثالثة «دواپارا» يقوم الدين على رجلين فاستناده صعب جدا . وينشر الرور والمقت وعدم القاعة بالكثرة . وبقى الصف من مبادئ الاحلاص والعطف والتسامح، ويكون الأصهر لون الآلهة وتكون للصحائف أربع طيات .

يعنى بعض الراهمة فى هذه الحقبة بدراسة الصحف الأربعة، وبعضهم يكتنى بدراسة ثلاثة منها ويدرس فريق صحيفتين فقط . وفريق لا يعنى ولا بواحدة منها . ويكون الراهمة على إلامم بصوص الصحف . ويتمسك كثير من أفاضل «كشتريا» و«ويسيا» بديهم بعناية تامة .

ومدة حقبة دواپارا هي ٨٦٤٠٠٠٠ عام.

والحقبة الأخيرة هي كالي وهي الحقبة الحاضرة المحطة. إن الدين في هذه الحقبة على رجل واحد هو مطروح على الأرض. وبقي في هذه العصر ربع من جميع الفصائل أي فصلتها. وتعدم هذه البقية الباقية أيضاً. فتتشرع عوامل الاثم والعدوان.

وقد وصف الشعراء بلاغتهم وفصاحتهم تعاسة هذا العصر. وورد في مهابهارت بأنه أصبح القسم الأعظم من أهل هذا العصر عبيدا وقعوا في الوسواس واتخذوا سبل الحث والطم والتحاسن، فهم الأشقياء ومئاتهم مائة الفقراء ويترياً الساس بالمرور والباطل، والكسل، والطغى، والمكر، والعناء، والهم وال خوف، وال فقر ويعيشون في ظلام دامس وحب إليهم ما هو المحط السافل فيحدون أنفسهم في شقاء متواصل ويأكلون شراهة عظيمة.

الرجال في هذا العصر مقادون لروحانيتهم وتصيح النساء قليلة الحياء، شديدة الحساسة، ميالة إلى الشهوة ويلدن أولادا واهرا. ويكثرن من الطعام والكلام والثرثرة. وتردحم المدن بالصوص والمفسدين. وتسيطر الرذائل والخداع على الأعمال التجارية. وتنسرب القسوة إلى قلوب الملوك فيمضون دماء رعايهم بغير حق ويقصر أصحاب المارل في واحسانهم ويأحدون بالتسول على الطرقات. وتفسد أحوال البراهمة فيحدرون إلى مستوى العيد.

وتكثر البضائيات والقحط على الررع والمحصولات، ويتناقص عدد السكان مسبب الحروب والمخاعات. وقصارى القول إن أحوال العالم تتردى إلى حد يحمل العقلاء والحكماء على الانتهاال فيرحون ظهور الاله المدمر كالكي.

أما مدة هذه الحقبة فهي ٤٣٢٠٠٠٠ عام. وتكون الآلهة سوداء اللون.

ومن الطريف أن ملاحظنا الآن حسب هذا التقويم في الآلاف السادس من حقبة كالي، من العصر الحاضر المشؤم . وهذا أول يوم للسنة الخامسة والحسين من عمر راهما

يدل كل هذا على أن نظرية الحياة الهدوسية هي نظرية الارتقاء التدريجي إلى الانحطاط . ومن الغريب أنه يوحد هذا التصور عن انحطاط العالم في معتقدات جميع المذاهب ، فأنساع مجموعة الديانات السامية . يعتقدون بحات عدن، وهي الفردوس الأرضي الذي طرد منه أبو البشر سيدنا آدم عليه السلام لسوء عمله واصطر إلى العمل والموت

وهناك أسطورة مصرية تقول بأن الإنسان كان حالداً وسعيداً في الأيام الماضية ولكنه در مؤامرة وأراد أن يبرع العرش من «الآب الأول» فشغل في أمره ونعثر على حريمة وهو متلبس فيها، فحكم عليه بالنهـاء

ويقول الشاعر اليوناني «هيسيود» (Hesiod) بأن أساطير ملاده تقسم التاريخ في خمس عصور . في البداية قام أولمپين تحت أمر كرونوس بحلق رجال من ذهب . فكان أهل هذا العصر يعيشون كالآلهة في السعادة التامة، ولم يضطروا إلى استعمال الأيدي للعمل لأن الأرض كانت توفى تارها بدون أي عاء . ولم يعلم هؤلاء تعاسة الشجوحة . وكان الموت بمثابة الانتقال من اليقظة إلى النوم العميق . وبعد وفاتهم قررت أرواحهم فوق الأرض ليحافظوا على الأحياء ويساعدوهم .

وبعد ذلك خلق الآلهة رجالاً من فضة . على أنه لا يمكن مقارنة هؤلاء بمن سبقوهم في العصر الذهبي . فعقوا على الحالة الطفولية لسين عديدة . ولما بلغوا رشدهم رفضوا الخضوع لآلهتهم وبدأوا يتقاتلون فيما بينهم . وبعد وفاتهم تحولوا إلى أرواح طيبة تعيش في حيز الأرض .

ثم تعمم الرجال من البرور الذين انتعشوا من شجر اللوط وكانت لهم قلوب قاسية وحاسدة والشهوة قرصت الدنيا بوحودهم. وهؤلاء الناس صنعوا جميع الأشياء من البرور فسلب اختراعاتهم انتقلوا من عالم النور إلى عالم الظلام — عالم الملك هاديس، فلم يبق لهم عرة ولا ذكرى

وبعد ذلك قام الإله تريوس بخلق جنس بشري من الأنطال، الذين حاربوا في تينس ولما قضى هؤلاء محهم، نقلهم «أولمبين» إلى ديار السعادة في أطراف العالم

وتلى هؤلاء الأنطال الرجال من الحديد، وهم الجنس البشري في العصر الهمجي الحاضر. وقد كتبت عليها الكد والكدر في الليل والنهار، ولا تنتهي هذه التعاسة إلا عندما تزول هذه السلالة ويكون ذلك حينما يعكس نظام الطبيعة وتتحول المحنة إلى الحقد

وقد أورد مؤلف «بورانا» صورة مختلفة عن الطريقة التي يهدم فيها العالم في نهاية حقبة «كالي»، فتقول إحدى الروايات إن الإله «وشو»، سوف يظهر على شاكلة الإله «كالكي»، وهو يكون بطلا مسلحاً. راکما على حصان أبيض، وله حياحان مخلصان بالمحوريات، ويظهر محركاً يده فوق رأسه حسام الدمار والحرب، وحاملاً في يده الأخرى قرصاً. ويرفع حصانه قدمه الأمامى الأيمن. وإن الدنيا واقفة على رأس «شيشا» الخش، والخش حالس على ظهر سلحفاة وعندما يصرب حصان كالكي قدمه الراجع على الأرض، تسقط السلحفاة في الهاوية وتتحلص من الثقل العظيم، وهكذا يهلك جميع حثاء العالم.

وورد في بهگوت أحوال هذا العصر وما فيه من الهول في هذا العصر تمتنع العيوم عن التقطر في صورة الأمطار على الأرض لمدة مائة عام. فلا يجد الناس طعاماً يأكلونه. فلما يعصهم الجوع يأبانه يضطرون إلى أكل نعصهم

بعضا . وهكذا يعلب عليهم المصير فيلقون بأيديهم إلى التهلكة والفساد .

وورد في محل آخر ذكر الطوفان العالمى بتفاصيله الواضحة . يكون هالك قحط لمدة سبعين ، وبعد ذلك تطهر في السماء شمس ملتهبة تمتص جميع المياه ، ثم تهب على الأرض ريح من نار تأكل جميع الأشياء وتنترب إلى العالم السفلى فتتلف كل ما فيه في لحظة واحدة . وهكذا يحترق العالم بأسره .

وبعد ذلك تتراكم الغيوم اللامعة ذات الألوان العديدة كجموع الفيلة المريبة بأكاليل من البرق ، ثم تنشق بعثة فتمطر لمدة اثني عشر عاما باستمرار إلى أن يتوارى جميع العالم بحاله وعاناته تحت سطح الماء . وبعد ذلك تعود الغيوم والآلهة الموحود بذاته الذى هو أول سبب لجميع الأسباب ، يمتص الرياح ويعود إلى سباته . وعندئذ يصبح العالم فسحة من الماء .

إن يوم براهما يقسم أيضا إلى أربعة عشر أدوار رمية ، يحكم في كل واحد منها معلم ، ولا يقضى هذا المعلم عند فناء العالم بعد كل حقبة من الأحقاب الكبيرة المذكورة . وقد وصف الحكيم ، ماركنديا ، في مهابهارت كيف بنى معلما في الطوفان الأخير . وبها هي الحكاية

إن المعلم - وهو يساوى براهما في المجد - مارس الامتناع عن اللذات لمدة عشر آلاف عام . وقد حدث ذات يوم بينما كان مشغولا في التأمل والتفكير في اللاهية ، وهو قائم على قدم واحد على شاطئ نهر ورافع إحدى ذراعيه . إذ شاهد سمكة حرحت من الماء وطلت منه النخلة ضد سمكة أخرى أكبر حجما كانت تطاردها

فا كان منه إلا أن التقط السمكة من النهر ووضعها في جرة من طوب . وكبرت السمكة بحيث أن الجرة لم تكف تسعها . فأخذها المعلم وألقى بها في نهر

من الماء. فكرت هناك أيضا وتضايق عليها الركة. فالتحأت إلى المعلم أن يلقى بها في مياه هر كسكا. فكان لها ما أرادت. ولكنها ازدادت في الحجم لهر كسكا أيضا فقلت إلى الأوقياوس.

وابتسمت السمكة في الأوقياوس وأدنت للعلم نفسها فمدى له أن يراها. كان قد تقمص في صورة السمكة وتكلمت السمكة عن العيب فأحبرت أن العالم سيهلك بطوفان عظيم، وظلت منه أن ينسى سعيه ويقل إليها العلماء السعة والدور المختلفة كما عددها الراهمة القدماء وأن يحفظها على صورة محكمة.

وامتثل المعلم لأوامرها وعندما بدأ الطوفان أقلع سفينته وورط حالها إلى قرى السمكة.

« وحملت السفينة أما الشر في الأوقياوس،

« في أمواجه الراقصة ومياهه القاصصة،

« وهت الرياح فقدت السفينة يمينا وشمالا،

« فداحت السفينة على سطح المياه العميقة

« فتمايلت وارتعشت كأمراة سكرانة.

« ولم تطهر الأرض،

« ولا الأفق البعيد، ولا المسافة في ما بينهما،

« لأن المياه الهائجة قد انتشرت في جميع الجهات

« وكانت البحارات قد تراكمت في الحو والسما اللا محدود

« فلما غرق جميع العالم في الطوفان، لم يظهر شيء على الأمواج.

« سوى المعلم والعلماء السع والسمكة التي قادت الفلك.

« وسأقت السمكة السفينة لسنين عديدة ولم تعب

« فكانت تجري بها على المياه المتراكمة، إلى أن استوت السفينة على هياوان.

وأخذت المياه بالهوط والمعلم معها ووصل المعلم إلى الميادين في الوقت
المعلوم وأحد بعملية الخلق لحقمة «كرينا» اللاحقة.

وفي هذه الحكاية ماثلة عظمة الأسطورة العبرانية عن الطوفان وسفينة
النوح. ولعل المصدر للروايتين واحد.

١٠٠٠ الأساطير الهندوسية في الجغرافية

تقول الروايات القليلة الواردة في «ويدا» أن الشعراء الينديين تصوروا
الأرض معروشة وعريضة لا حدود لها، وإها على شاكلة الدولاب ولا توجد
هاك إشارة إلى وجود أوقيانوس يحيط بها.

وأقدم الطريبات عن شأنه هو أن العالم يحتوى على الأرض والسماء وتختلف
الآراء عن شكل الأرض فإذا اتحدت بالسماء، قورت بتأسيس قد وصعا وحها
لوحه ومن وجهة أخرى شهب الأرض والسماء بدولابين على طرفى محور.
إن أساطير «پورانا» تختلف كلياً في بياها عن استناد الأرض وتقسيمها.
ففي إحدى الروايات تظهر الأرض مستدة على رأس «شيشا» الحش، والحش
حائس على ظهر سلحفاة فوق المياه الأولية

وقيل في رواية أخرى إن الأرض مستدة على أربعة من الفيلة.

وهاك رواية ثالثة تقول إن أربعة من العفاريت يحملون الأرض فوق
أكتافهم، وإن الرلارل تقع في الأرض حين يعتريهم التعب فيضطرون إلى نقل
الكرة من كتف إلى آخر

وتحدث بعض روايات «پورانا» عن وجود سبع حرائر من القارات، وأن
الأرض هي القارة الداخلية. وقد سمى العالم «جزيرة جامبو» وذلك بسبب
أسطورة عن شجرة جامبو التي تمت فوق أحد جبال الجزيرة. ويساوى حجم

هواكه الشجرة، لحم الفيلة. وعندما تنصح الهواكه، تتساقط على الحل ويتحول عصيرها إلى مهر حامو، وكل من يشرب ماءه يلاقى الصحة والحياة

يقع حل «ميرو» في وسط العالم، ويبلغ ارتفاعه ٨٤٠٠٠٠ فرسخا فوق الأرض، وتقع حال هماليا في جنوب ميرو وتقع بلاد «نهارت ورشا» (أى الهند) المقدسة بين هماليا والبحر المالح

وتقوم على قمة حل «ميرو» مدينة راهما التي تمتد إلى ١٤٠٠٠٠ فرسخا. وهي مشهورة في السماء. وتقع حوالها مدن «إندرا» والنائين الآخرين للسكرات ويسيل هرگمكا حول مدينة راهما. ويسكن في منحدرات حل ميرو ووديانه جميع طبقات البشر

وتعتبر بلاد «نهارت ورشا» الواقعة بين هماليا والبحر المالح أعظم وأحسن بلاد في الأرض والسماء، وذلك لأنها مركز الحركة، في حين أن البلاد الأخرى، ولو أنها سعيدة، ولكنها مناطق مستمرة على حالة واحدة.



مذاكرات رابندرات طاغور عن طفوليته

ترجمة الأستاذ انورشتا - ١ -

كما ثلاثة صبية نشأنا معا . وكان رفيقاي الاثنان ، يكراني بعامين اثنين .
ولكننا بدأنا معا في تعلم الكتابة والقراءة ، والاعتراف من مهل العلم سويا .
وما رلت أنذكر الأسطر الأولى التي وعيتها من تعليم الطفولة : إن المطربهم... ،
والأوراق تهرها الريح ، وتلها قطرات الماء . وكانت هذه السطور . هي أول
أبيات من الشعر حفظتها في حياتي . سب قافيتها الموسيقية السهلة

وهناك اشراقة أخرى ، لا أزال أذكرها من عهد الصبا . فقد كانت العائلة
تستخدم صرافا كان يدعى كيلاش . كان حميف الطفل ، حلو الدعاية ، مطلق
اللسان ، قوى التعبير ، عرير المأذة . وكنت أنصت لحديثه دائما ، في ضعف
وإقبال . وكانت كل كلماته تلتصق بذاكرتي . كحكم بليغة لا يتطرق إليها الشك أبدا !

وكم أدير لهذا الصراف ! انه حب إلى الاطلاع ، والقراءة ، والاستفادة من
الحكم البليغة . وفي يوم ما تروح كيلاش . وكان هذا الحدث ، دائما قويا لاثارتنا
واهتمامنا . كان كيلاش بالسة إليا ، بح الصبة الثلاثة ، بطلا . وكما هتقر إلى
بطة . وحامت البطة في صورة عروس كيلاش . لقد رأيناها ، حملة صغيرة
ساحرة ، تتحنى بالحلى من رأسها إلى قدميها . وطلت صورة هذه العروس ،
تداعب مجلتي حتى الشجوحة . وطلت مسعا يلهمي كافة الصور عن النساء التي
لست أدواراً هامة في اتاحي الأدبي .

والشيء الثاني الذي لارلت أذكره ، هو بداية حياتي المدرسية . ففي يوم ما
شاهدت أحي الأكر ، وابن اختي ، ساتيا ، وهو أيضا يكرني بقليل ، يركبان العربة

إلى المدرسة . وكنت حتى ذاك السن، لم أركب عربة فى حياى، أو أخرج بعيدا عن البيت . وعندما عاد ساتيا ممتلئاً نشاطا وهو يتجهر فرحا، ويقص عليا حوادث النهار فى المدرسة، أحسست حينئذ، بأن لا أستطيع أن أبقى فى البيت بعد اليوم . وشاهدنى رائدى وأنا أنكى فقال : أنت الآن تنكى لكى تذهب إلى المدرسة، ولكمك ستنكى أكثر فيما بعد، لكى لا تذهب إلى المدرسة !

وأنا لا أذكر تماما وجه هذا الرائد، ولكن نصيحتة لا تزال عالقة فى نفسى وداكرتى حتى اليوم فلم يسبق أن تحققت إلى سوءة أكثر صدقا من تلك .

ولقد أدى بكافى المتواصل إلى إلحاق بالمدرسة الشرقية . ولست أذكر شيئا ما تعلمته فى تلك المدرسة، ولكنى لا رلت أذكر فى وصوح وسائلها فى ارال العقوبة بالتلاميذ . ولعلماء النفس أن يبحثوا كيف تتمكن الطرق الشادة القاسية، فى معاملة التلاميذ، من تعليمهم، وتهذيبهم، وملأ قلوبهم بالاحترام والمحبة نحو المدرسة ومدرسيها . إن التلييد، فى تلك الفترة، لا يتحصل فى تلك الأنواع العقاب المدرسى، غير عدد لا نأس به من العقد النفسية، تظل تشقيه طيلة حياته

ولكى كنت متسوعفا بالأدب، مشعولا به عن كل شىء آخر . وأول ما وقع فى يدى لقراءته، وأنا فى تلك السن المكورة، ترجمة سعالية لأساطير تشااكايا، وراما يانا كريتيقارا . وحتى اليوم ومن حين لآخر، تبتعت فى داكرتى صورة ذلك اليوم الذى بدأت أقرأ فيه : الرامايانا . كانت السماء مطلبة داكسة، تكسوها السحب المحفصة القائمة . وكنت ألب فى الشرفة الطويلة التى تطل على الطريق وفجأة، ولسب ما، أراد « ساتيا، أب يجهى . فأحد يصرح يا شاوئش ! يا شاوئش ! وكانت فكرتى حينئذ عن مهمة رحل البوليس مشوشة عامصة . ولكى كنت على يقين من شىء واحد . وهو إذا وقع منهم بحريمة فى يد رحل البوليس، فسوف تهصره هصرا حتى يتلاشى ! ولهذا السبب، لم أكد أسمع صياح « ساتيا ..

حتى أغلقت باب الشرفة ووضعت الترابس من الداخل . وهرعت إلى أمي في العرفة المحاورة وأنا أنكي وأرتعد خوفا من رجل البوليس . ولكن يبدو أن أمي لم تعر المسألة أهمية بالغة . إذ تركتني أنكي دون أن تحتصني كالعادة . وأصرت أمامي الكتاب الصغير الذي تقرأه حتى فاحيت عليه ، وأحدث أحرق فيه وأنا لارات ماكيا . ثم قرأت سطرًا .. فثان فثالثا وتوقف بكائي . وتبتهت بعد ساعات بأني انتهيت من قراءة « الرامايانا » .

(٢)

وكانت عيشة الترف . يكاد لا يعرفها الناس أيام طفولتي . فمستوى المعيشة وقتئذ . كان أكثر بساطة مما هو عليه الآن . وعجاب هدا . فقد كما يحس الأطفال ، أنه ما تكون عن « الدمع » . فتربنا كانت قاسية . وكما يحصع دائما لحكم الخدم . ولكي يحسوا أنهم المتاعب . كانوا يكرهون عليا حق الحرية في الحركة أو العمل . ولكن عقولنا بقيت متحررة من كل القيود والسحافات

وكان طعامنا بسيطا . ونظرة واحدة إلى قائمة ملاسنا . تملأ نفس الصبي المودرن . بالقنوط والاشتمثار كما لا نلش الثرائيات أو الأحادية ، حتى سن العاشرة . وفي الشتاء البارد ، كما نكني نوصع صديري آخرفوق قيصا . ولكما كما هم دائما رائدا بالحيوب في الصديري فذلك الحيوب كما يحشوها دائما بما لد وطب . ويا ويل التري « يامات » إذا نسي وضع الحيب في صديري أحد منا وكان مقررا لكل صبي منا ، روحا من الأحادية الحيفة . ولكما عالما ما كما نكني يحملها على أكتافها أو تكويرها ووضعها في الحيب . وكان الكبار في عائلتنا . يعيشون حياتهم الفاحرة . في المأكول والملبس واللوا . ولكمهم كانوا يسكنون بعيدا عما .. لذلك لم تتأثر بهم كثيرا .

وكما ننسى أيامنا في مساكن الخدم . وكان واحد من هؤلاء الخدم يدعى

شيام، كان أسود الوجه، لامع العين دائماً، يعنى نطاقه عاية حاصة، وكنت استغفره جداً وسط طقة الحدم أيام طفولتى. وكان هذا الحادم يعلمى الكثير من الألعاب الصبابة التى ظلت تسيطر على حواسى، كلما فرغت إلى نفسى حتى بعد أن أصبحت شيخاً كهلاً ولا أستطيع أن أسى. شجرة المور الصغيرة، التى كنت أستطل نطلها بعد أن يأخذنى التعب من الحدد واللعب. والتى عدت إليها بعد سنوات طويلة. لأسطر عنها تلك الآيات التى أصبحت أعية شهيرة فيما بعد.

«أيه. شجرة المور العجور.. تقصين فى مكالك حالدة حلود النهار والليل . هل تذكرين ؟ هل تذكرين ذلك الطفل المرح الذى كان يلعب طيلة النهار.. نطالك الطليل ١٠ إلى .. لا أسى .»

ولكن وأسفاه لم تعد شجرة الموز هناك ولا حتى العدير الصغير من الماء الذى كان يرويهها ويعكس اهترارات أعصامها على صفحة مرآته .

ولم تكن لنا الحرية لكى نخرج من المنزل حينما نشاء، لذلك كنا نطابق لأعيننا وحيالنا العنان. من حلف الحارحر والقصان. وكانت عبنى تقع دائماً على هذا العضاء المسيح اللاهائى. الذى يسمى بالحارح سحر الطبيعة، حمال الليل، رفرقة العصافير، رفرقة الهر والعدير هممة الحيوانات فى الليل. كل هذا كان يترأى أمام عبنى ومجلى.. كعالم عامص مجهول ولكن سحر الكشف عن المجهول. كان يؤرثنى فى طفولتى.. وكان يدفعنى إلى الاسترسال فى تفكير عميق طويل.

ومر الزمن.. واختفى خط الطباشير الواهى الذى كان يحزنى فى طفولتى عن الخروج من البيت وارتياذ المجهول.. ولكن العالم الخارجى.. ظل دائماً.. وطيلة حياتى هو المجهول الذى ككرست حياتى من أجل الكشف عن بعض أسرار

وخباياه . وفي هذا كنت فيما بعد .

« كان الطير الأليف حيسا في القفص وكان الطير الحر مطلقا في العاة ..

والتقى الطيران عندما سمح الرمان وسطر القدر . وصاح الطير الحر: أيها الحبيب . دعنا نطير إلى العاة ... وهمس الطير حيس القفص: تعال معي . دعنا نعيش نحن الاثنين في القفص .

« وقال الطير الطليق كيف ينسى لنا أن برؤف حاحيا ونحن سحباء هذا القفص !

« وبكى الطير الحيس وا أسفاه ! إني لا أدري أين أحلس مستريحاً في السماء ...»

وفي طفولتي . وفي تلك السن بالذات . كنت أعلم بأن سرّاً ما يحيط بمكان ما في منزلنا ! ولم أتحج أبداً في الكشف عنه . وكانت تسميه إحدى صديقاتي من الأطفال . وهي تلتف معي دائماً « قصر الملك » . وفي بعض الأحيان كانت تقول لي « إني كنت هاك منذ فترة وحيرة فقط .. ولكن ، ولست لا أعرفه . لم تحن الفرصة أبداً لكي تصحى معها إلى ذلك المكان . وطالما سألت صديقتي « أحبريني بالله هل هذا المكان موحود داخل المنزل أم خارجه . » وكانت دائماً نخبي « إيه في هذا البيت بالذات » . وكنت أجلس وحدي وأتعجب « أين يوجد هذا المكان ! أ لست أعرف عرف المنزل جيداً . ومن يكون هذا الملك الذي يشعل مكاناً في منزلنا ؟ لقد ظل هذا اللغز دون حل حتى اليوم !

(٣)

إن فترة حكم العيد في تاريخ الهد . لا تدعو إلى العجز . فإذا عدت محاطري إلى فترة حكم الخدم في حياتي الخاصة ، لا أستطيع أن أجد شيئاً يدعو إلى العجز أو الهجة . وكما في مثل هذه السن ، لا تتاح لنا الفرصة للاجتماع

أو الانتقاد، بل كما تتقبل دون مناقشة، قوانين الحياة، وهي أن الكبير أو القوى يؤلم الصغير.. وأن الصغير أو الضعيف عليه أن يتألم ! وأمضيت وقتاً طويلاً، قبل أن أدرك الحقيقة المصادة، وهي أن الكبير هو الذى يتألم، وأن الصغير هو الذى يتسبب فى الألم. كما نصر صرماً مرحاً... توضع رؤسا فى أوعية الماء الممتلئة . تحلج ملاسنا وتمرق أحسادنا بالسياط.. وكما تقابل كل هذا، صرخة مكتومة مرة . ومطلقة مرة أخرى . ولكنها صرخة عادية فى الحالتين .

والآن أعجب فى بعض الأحيان، لماذا كان يعاملنا الخدم مثل تلك القسوة، ولست راعم. بأن أخلاقاً وتصرفاتنا وسلوكنا كانت فوق الشبهات فى ذلك الوقت، ولكن يبدو أن السب الحقيقى، هو أننا كنا بمثابة عبء ثقيل، ألقي على كواهل الخدم، وهذا العبء كان من الصعب احتماله حتى بالنسبة لأقرب المقربين إلينا!

وله كان يسمح للأطفال أن يكونوا مجرد أطفال فقط، يمرحون ويلعبون ويحققون رغباتهم الصبابة، إذن لكان الأمر فى منتهى الساطة ولكن المشاكل تلت، حينما تحمل الطاقات الشرية، فوق ما تتحمل، وتلقى عليها بصعظ ثقيل، قد يهت الأعباء والعظام. وهكذا كان الحال معنا، كان مطلوباً منا ألا نتصرف كالأطفال، وبحى فى س الطهولة. وبالتالي انحرفت أخلاقاً وشخصياتنا، فأصبحنا عبئاً ثقيلاً على أكتاف المرين والأوصياء. وأنا لا أذكر شيئاً عن هؤلاء المرين والأوصياء، سوى سعالهم وعراكم بالأيدي

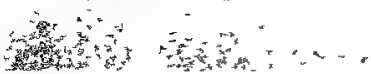
ولكن هناك شحماً واحداً فقط، لارلت أتذكره جيداً إن اسمه إيسوار. وكان يعمل باطراً لمدرسة القرية قل أن يلتحق حادماً فى بيتنا كان رحلاً وقوراً أكثر من اللازم.. يهتم بكل صغيرة وكبيرة من سلوك الإنسان.. وبطاقته بوجه خاص. وكان يبدو كما لو كان غير راض عن الكرة الأرضية ذاتها. إذ أنها لا

تبدو لطيفة كما يود وكما ينبغي . وكان إذا رل إلى الهر ليستحم، ظل يحرك يديه الماء حتى يبدو صافيا، وقد تستغرق هذه العملية منه ساعات وساعات .. وبعدها يتوكل على الله ويضع قدمه في الماء . ولا يزال الاشتمرار يكسو وجهه ! وعندما يمشي في الطرقات، كان يرفع ذراعه على شكل راوية قائمة، ربما، وعلى حد تصورا، أنه لا يثق في طاقة ملاسه ! وعندما كان يتكلم أماما، كانت تخرج الألفاظ من فمه مسقة مستقاه كأنه صاعها من حديقة الانشاء . وكانت تلك الألفاظ تدو ساحرة وقشد، كانت تحلب ألبانا، وتريد من هيئة ووقار الرجل في أعيان . ولكي حينما استعرض تلك الألفاظ اليوم، يكتسى وحيى بحمرة حفيفة . هي السحرية من ألفاظ حديقة الانشاء !

وهذا الباطر، استطاع أن يكتشف طريقة مارة، ليحملها على الأسيات، هادئين، ساكين، مصتين . في كل مساء كان يجمعها حول المصاح الرقي، ويقرأ لها فصولا من الرامايانا والمهابهاراتا . وكان بعض الخدم يضمون إليها في بعض الأحيان، لسماح تلك الفصول

وكاب المصاح، يلقى بأشاح هائلة على الحائط والسقف، بينما تعمل « البورصات »، نشطة، في اتهام الحشرات التي يحدها ضوء المصاح .. والميران تلب وترفص حول الشرفة . ومع ذلك، كما نستمع صامتين، وقد عقدت الدهشة، والمحب الستيا، وبانت على وحوها . ولا رلت أذكر، تلك الأسمية التي أحد فيها « إسوار » يقص علينا حكاية « كوشا ولاقا »، وكيف كان هذان الصبيان يعملان على هدم بح الآماء والأحداد . . لا رلت أذكر تلك الاعمال التي كانت على وجهه، بينما يأحد المصاح الرقي في الحفوت شيئا فشيئا ... فيصح كل شيء .. وكل شخص في المكان ... كأشاح باهتة .

وبعض الأحيان، كانت تبعث تلك القراءات، المناقشات العميقة الحامية بيننا



جميعا، ولكنها كانت تهدأ دائما عندما يتكلم «إسوار» ويبدى رأيه الحاسم في موضوع المناقشة.

وكان معروفا عن «إسوار» إدمانه على تعاطي الآفيون... لهذا كان مغرما جدا بالطعام الدسم. ولكنه كان يحصل عليه في الغالب على حسابا، ومن وحاشا المقررة فقد كان يعرض على كل ما أتاة معية، هي ملعقة أو ملعقتين من طعام كل ما وكما نقل هذا راصين مسرورين، بل كما لا بدأ التهام طعاما قبل أن تأكد من دفع الأتاوة لاسوار

(٤)

وبما كنت تلميذا مقيدا في المدرسة الشرقية الابتدائية، كنت أفتح فصلا خاصا في أحد أركان شرفتنا. وكانت قصصا الشرفة الحشنة، هي تلاميذي؟ وكنت أنا معلم الفصل، أحمل العصا في يدي، وأجلس على مقعد أمام القصص. وكنت أحدد من هم التلاميذ المحتدون ومن مهم الكسالى وكنت أدير في سهولة، الهادى مهم والعفريت. والدكى من العى وكنت الهصا تهمط دون شفقة على التلميذ الكسول أو الشقى أو العى ولكن سرعان ما أهارت تلاميذي الحشية، وكان على أن أدهم تلاميذ من الحديد وكنت يومها لا أدرك، بأن ما كنت أفعله. ليس إلا رد فعل الانفعالات العيفة التي كانت تعمل في نفسى، عن المعلمين والتلاميذ في فترة صاى

ولم أطق صبرا بالمدرسة الابتدائية الشرقية، فقلت بعد شهور إلى المدرسة العادية. وكل ما أتذكره عن تلك المدرسة، أن التلاميذ جميعا، كانوا يصططون في طاوور طويل كل صباح، وينشدون نص الأشعار أو الأعلى، كمحاولة لاثارة الفرح في نفوسهم قبل بدء اليوم الدراسى.

ولكن لسوء الحظ، كانت كلمات الأماشيذ انجليزية، ويدو اللحن أجنيا، لهذا كما لا يهم كلمة واحدة من هذا الذي نردده في أصوات عالية. وكانت تجربتي مع تلاميذ تلك المدرسة، مريرة للغاية. فقد كان أغلبهم شريرا.. من طبقة منخفضة، لا حلاق لهم لهذا لم استطع الاندماج معهم، والحصول على أصدقاء من بينهم. ولعل الاتعاد عن هؤلاء التلاميذ، هو الذي هيا لي الفرصة، للاستدكار الطويل العميق، والتهام كل ما كان يقع في يدي من كتب وكراسات ومقالات

وبعد مرور عام واحد في تلك المدرسة، أديت الامتحان في اللغة النعالية، وكان يمتحنى هو الباديت كاشاساتي وحصلت على أعلا درجة بين كافة التلاميذ. واشتكى المدرس لسلطات المدرسة، بأن المفتحين كانوا يلقبوني الاحانة، وأنهم يحاولون محاماة صريحة ولهذا السبب أديت الامتحان للمرة الثانية، بينما وقف ناظر المدرسة يراقبني. ولكني أظهرت تفوقا في هذه المرة أيضا

(٥)

وكان سي لا يتعدى الثامن في ذلك الوقت. وكان ابن عمي «حيوتي» أكرمى مساء، فاستطاع أن يتعلم الأدب الانجليزية، وأحد يلقي على مسامعي كل يوم أشعار، هملت، بعد أن يحفظها عن ظهر قلب. وحدث بعد ظهر أحد الأيام أن استدعاني إلى غرفته، وطلب مني أن أحاول كتابة بعض أبيات من الشعر، ثم أحد يشرح لي كيفية بناء بيت الشعر المكور من أربعة عشر مقطعا. وكنت لا أنجبل مطلقا، أن محاولتي في كتابة الشعر تنتج شعرا، وصفه ابن عمي، بأنه رصين وبتار.

وفي مساء أحد الأيام، سمعت أن لصا تسلل داخل البيت وأن الخدم قبضوا عليه. واعتزتي مشاعر الفضول والخوف معا، وعزمت على مشاهدة اللص

بفسى. ولكنى وحدته، رجلا عاديا تماما. بل عندما شاهدت نواب البيت، يقسو عليه بالصرع المبرح، امتلأ قلبي شفقة على اللص. ومثل هذا الشعور أحس به تجاه الشعر. ! حتى اليوم، عندما أسطر بعض الكلمات غير عامد، أحدها تتحول إلى شعر مورون. وعندما أجد الشعر المسكين يتعثر مع شعاه أو أقلام بعض الكتاب، أشعر في نفسي إحساس الشفقة الذي أحسست به نحو اللص.

ومد ذلك اليوم، أحدث يدي تخط أبيات مهلهلة من الشعر، على كل ورقة تصادفنى. بل حدث يوما أن وجدت ملها حكوميا هاما، فأحدث أسطر على صفحاته الخليفة، كل ما كانت تسعى به قريحتي من الشعر. وكان حرائى «علقة ساحية، لا أنساها مدى الحياة.

وحدث يوما أن لمح اس عمى السالف الذكر «ماحوبالميت، محرر صحيفة «بيشل پير، قادما لريارتنا فاقنم عليه العرفة، وقال له دون مقدمات. عمى ماحوبال، ألا تستمع إلى قطعة من الشعر ألها رانى؟ ورانى هو اسمى بين العائلة.

وكنت دائما مستعدا لاطلاع أى شخص على شعرى، فقد كنت الكاتب والطابع والناشر، كلها فى أن واحد. وكانت حيونى دائما مليئة بالمخطوطات. وكان أحن هذا هو وحده الذى يقوم بالاعلان والدعاية

وفى سرعة، أحدث ألقى قصيدة «اللومشى، أمام الكاتب والشاعر والصحوى ماحوبال ناو. ولم أكد انتهى حتى صاح: هذا جميل. رائع! ولكن ما معنى دورها؟

وأسقط فى يدي، فقد كنت لا أعرف معنى هذه الكلمة. ولكنى وضعتها فى القصيدة، لضرورة القافية فقط.. وانتم «ماحوبال، كأنه قد فهم. واعتراى

الخلجل . وشعرت بالنعاهة، وقررت ألا أقرأ الشعر أبدا أمام هذا الرجل . ومرت بي
السنون . كنت أحب خلالها ، أحوال ، ، حتى أتى إلى يوما ، وقال لى وهو يتسم :
لقد عثرت فى القاموس على معنى «دويرفا» . إنها الحيلة عندما تسكر من الغسل ...
لقد غاب هذا المعنى عن نالى فشكرا لك . ٩١

(٦)

وكان أحد معلمي المدرسة الاعتيادية . يأتى إلى بيتنا لاعطائنا بعض الدروس
الخصوصية . كان يأس العود . حاف الوجه ، أحش الصوت ، يبدو كرعروعة
القصص وكانت مواعيدته بين السادسة إلى منتصف العاشرة صباحا . وبعده
تحوالت قراءتنا من الأدب الشعبى والعلوم المسطرة ، إلى ملاحم ميغانا وقادا .

وكان شقيقى الثالث . حريصا على أن يمدنا بالمعلومات الموعدة . لهذا كما تعلم
فى البيت ، أكثر مما كما يحصل فى المدرسة . وكان عليا أن يستيقظ قبل الفجر .
فقوم ببعض التمرينات الرياضية السادحة . ثم يقبل على الدرس مباشرة ، يدرس
الأدب والحساب والجغرافيا والتاريخ . وعند عودتنا من المدرسة ، نحد فى
انظارنا معلمى الرسم والألعاب الرياضية . وفى المساء ، كان يهد عليا أعورنا ،
ليعطيا دروس الانجليزية . لهذا كما لا نهرع من الدرس قبل التاسعة مساء . وفى
صبيحة أيام الأحاد ، كما تلقى دروسا فى العناء على يد الأستاذ فيشو . ولم تكده
تمر فترة طويلة ، حتى مات يهد على بيتنا الأستاذ سيتانات دما ، ليعطيا دروس
العلوم الطبيعية . وكنت اهتم اهتماما بالغا بتلك الدروس . وكانت هسى تمتلىء
بالمعجب عندما كنت أقرب أستاذ العلوم الطبيعية وهو يجرى أمامنا بعض التجارب
البيطة .. يفصل التراب عن الماء فى ايوبة الاختبار .. ويرسب المواد المعدنية ،
وتفاعل الأحماض .. وما إلى ذلك . وكانت أيام الأحاد ، لا تبدء كذلك ، إلا
إذا قدم سيتانات بابو ، مدرس العلوم الطبيعية !

وفي بعض الايام كان يأتي لزيارتنا، طالب في كلية طب كامل، فيحدثنا عن عظام الانسان، ويرسم لنا الهيكل العظمي، كما كان يعد علينا من حين لآخر، بانديت تاتواراتا ليعلمنا قواعد اللغة السنسكريتية

وبدأنا نتعلم الانجليزية، بعد أن قطعنا شوطا بعيدا في تعلم السعالية. وكان معلمنا للغة الانجليزية، آغوربانو، يدرس في كلية الطب، لهذا عمد إلى أن يأتي إلينا في المساء.

وتقول لنا الكتب، أن اكتشاف النار، من أعظم اكتشافات الانسانية. وأنا لا أريد أن أتارع في هذا الرأي. ولكني لا أستطيع أن أكف عن التصور. كيف أن الطيور الصغيرة، سعيدة الخط، لأن آباءها، لا يوقدون لها مصاحا في الليل، وأنها لا تتلقى دروسها اللعوية في الساعات الأولى من الصباح وبالطبع يحب علينا ألا نأسف. لسبب عدم إرغامهم تعلم اللغة الانجليزية ومع ذلك، لا أستطيع أن أرعم بأن آغوربانو، كان رجلا فظا غليظ القلب. فلم يكن يعلمنا بالعصا كما كان يفعل غيره. ومهما كانت نواعت افعالاتي، فان مواعده معنا كان في المساء. وكان موضوع الدرس. اللغة الانجليزية. وكفى !..



الطائفة الجينية

إن للحيين فرقا عديدة الأساسية مها هي «ديكامر» و «سويتامر» و «استانكاواسي» . وهناك أيضاً فرق صغيرة محلية ويوجد في جميع هذه العرق الدينية اتحاد أساسي . وقد ساهمت الطائفة الحية مساهمة لا تهاا مها في تراث الهد الثقافي والمقلي وهي تعتبر اليوم من الطقة العليا اجتماعيا واقتصاديا .

وتوحد لهم في جميع مراكز التجارة والثروة في الهد جماعة تشتعل بالتجارة . وقد استوطوا مناطق الهد العرية والوسطى والحيوية . أما في شرق الهد فهم قليلون .

وتلقت أضرار الاحاب إليهم نسب ميرتهم الخاصة فلم معاد وتمائيل فاحرة ومتوحات ودهم حميلة ورهاسهم مهمكون في طلب العلم وممارسة الورع ولرهاسهم هود عظيم على عامة الحيين وهذا الهود يحثهم على أعمال البر والخير مع الناس ، والاحتساب من القتل والدخ لسائر المحلوقات . ويقتصرون على أكل السات فقط

وأحد الحبيون بالعلاحة في شمال الهد ومناطقها المتوسطة ، وبالتجارة في المناطق الأخرى ويوجد في رسوماتهم وعاداتهم اختلاف ، لأنهم معثرون في الهد كلها وقد أهدوا بممات سلمية نسب أصول ديهم الهادئة .

إن الحية مذهب قديم جداً . ويرعمون إن مدهم قد اكتمل على يد أربعة وعشرين من «تارفين» . وظهر العارف الأول «رسابها» في زمن بعيد جداً . ولا توحد تفاصيله وتفاصيل الدين تعوه في التاريخ ، إلا أنها تستنبط من الأساطير

الحرافية . ولكنا لما فصل إلى العارف الأخير حيثنصل بالعهد التاريخي .

وقل حاتم العرفاء مهاويرا، كان «پارسوانات»، العارف الثالث والعشرين لهم . وقد عاش في القرن الثامن قبل المسيح . ويعتبر عدد الحائين العصريين كرحل تاريخي ويوجد له أثر ولو تافه في الكتب العتيقة . فورد أنه كان ابن الملك «اسواسيا» الذي حكم بارس وكانت «واما» أمه الملكة وعاش العارف «پارسوا» مثل عامة الناس كرب البيت لمدة ثلاثين سنة، ثم أحد بالسك، وقاسى مقاساة عيمة في ذلك .

أما «مهاويرا» فيعتبر العارف الرابع والعشرين ويقع عهد مهاويرا بعد پارسوانات بمائتي سنة

ولد «مهاويرا» في قبيلة «بابا» في بلدة «كدگرام» على مقربة من «پتا» في منطقة بهار وكان أنواه من الحكام ولا يحدد ذكرا ما عن رواحه يرعم بعضهم أنه عاش مفرداً . ويقول الآخرون إنه تزوج وكانت له بنت، وترك بينه لما بلغ الثلاثين من عمره وأحد طريق السك . فمارس بالعبادات الشديدة المضنية على طريقة پارسوانات، وصبر على ما لاقى من الصعوبات من قل معانديه حتى أقده العرفان بسب تأملاته الدينية العميقة .

والعرفان الذي ناله مهاويرا، كان عاريا من قيود الرمان والمكان . فامتلاً بحياة دينية فائقة، وأخذ يحول في الأرض ينشر دعوته — الدعوته للحياة من تعاسة الدنيا وكان أساس ديانته وأقدارها الأخلاقية، العناية بـ «الحياة» وشدة إلحاحه على قداسة ذوى الأرواح . وكان يقول إن التعاسة التي تسرت إلى هيئة الاجتماع، هي سبب الأعمال السيئة التي يرتكها الفرد، ولا بد من إعدامها للحصول على النجاة .

كان لمهاويرا صلة بالأسرة الحاكمة في شرق الهد. ولما رأى الناس - وضعهم ورفيعهم - حياته الراقية، رغبوا فيها واستحسوها واحترموا لاجلها. وكانت في دعايته داعية للجميع. وكان اعتقاده بالالاهيات مؤسسا على الحقيقة التي يقلها العقل السليم. وكان فيه تسامح عقلي فكان سهل القول ويسيرا في العمل به. وتشكلت جماعة من متبعيه مشتملة على الراهبين والراهبات، وأرباب البيوت من الصميين. وكانت الجماعة متقة للغاية.

وصرب مهاويرا الأرض لمدة ثلاثين سنة ناشرا دعوته. ولم يمكث خلال هذه المدة الطويلة في محل واحد لأكثر من بضعة أيام، إلا إذا اضطر إليه سبب المطر. وتوفي مهاويرا في «باروا» من أعمال بننا وعمره ٧٢ سنة.

كان العصر الذي عاش فيه مهاويرا وبشر دعوته عصر حيشان عظيم في الفكر الهدى، وفي نفس العصر طهر الدعاة الآخرون كـ «كوسالا»، و«بودا» وغيرهما. واتسع مهاويرا مذهب المشرق «پارسوا» الذي سقاه. وهكذا لم يضطر إلى أن يذهب من معلم إلى آخر ناشدا الحق. فشر دين «پارسوا» ودعى الناس إليه. وترك ورائه فلسفة متارة ومدها مسقا، كما ترك هيكل اجتماعياً متقناً مشتملاً على الناسكين والمعتقدين بمذهبه. وكلهم اتبعوا تعاليمه وقلدوه، واتبعوا تعاليم أصحابه الآخرين.

ولما مات مهاويرا أحسد الرهبان القيادة الدينية في أيديهم. وحصل للدين اعتناء عظيم من الملوك أمثال «سريبكا» بيمى سارا، و«جسدرگيتا»، و«كهاراويلا»، وغيرهم. وامتدت بالتدرج دائرة هوده إلى حوب الهد وغيرها.

وقيل أن «مدرا ماهو» أحد أصحاب مهاويرا ارتحل إلى الجنوب مع جماعة من متبعيه. ومد ذلك تقسم المذهب في قسمين: «ديگامبر» و«سويتامبر». وكان هك تناقص في ما بين الرهنة منذ زمن قديم ولكن كان ذلك في مسالك

لنفسك والتقشف — إما زائدة في العف أو ناقصة فيه . وتولد التقسيم أولاً في الزعماء، ثم من العامة أيضاً . وبقي الفكر الديني الأساسي على حاله، واحتلوا في عتقادات بسيطة، وفي تفاصيل الأساطير، وممارسة التقشف.

إن تسك الحبيبين وورعهم حذب إليهم أنظار الملوك والملكات، والوراء، بقيادة الجيش، والتجار، والأعياء.. فالوا إليهم واعتنقوا طريق حياتهم . من الملوك من تمسك بديهم بالولع والاخلاص كملوك حوب الهدد وگجرات. فكان هود الزهان عظيم لديهم وفي ابتداء العصور الوسطى حصلت للحبيبة رعاية خصوصية من السلاطين أمثال حجا، وكدما، وچالوكيا. ولععض ملوك اشتراكوتا الدين أنفسهم كانوا حبيبين، حصة بالغة في الاعناء بالهوان الحبيبين. لترقت فوسهم اللطيفة تحت رعاية هؤلاء الملوك.

ويحط في سلك هذا العصر جماعة من الشعراء البارزين والمصنفين العظام. توحد في ابحاراتهم الأدبية راعة العلم. ولهم أهمية عظيمة في الأدب السكربتى، يروكرتى، وأبارمسي، وكسارى، وفي علوم أخرى فرعية كالحساب والحو.

وبعد سقوط امراطورية ويحانكر، بقى في الحوب حكام صغار من الحبيبين إلى أن طهرت سلطة الانكليز وترعرت الحبيبة تحت عناية التجار الأعياء في گجرات. وحصل لهم رعاية خصوصية من ملوك گجرات، لاسيما رعاية الملك سدراج والملك كاربلا فرأت الحبيبة في دورهما أياما سعيدة. وعظمة الفنون اللطيفة والأدب الحبي في گجرات رهية لها.

وفي عهد كاربلا بدأ دور حركة أدبية في گجرات. فشأ في دوره العالم لشهير هياكندرا وسدة من علماء آخر، وهؤلاء هم الذين أوقدوا الحركة الأدبية ابتداء الأمر.

وفي دور حكم المسلمين حصلت لهم العزة والاحترام وأيضاً استخدمهم الملوك

المسلمين في دعاية الأمر والسلام. وإن كانت هاك معاكسة لهم في بعض الأقطار، ولكنها على نطاق صق حداً.

وخلع الامراتور أكبر على المعلم الحبي هيراويجا لقب «معلم الدياء»، ومنع دبح الحيوانات أيام عيد الحبيين في الماطق التي أقامت بها الطائفة الحبية، وكان ذلك ساء على طلب هيراويجا.

وحصلت العائلات الحبية العليا على هود عظيم في الديوان الملكي المغولي في دهلي وأحمدآباد وكان ذلك سبب علاقاتهم التجارية وثروتهم الطائلة

وفي مناطق راجبوتانه فار الحبيون بوظائف مهمة فكان مهم قواد الحبوش والورراء وقد بررت مهم شخصيات عظيمة في تاريخ راجستان في عهد راجا برتاب وتوحد آثار هود الحبيين في راجبوتانا إلى يومنا هذا، فيسكن فيها عدد كبير من هؤلاء.

واشتغلت بعض أكار الحبية في الماليات. فكان مقامهم مقام السوك الأهلية أيام شركة الاعلير في الهند. فذلك حصل لهم هود واسع في نظام المملكة

تبرع الحبيون في الفنون اللطيفة الهندية وحيث أن رهاهم احتاحوا إلى محل السكى والعادة، فبوا عمارات ومعابد فاحرة واستعملت الكهوف والمعابد الحبية للسكى والعادة

وقد بحت الكهف «هاني گسا» في منطقة أوريسه في القرن الثاني قبل المسيح. والكهوف الحبية ممتدة في مختلف جهات اللاد فتوحد في مدورا، وندامى، وتيرا، وابلورا، وكليان گره، وياسك، ومكي تنكي، وگيرار، وأوديا گيرى، وفي محلات غيرها والحبيون مولعون بتعمير المعابد. والمعد ضرورى للجتمع الحبي، كما أن تعميره فرص ديبى لديهم، ويعتبر عمل ورع وتقوى.

من أخبار الهند الثقافية

إن آثار الفساد التي كانت قد ظهرت في الشجر الودى مؤحراً كانت سبب الحشرات، وقد عالجها القسم المختص بعلم الحشرات التابع لحكومة بهار، فعاد هذا الشجر المقدس إلى سيرته الأولى

* * * *

قدم المستشار الثقافى للسفارة الإيطالية الروفيسور ايپوليتو (Ippolito Galante) قصيدة لائبية عن المهاتما غاندى مصحونة بترجمتين هندية وسنسكريتية. قدمها في احتمال أقيم بدلهى من حاب بلدة دلهى، وقد تحت هذه القصيدة تحت النخال الروورى للمهاتما غاندى الذى اراح ستاره الدكتور راحدر برشاد مد سين مصت.

* * * *

يقول تقرير أصدرته وكالة تاس الانباء في يو دلهى انه عثر خلال التنقيبات في دكريريا، في أواسط آسيا على معبد يودى يعود تاريخه إلى القرنين السابع والثامن لليلاد. وهو أول معبد وحد من نوعه حتى الآن في ذلك الجزء من العالم. وقد كشف التنقيبات الأخرى التي أجريت في ذلك المكان عن عدة تماثيل حربية لودا قائمة على كيرتين عاليتين في مدخل المعبد، كما أنه وجدت قطع صغيرة لتماثيل كبير لودا، وكذلك أكتشف مصنع لانتاج التماثيل الحربية لودا، وآثار الصور الرحوية للشجر الودى.

* * * *

وكشفت التنقيبات عن مكان بالقرب من شرق دبتنا، تدل الإشارات على

أن هذا المكان كان معملاً في القرن الثامن قبل الميلاد حتى السابع عشر للميلاد، ومن بين الأشياء التي عثر عليها في هذا المكان، بلاطات جامدة، وأواني خزفية يعود تاريخها إلى القرنين السابع والخامس قبل الميلاد، وكذلك وجد هناك آثار للمباني الآخريّة التي بُنيت في القرن الثاني والخامس للميلاد. ومصع مصقل لانتاج الأواني الفخارية والأواني الخزفية ورهر عاحي وغيرها من أشياء مختلفة.

° ° ° °

وفي التقيسات التي أُحرِيت في ملاري، وهي قرية ترتفع عن سطح البحر ١١,٢٥٠ قدم وتقع في مقاطعة كزهوال، وجد مكان قديم تدعى حث الموتى ساحدين يشمولى الأحجار المحوتة والأواني الخزفية لوصع المأكولات وتبدو هذه الآثار الهيكلية قديمة جداً حتى أنها تكسر بلبس حصيف، وعسى أن تلقى هذه الآثار صوماً على تاريخ هذه البلاد خلال القرون المسيحية.

° ° ° °

والتقيسات التي أُحرِيت في اتار راديش من جاب القسم المختص بالعلوم الأرضية، تلقى صوماً على أنواع مختلفة لحرفة الإنسان وانتاجه مد ألف سنة قبل الميلاد. ويظهر من الرسوم التي وجدت على الأواني أنها تتعلق بالعهد الآري القديم وتدل الآثار والأطلال للمباني التي شيدت في عهد كوشن (Kushan) في القرنين الأول والثالث للميلاد، على أن البيوت كانت تنى بأحسن طريقة ونظام وترتيب بالآخر.

° ° ° °

وفي التقيسات التي أحرأها قسم العلوم الأرضية لحكومة الهد في اجين مدهيا نهارت، وجدت بعض الحصون التي شيدت في القرنين السابع والثامن قبل الميلاد، ويبدو أن هذه الحصون كانت لصيانة الأهالي من خسائر الفيضانات في نهر سبرا (Sipra).

THAQĀFATU'L-HIND

(INDIAN CULTURE)

PUBLISHED QUARTERLY

III

MARCH JUNE, SEPTEMBER and DECEMBER

CONTENTS

Subjects	Contributors	Page
1 The Aryans in India Rigvedic Civilisation		2
2 Cosmic and Cosmogonic Myths of the Hindus		31
3 Childhood Reminiscences of Rabindranath Tagore	by Anwar Shata	51
4 The Jainas		66
5 Cultural News of India		71

ANNUAL SUBSCRIPTION Inland Rs 8 Abroad Sh 8 **SINGLE COPY** Rs 2

INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS
PATAUDI HOUSE, NEW DELHI 1

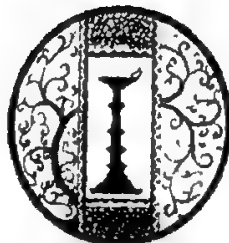
PRINTED AT **Q** PRESS BY

KHALEEL SHARAFUDDIN, 29 MUHAMMADALI ROAD, BOMBAY 3 AND PUBLISHED BY
MR I R KHAN
SECRETARY INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS PATAUDI HOUSE, NEW DELHI 1

THAQĀFAT'UL-HIND

(INDIAN CULTURE)

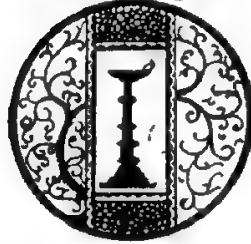
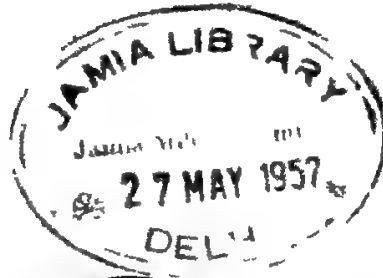
***A QUARTERLY ORGAN OF
INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS***



SEPTEMBER 1956

ثقافت الهند

بصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية



ديسمبر ١٩٥٦

ثقافة الهند

تصدر أربع مرات في السنة مارس، ويوليو، وسبتمبر، وديسمبر

الاشتراك للسنة في الهدى ثمانى رويات في الخارج ثمانى شللات
ثم العدد الواحد رويتان

تطلب من

مجلس الهدى للروابط الثقافية، بتودى هاؤس، دلهى الجديدة عمرة ١

مطبعة "ق" الهدى

لصاحبها خليل شرف الدين، ٢٩ شارع محمد علي، ممباى ٣

طبع تحت ماسر مجلس الهدى للروابط الثقافية

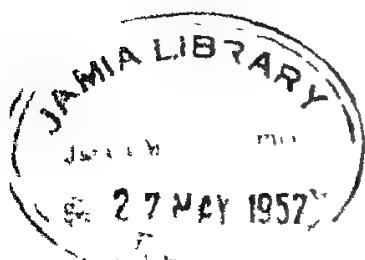
ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

المجلد السابع ديسمبر سنة ١٩٥٦ العدد الرابع

محتويات هذا العدد

صفحة	
٢	١ آمار الاسلام العامية و الهند
٢٣	٢ الأمانى الشمنة لطائفة و ما بلاه
٣٧	٣ مؤتمر يوبسكو الممقد مدلى الحديده
٦٧	٤ العلم والديموقراطية والاسلام
٩١	٥ المجلس الهندي للروابط الثقافية
٩٦	٦ من أحوار الهند الثقافية



آثار الاسلام الثقافية في الهند

لقد تطورت الحضارة الهندية الحديثة نتيجة أعمال كثير من العناصر والمذاهب وتفاعلها مما بحيث يصعب كثيراً القول أى مظاهرها كان من جراء أثر بالذات. ولعل أصعبها جميعاً في التقدير هو الاسلام، إذ أن مختلف غزوات المسلمين في الهند أنت بأناس قلائل نسبياً من عنصر غريب إلى الهند. وحتى عندما قرراى «بار، العظيم واستعد لغزو الهند في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٥٢٥، وهو في كابول، لم يأخذ معه سوى ١٢,٠٠٠ من المحاربين والتجار. فان الأغلبية العظمى من الثمانين مليون مسلم أو أكثر في القارة الهندية الدين يشكلون اليوم ربع السكان ينحدرون من أصل هندوسى. ويحتفظون بسميزات معينة عامة باللغة للمزود كجموع. ومع ذلك فان المسلمين إذ جاؤا فاتحين وحكاماً وبعثات تبشير قد تركوا في الهند وخاصة في الشمال منها أثراً كذا حتى أنه ليرامى لكثيرين من الاوربيين والأمريكيين أن طريقة المعيشة وفى البناء في الهند لا بد وتكون إسلامية.

إن الثقافة الاسلامية في الهند بجمعها بين حضارتين قد أدت دوراً خاصاً إلى العالم الغربى ولبقية العالم الاسلامى. ولقد كان لعملية الجمع بين حضارتين أهمية خاصة طريقة، وهناك فقرة في مؤلف السير جون مارشال «تاريخ الهند، نصف جيداً تأثير الثقافتين الاسلاميه والهندوسية الواحدة على الأخرى، فيقول: «إن صلة الاسلام الأولى بالهند بدأت في النصف الثانى من القرن السابع وبداية القرن الثامن من عهد المسيحية عن طريق السند وبلوخستان، فان العرب الذين فتحوا السند وظلوا هناك قد تركوا أثراً مستديماً على عادات الناس وطبائعهم. وجاء فيما بعد سيل آخر من المسلمين إلى الهند عن طريق الحدود الشمالية الغربية. وكان عنصرهم

وثقافتهم مختلفاً عن الغزاة العرب الذين أتوا إلى الساحل الغربي. فإن مثل مختلف القبائل والسلالات في آسيا الوسطى الذين استثمروا بحر الإسلام واعتنقوا العقيدة بدأوا بسلسلة طويلة من الغزوات في الهند. ويتضح على أى حال أن غزوات كالتى جردها تيمورلنك ومحمود الغزنوى لم تكن ليحسب لها أن تؤتى ثمرات ثقافية ملحوسة أو لتترك آثاراً كثيرة دائمة لعودها. إن هذه الصلات لم تدم طويلاً ولم تهيء فرص إقامة علاقات وثيقة بين سكان اللد والزوار غير المرغوب فيهم من الشمال بل بدأت الاتصالات الحقيقية عندما بدأ المسلمون يستوطنون في البلاد على أنها موطنهم الثانى.

لقد سبقت عدة سلالات من ملوك المسلمين تأسيس إمبراطورية المغول في الهند، ولا شك أنها ساهمت كثيراً في تطعيم حضارة البلاد القديمة بالثقافة الإسلامية، ولكن المادة المتوفرة ضئيلة جداً لوضع تقدير محدد للصيب الذى قدمته. ولا بد من حصر الاهتمام بصورة رئيسية بالعهد المغولى الذى كان أكثر ما ساهم في تنمية الثقافة الهندية - الإسلامية.

إن بعض آثار النفوذ التى أتت إلى الهند عن طريق المسلمين ربما لا تكون من عناصر الإسلام الأساسية عندما نبتت في الأصل في شبه الجزيرة العربية، ولكنها أصبحت تفرق بها على مر الأيام إبتداء من زحفها من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد فارس وآسيا الوسطى. وكان لايران من بين هذه البلدان أثر غالب على الإسلام وعن طريقها على الهند. فلقد فتح العرب بلاد فارس، ولكن الحضارة الفارسية تركت أثراً عميقاً عليهم حتى أن الآداب واللغة الفارسية أضحت جزءاً ضرورياً من الثقافة الإسلامية في كثير من الأراضى الشرقية. إن سلالات آسيا الوسطى التى أتت إلى الهند وأسست ممالك فيها قد جاءت متأثرة بالآداب الفارسية قبل أن تصل إلى الهند، وكانت النتيجة أنهم اتخذوا الفارسية لغة

البلاط والأدب. وفي عهد المغول أقل المسلمون وغير المسلمين على تعلم اللغة الفارسية تشغف. والهندوس بما لديهم من مقدرة فائقة على الاقتباس في الشؤون الفكرية، استساعوا الأدب الفارسي تماماً كما هم مقلون الآن شوق على دراسة اللغة الانجليزية وآدابها، وقد أخرجت مناطق الهند الشمالية أمثلة كثيرة لمائة لأساندة هندوس في الفارسية تمكوا من اتقان اللغة في الثر والشعر على السواء. وقد امتازت طقتان من الهندوس بصفة خاصة في هذا الميدان وهما طبقة الكشميريين الملقبين باسم بانديت، وطبقة الكااستا. وقد نشر مؤخراً مؤلف ضخم يتضمن مختارات من الأشعار الفارسية نطمها أساندة من كشمير.

ولقد كان أفضل أثر لفكرة الاسلام الاحلاقية على المثقفين من الهندوس في تلك الحقبة من الزمن هو عن طريق الفارسية كواسطة تعاقم تأثرت هي الأخرى بدورها إلى حد كبير باللغة العربية وكتب التعاليم المقدسة التي طهرت في عهد الاسلام. والنتيجة العظمى لهذا الأثر النمو التدريجي للاعتقاد المتسع في وحدانية الله ونمو العقائد التوحيدية المحلية. والنتيجة الثانية البارزة هي خاق لغة محلية جديدة سميت «الأردية» وهي مزيج من الفارسية والهندية والتي أصبحت على مر الزمن أكثر لغة شائعة الاستعمال في الهند.

لقد كان لهدين الفبودين آثار بعيدة المدى في الماضي، ولها إمكانات هائلة في المستقبل، ولهذا يتطلبان بحثاً مطولاً. أما الآثار الأخرى فهي أكثر من أن تسرد بالتفصيل إذ أنها تشمل دائرة بالغة الاتساع. فالت تراها في طراز الماني والبيوت وفي الموسيقى، والرسم، والحروف، والعنون، وفي الهندام، والألقاب، والرياضة وبالاختصار في حياة البلاد بأسرها... وعلينا الاقتناع بأشارات عابرة إلى هذه التذكارات من الامتزاج السعيد لثقافتين اختارت يتابعهما منذ أمد بعيد سلوك طريق مشترك.

فلنلق أولاً نظرة على الفكرة الدينية . وأنا لواجدون أغلبية عظمى من المثقفين في الهند، وحتى غير المسلمين، يؤمنون بالله واحد مبدع الكون وحافظه لا ند ولا شريك له، ومع أن هذا الاعتقاد موحد في جميع الأديان العظمى في العالم على الأغلب في شكل من الأشكال، فلا يمكن الإنكار أنه ليس ثمة عقيدة أخرى أعطته حقه من التوكيد كما فعل الاسلام . وعلينا أن نذكر أن أنظمة المعتقدات السائدة بين الهندوس أبان ظهور المسلمين قد انجرفت بعيداً إلى حد كبير من نقاء المذاهب الأصلية في الكتب المقدسة القديمة، واستفيض عنها بأشكال وتنية مختلفة للعادة . وقد تبدلت الأمور الآن كثيراً حتى أنه رغم احتفاظ الهندوس المستقيمين حتى اليوم بأوثان في معادهم فإن نظرتهم إلى عادة الأوثان تختلف كلية عما كانت عليه من قبل . فإن المتعلم والواعى مهم يصرح أن الأصنام يقصد منها فقط أن تكون عوياً على تركيز الفكر، وأن أولئك الذين يترامى لهم أنهم يعدونها، هم في الحقيقة يعدون الخالق الذي يستحق العادة وحده . وفي هذه الحالة المتدلة كثيراً يمكن تنع أثر الاسلام بسهولة، مع أن أثر المسيحية في الأزمنة الحديثة كان قوة عظيمة أخرى تعمل صد الحرافات وعادة الأوثان . وما يحذر ذكره أيضاً أن قوى رزت داخل الهندوسية نفسها لمقاومة الميل إلى عادة الأصنام أو الانقياد للكهنه دوى الطرق . فإن مؤسسة « آرياسماج » التي أنشأها المرحوم « سوامى دايا بدا سارسواتى » في البحاب في النصف الثانى من القرن التاسع عشر يمكن ذكرها، على أنها أكبر مثال على خروج الهندوسية على عادة الأوثان . وهذه الحركة تشير إلى إحياء العقيدة العيدية القديمة . ومع أنها تتخذ أحياناً موقف المحارب نحو الاسلام كى تقف أمام نفوذه، غير أنه من الجلى أن بعض اصلاحاتها تسير على أسس موازية لتعاليم الاسلام . هى فضلاً عن استنكارها عبادة الأصنام تكرر الكهنه وتسمح لاتباع الديانات الأخرى باعتناق مذهب « آريه » وتوصى بتزوج الأراامل، الأمور التي لا تتيحها الهندوسية .

وفضلاً عن مدلول هذه الأفكار الإسلامية التي أثرت تدريجياً وبصورة غير منظورة على أنواع الفكرة الدينية في الهند، فإن الإسلام كان له تأثير مباشر في إبعاد نظم العقيدة التوحيدية في الهند، فالديانة السيخية التي أسسها القديس «كوروباناك»، هي مثال بارز لهذا التأثير. فقد آمن هذا القديس بوحداية الله بمس القوة التي يؤمن بها أي مسلم ورعب في تلطيف الخلافات بين الهندوسية والإسلام. وكتاب السبح المقدس «كرات صاحب» يحمل شاهداً على أن مؤسس الديانة أحب الله وأحب أقرانه الرجال وخص إلى العربي وآخرين من أئمة المسلمين باحترام عظيم وقد نشر شخص سيحي معروف يدعى سردار «ام راوسنج» في الآونة الأخيرة كتاباً يدل بوضوح على معتقدات المسلمين والسبح الأساسية كميرة الشبه الواحدة إلى الأخرى. وهذا الكتاب هو ترجمة فارسية لمؤلف «سوكاني» وهو حرره من كتاب السبح المقدس. وكل مقطع فيه ينص بمحبة الله وقد عثر سردار «ام راوسنج» لحسن الخط على المخطوط الفارسي لهذا الكتاب في المكتبة الوطنية في باريس وسخاها. وقد حمل السحرة إلى الهند وتمت كثيراً في مقارنة الترجمة بالأصل وتحريرها بعناية. ومن سوء الحظ جداً أن السبح والمسلمين نظراً لقلة احاطتهم التامة وعدم تقديرهم بمعتقدات بعضهم قد اتعدوا كثيراً الواحد عن الآخر.

وثمة شاعر ديبى آخر عظيم يحدر ذكره في هذا الصدد يسمى «كبير» فكان خير مبشر للحركة المعروفة باسم «بهكتى» فإن هذه الحركة كما ذكر أحد الكتاب حديثاً لا ترى فرقاً بين «رام» و«رحيم» وبين الكعبة و«كيلاش»، وبين القرآن و«بوران». وتوصلت إلى أن كارما (العمل الصالح) هي دهارما (الدين). وأن مبشرى هذا المذهب، وهم رامانايدا، وكبير، ودادو، ورامداس، وناناك، وشيتانيا، الذين اشتهروا في مختلف أنحاء الهند وبشروا بمبادئ وحدانية الله كانوا متأثرين

إلى حد كبير بالاسلام . ثم إن « كبير » نفسه كان اسما لوالدين مسلمين .

اللغة والأدب والهندي

إن اللغة الأردية هي رهان آخر على وحدة الثقافتين الاسلامية والهندوسية مع أنه غريب وحوود ميل في بعض الأوساط للظن إليها كشيء مستورد من الخارج يمكن التخلص منها على أنها لغة أجنبية . وهذا الرأي الخاطيء هو نتيجة لقلّة المعلومات عن منشأ اللغة وأصول تطورها . وما يبعث على السرور أن نلاحظ اعترافا متزايداً بقيمتها حتى في مناطق تسود فيها لغات إقليمية ، والفقرة التالية التي نقتطفها من مقالة كتبها السيد « ايل تشاندرا ناراي » حول الأدب الهندي - الفارسي والمساهمة التي أداها إليه الشاعر الشهير « أمير خسرو » من دلهي تتضمن رأي كاتب هندوسي مصنف بالنسبة لمكانة اللغة الأردية في ثقافة هذا القطر فيقول : « إن كل انتاج على الأعل في الأدب الهندي - الفارسي يشمل عدداً كبيراً من الكلمات الهندية الأصل وآلاف كلمات فارسية أصبحت من صلب كل لغة محلية هندية . إن هذا التمازج بين الأفكار والكلمات الفارسية والعربية والتركية مع اللغات والمعتقدات السنسكريتية الأصل شيء يتمتع حقاً من وجهة النظر الفلسفية ، وهذا التماسق غير المعروف ساهم في أصل اللغة الأردية الجميلة . وتلك اللغة في حد ذاتها ترمز إلى التوفيق بين أنواع الحضارات المتعادية التي لم يتم توافيقها حتى الآن والتي تتمثل في الهندوسية والاسلام » .

وهكذا فإن اللغة التي نشأت بمجهود المسلمين والهندوسيين محتمة تفخر الآن بأدب واسع وحافل نوعاً ما ، يمكن اعتباره تراثاً عاماً لكليهما ، وهو يكتسب في كل يوم قوة وأهمية .

إن أدب الأردية غني في الشعر ، ولا بد من الاعتراف في أي حال أن الشعر بالأردية محصور إلى حد كبير ضمن نطاقه في الماضي ، وأن الجهود تنذل في

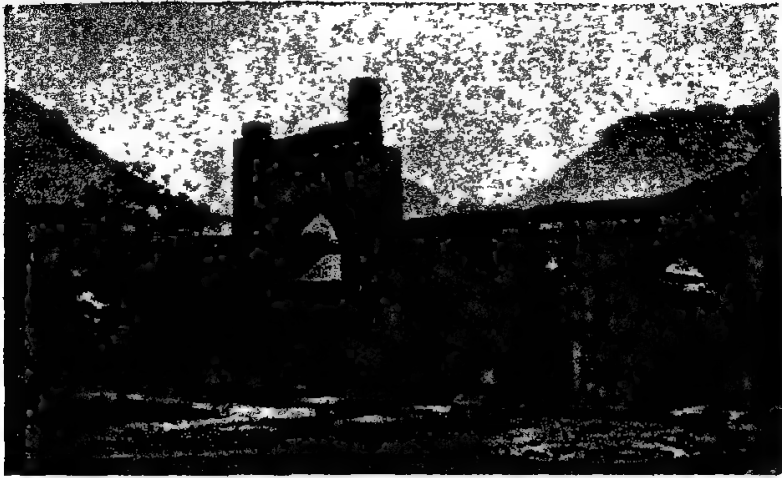
الآونة الأخيرة فقط لتوسيع ميدانه. فقد كان «الغزل» هو أشهر أبوابه ويتألف من أفكار عابرة شاردة عن مواضيع كهده مثل الحب والجمال والآداب. وكان كل «بيت» بنفس الوزن ونهايتها متسقة الواحد مع الآخر. وقد وجد هذا الطراز من الكتابة تعلقا كبيرا به بين المسلمين وكذلك الهندوس. وإنك لتجد في قصائد الغزل في دواوين كثيرين من الأدباء البارزين درراً أدبية تقارن بأفضل إنتاج أدبي في لغات أخرى مع أن الجزء الأعظم من هذا النوع من الشعر لا يمكن أن يصح مثالا. ومن ثم أدرك بعض شعراء الصف الثاني من القرن التاسع عشر الدين تفهموا حدود الغزل وعيوبه، الحاجة إلى إصلاح أدبي. وفي دلهي كان الشاعر «عالم»، أول من أدرك هذا، ولكن الخط حالف تلميذه النقيب «حالي» كي يبدأ بالإصلاح. فأنشأ مدرسة جديدة في الأشعار الأردية كان لها أتباع كثيرون بين معاصريه ومن خلفوه. وفي لكناو ابتعد الشعراء العظميان «ايبس» و«ديبر» عن الأسلوب العادي في الشعر فكتبا رثاء عن استشهاد الامام حسين. وقد أضاف ايبس وديبر ثروة طائلة إلى أدب الأردية وصقلوا اللغة الأردية إلى حد عظيم. ومن الشائق أن نلاحظ أن هذين الشعارين البارزين لم تكن عظمتهما كشاعرين فقط بل لما أيضا للآثر البديع الذي تركاه من إتاحتها. فقد جمعا من الانشاد فما كان حتى ذلك الحين تقليدا، ولكنه لم يصل حد الابداع حتى الآن في الهند. وقد اعتاد الهندوس والمسلمون من جميع الطبقات التجمع بأعداد هائلة للاستماع إلى أشعارهما وهذا أدخل الوفاق الثقافي بين الطائفتين ولا تزال حتى الآن متعة. والآثر الملحوظ لهذا النوع من الأدب أن كبار الكتاب الهندوسيين اقتبسوا أسلوب الرثاء لتصوير قصص «الرامايانا» الساحرة فيما يتصل بتضحيات البطل «راما» حين قام بواجبه الورع، وجهه الخالص لأخيه «لکشمن» و«سيتا» زوجته. إن جاوالا برشاد وبانديت بريج نارايان هما بين الكتاب الهندوس الذين أقتنوا استعمال أسلوب الرثاء الذي ابتدعه الشعراء

الكبيران المذكوران. إن هذه الإشارة إلى مدرسة أدب الأردية في لكناؤن تكمل بدون ذكر « فسانه آزاد » وهو من القصص الخيالي الرائع في الأردية كتبه المرحوم بانديت راتان نات الذي يحتل مكانة فريدة بين الكتاب الناشئين في الأردية. فقد أعطى صوراً دقيقة لحياة الفنى والعقير في لكناؤ. وفي كتابه هذا وكذلك في كثير من مؤلفاته الأخرى يظهر بوضوح أثر الأدب الإسلامى الذى توسع فى قراءته.

إن التنافس بالأشعار وإلقاء القصائد هو من مظاهر الأدب المعروف لدى المسلمين فى الهند، وهذه المسابقات فى الأشعار، وتسمى « مشاعرة » تعقد عادة للحكم على المتفوق فى نظم قصائد العزل فى قافية معينة. ويلقى الشعراء المشتركون فى المباراة قصائد من نظمهم. وليست العادة المألوفة فى المماريات الشعرية بين الطبقة العليا أن يعلى المحتمعون أو الرئيس من الذى كسب جائزة السق، بل أن الجمهور فى معظم الأحوال لا يترك فى شك حول أفضل قصيدة، إذ يظهر الاتجاه فى الرأى من الإعجاب الذى يديه عالياً المستمعون أو من تعابير الاستحسان التى يفوه بها من هم فى مركز على إصدار حكم فى معرض إلقاء القصائد. ومع أن هذه المظاهرات الأدبية لا تتميز بالهرجة التى تمتعت بها فى الأيام الحوالى، غير أنها لا تزال شائعة نوعاً ما، وعالياً تجمع مما أناساً من مختلف الطبقات والطوائف من يستطيعون نسيان خلافاتهم مؤقتاً فى إعجابهم بالأدب العام.

❦ فن الباء ❦

أما فن الباء فكان من فروع الفن دائماً أشد ما اجتذب اهتمام المسلمين. وإن رسم الأشخاص والحيوان كان موضع عدم التشجيع على أساس دينى خلال الفترة الأولى من الهداية والتوسع الإسلامى، ودام ذلك قروناً عديدة فيما بعد. ففى الهند كان بناء المساجد والمقابر والقصور من أعظم مميزات عهود الحكام المسلمين.



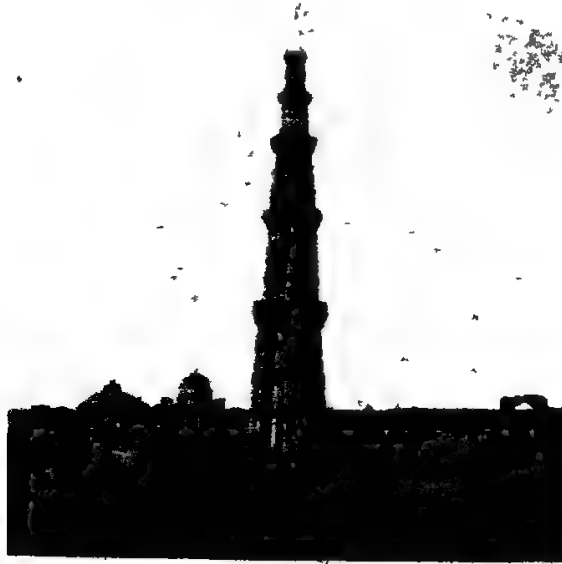
أجلون: المسجد الكبير

سنة ١٢٠٠ م.

الأوائل، وهذا فتح آفاقاً واسعة لأولئك الصائين الدين قدموا من أنحاء أخرى في آسيا، وكذلك لأصحاب الحرف المحليين الذين عملوا تحت إشراف المسلمين وإلهامهم. وقد وجدوا محرراً لسوغهم الهى في رسم الأشكال الديمة على الجدران بالأحرف والاحسام وتنمية التناسق والتناسق في الأبنية، وهكذا أصبحت الأضرحة والمساجد وحيا للعساين في كل شكل من العس. وقد وهبوا من كل حزة من البلاد ليأخذوا صور هذه المانى وقد سحت رسوم الأرهار التى زينت حدران هذه المانى ونقلت للنظير والمسوجات. وليس في الامكان تقدير المدى الهائل لقيمة تلك المباني التعليمية في تكوين الأدواق وتميتها ومستوى فن الحت وحقل ملكة الخيال لدى ملايين الهنود في جميع أنحاء شمال الهد والنعال والدكن، إن كان المجتمع الهدى يتجه نحو جعل الانتاج الفنى معتمدا على الرعاية المستمرة من قبل الحكام وكبار الموسرين. وهذه الرعاية تمكن المغول وإلى مدى أقل الحكام المسلمون الأوائل من نهضة علم باتوا فقط بأفكار جديدة بل جاؤا أيضا بدافع

مؤلفه « تاريخ إمبراطورية المغول » على نفوذ الأباطرة على ندمائهم ومنهم على الهند بأسرها. فقد عرض « بار » ذوقاً رفيعاً في الرسم، ويقال أنه أحضر إلى الهند معه تحفاً مختارة من الرسوم التي استطاع جمعها من مكتبة أحداده من سلالة تيمورلوك. وقد نقل بعضها إلى إيران نادرشاه بعد غزوه الهند واحتلاله دلهي، ولكنها طيلة بقائها في الهند تركت أثراً عظيماً وخلقت دافعاً حديداً للفن الرسم في الهند.

ولكن « بار » كما نعلم لم يعمر طويلاً كي يعد مشروعاته لأعمار الهند، وكذلك كان حكمه هماً يون أيضاً غير مستتب بوعاً ما وترك لحلال الدين أكبر، حميد بار أن يوصل إلى حد الاتقان الولع بالفن الذي ورثه. وبرز على أنه راعية عظيم للفن في كل فروعه وروى أبو الفضل وزير أكبر المعروف أن الإمبراطور كان له أكثر من مائة مصنع للمصنوعات والحرف ملحقه للقصور الملكية وكل منها كمدنية. وقد كتب السيد عبد العزيز من الكتاب المعاصرين في مؤامره عن حكم



دلهي : قنبل مینار

الامبراطور أكبر يقول : « لقد بنى مصنعا قرب القصر حيث كان كذلك استوديوهات وعرف خاصة للفنون الأرفع وأكثر شهرة ، مثل الرسم والصبغة وصاعات الأقنعة المركشة والسحاحيد والستائر والأسلحة . وها كان يتردد كثيراً ويترك العنان لعقله بمراقبة أعمال الدين يمارسون تلك الفنون » .

وقد حدا حدو الامبراطور أكبر في رعايته للفنون انه « حهابكبير ، الذي كان هو نفسه مولعا بالرسم ، وتباهجها كان أيضا رجل فن فقد شجع اهتمامه الشخصي بدماءه أن يقلدوه ، وهكذا تعلق بهودهم إلى أولئك الذين كانوا على صلة بهم . وكان هذا الميل قويا بصفة خاصة بين السلاء في بلاط المغول الذين كانوا بمثابة وكالة تنقل مهم المثل العليا في الرسم والآداب والعادات إلى الطبقات الدنيا ، فكان الناس على دين ملوكهم في عاداتهم وطاعهم وأفكارهم وميولهم وأدواقهم كما قال الكاتب عبد العزيز نقلا عن كتاب : الآب موسيرات » .

إن مميزات الرسم وخصائصه تحت رعاية المسلمين خلال عهد المغول كانت موضوعاً لعدة رسائل ومقالات ، وقد بحثت قيمتها كمعول للتاريخ في محاضرة ألقاها السير توماس اربولد أمام جمعية الفنون الملكية . ويوجد عدد كبير من النماذج الديعة في مختلف المتاحف الأوروبية . ففي المكتب الهدي بلندن والمستحف البريطاني وبودليان في اكسفورد تحف ديدة بادرة للفن يصعب على العالم العربي اعطاها حقها من التقدير ، البالغ الروعة .

ويتصل من الرسم اتصالاً وثيقاً من تزيين الكتب . وهذا لقي تشجيعاً كبيراً تحت تأثير الاسلام في الهد . فان المسلمين الذين استطاعوا ذلك رغبوا في زحرفة القرآن الكريم ومخطوطات ديدة أخرى أو كتب الأدب القديم بجواش دهية على كل صفحة وتجليد الكتب ورخرتها بالذهب . وقد اقتبس ذوق اقتناء كتب كهده الهدوس أيضا . فان الفنانين من كلا الطائفتين وجدوا لذة وربحاً

من تزيين الكتب العربية والفارسية والسكريتيّة .

أما بعدد موضوع المخطوطات اليدوية فيمكن القول أن المسلمين هم الذين أحضروا الورق إلى الهند . وكان هذا مساهمة هامة جداً في تقدم العلم والمعرفة . ويبدو أن صنع الورق جاء في الأصل من الصين إلى آسيا الوسطى . وكانت له صناعة هائلة في سمرقند ومن هناك أتى الورق إلى الهند .



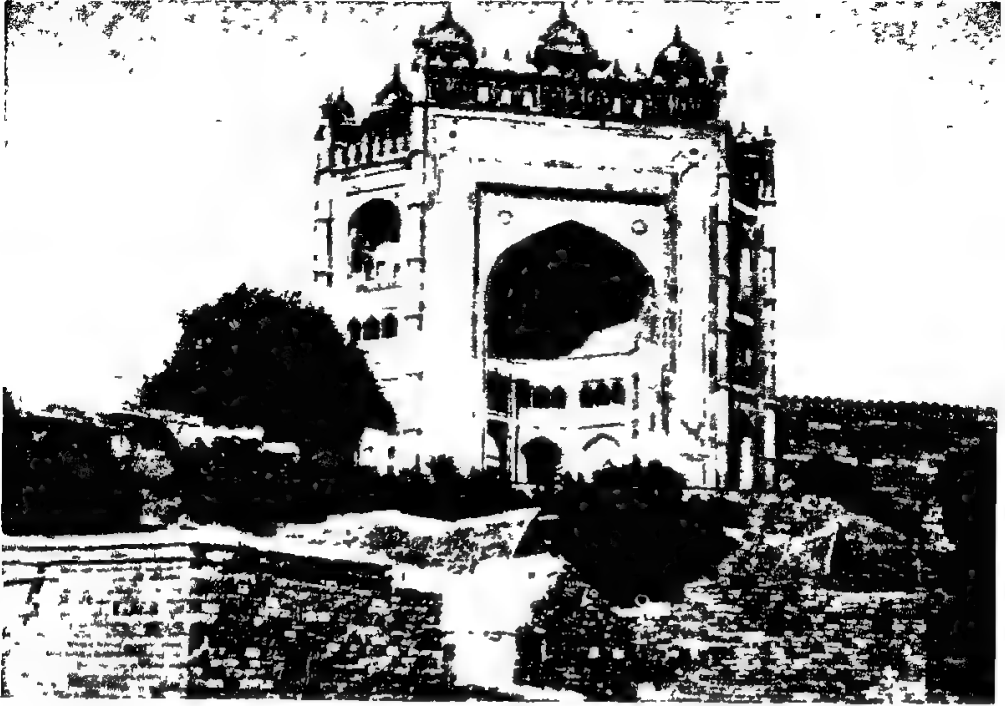
دلهي : مقبرة همايون

سنة ١٥٦٥ م

ويمكننا الآن دراسة القسط الذي ساهم به المسلمون في فرع آخر من الفنون نغني به الموسيقى . والموسيقى الهندية كما أشار السيد جعفر في مؤلفه « تاريخ إمبراطورية المغول » هي مثل فنون رقيقة أخرى رمت على وجود مسلك جديد من التشابك بين الهندوس والمسلمين . فإن عملية التعاون والتمازج لم تكن

شيئاً جديداً في عهد الامبراطور «أكبر»، إذ بدأت قبل ذلك بقرون. وفي ميدان الموسيقى أصبح ملوساً كيف كانت الطائفتان تقترضان من بعضها القسط الثمين الذي ملكته في هذا الفن، وهذا أضافنا الواحدة إلى ثروة الأخرى. فان «الخيال» مثلاً الذي اتدعه سلطان حسين شاه من بلور أصبح جزءاً هاماً من موسيقى الهدوس. ومن جهة أخرى دمجت «درونود» نفسها في الموسيقى الإسلامية ويروى لنا أبو الفصّل أن الامبراطور «أكبر» كرس عناية فائقة للموسيقى ورعى أولئك الذين مارسوا هذا الفن والملاحظ أنه وإن كان هذا الفن لم يشجع مثل الرسم في أول عهد الاسلام، إلا أن اتصال الاسلام بآيران أحدث تدللاً في نظرة المسلمين إليه وعلى الأخص تحت تأثير الصوفية الذين آمنوا بأثر الموسيقى كوسيلة للسمو بالروح وكعون للتقدم الروحي. ولقد أصبح هذا الاتجاه أكثر وضوحاً عندما وحد المسلمون الدين استوطنوا الهد أن الهدوس أسماء بلادهم كانوا معربين بالموسيقى وأهم استعمالوها في مراسيمهم الدينية.

وكانت النتيجة أنه رغم استمرار العادة في المساحد على الأساس الذي درجت عليه دون أي عوامل مساعدة خارجية كالعلماء أو العرف على أدوات موسيقية، فإن الموسيقى أصبحت أكثر شيوعاً بين المسلمين في الهد. إن ولع الأغنياء بها جعلتها تسليّة محبة حتى أنه أصبح من الشائع إقامة حفلات موسيقية في كافة مناسبات الاحتفال والأعياد. ثم أن إقبال الصوفيين على الموسيقى أوجد عادة إقامة الاحتفالات شبه الدينية والاحتتماعات لسماع أعاني الحجة السماوية يشدها معنون محترمون. وتعرف طبقة هؤلاء المعيين باسم «القوليين»، وأطلق على الألحان والأغاني اسم «قوال»، وأصبحت حد شائعة. وهكذا استحدث المسلمون عدداً من الأدوات الموسيقية الجديدة أو أطلقوا على بعضها أسماء فارسية حسب ما تدل أشكالها. والأمثلة على ذلك الرباب والساوود والعلوس ودلروب.



بلد درواره (الباب العالى) فى فتحپور سىكرى

سنة ١٥٧٥ م

❦ الحقائق ❦

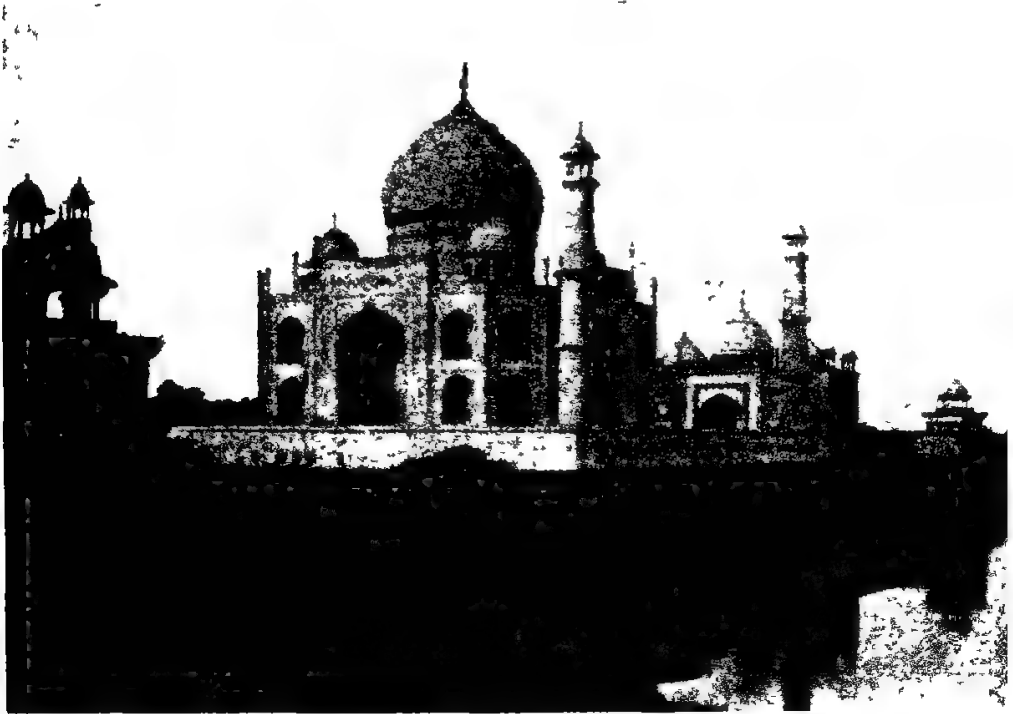
إن حقائق المغول فى الحرة الشمالى من الهند معروفة جيداً فى أوربا كما اشتهرت مائى المغول. فقد أدخل العرب قبل ذلك بعدة قرون إلى حبوب أسايا فكرة تنظيم الحقائق وإعدادها كمكان يجد فيه المرء راحة وحاملاً ومتمعة وحماية من حر النهار. واسياى المياه كان مطهراً ضرورياً ليس لرى المررعات والشحيرات فحسب بل لخلق جو البرودة وفى السهول إيجاد صورة اليباع الحلية. وترجع هذه الفكرة داتها فى الأصل إلى المغول كما هى بالنسة للراكشين، ولا شك أن إعادة كشف هذه الحقائق فى شمال الهند كان لها تأثير على إيطاليا وإجلترا. وطبعى أن المغول أحسوا أحساساً عميقاً بالجمال الطبيعى وهزم نوع من

الحين في سهول السحاب الحافة القاحلة قبل أن تحل الأيام التي انتشرت فيها وسائل الري وتساعد على تلطيف السأم بها. وحدث أحيانا أنهم كانوا يذهبون إلى أماكن بعيدة سعيًا وراء الجمال الطبيعي متحملين مصاعب جمة ونفقات في سبيل ذلك، وفي غيرها كانوا يتكفون حتى مشاق أكثر ونفقات لا حصر جمال الطبيعية إلى أماكن لم تكن موحدة فيها من قبل.

ومن الطريف أن نقرأ في رسائل كتبها أبو الفصّل قصة رحلة الامبراطور «أكبر» من «آگرا» إلى كشمير كي يتمتع الطرف بالمناظر الخلابة وحواء الوادي الساحر. ويروي لنا أنه اعتاد الذهاب هناك فترة الصيف يرافقه بدماءؤه وحنوده وكان من عادته أن يسلك طريقاً حديداً في كل مرة حتى يذهب العمال والحفاريون قلبه يمهّدون الطرق حيث لم توجد سبل من قبل. وسار على هذا الموال ابنه جهانگیر وكان موافقاً مثل والده بحمال كشمير. وحديقة شاليمار الشهيرة في كشمير لا تزال ماثلة للعيان كقطعة من الجمال والمرح الأزلي وتساهم في مسرات آلاف الرواد كل عام وهكذا الحال بحديقة «نشاط» التي تصارعها حمالات. وهكذا كانت الرحلات إلى كشمير أمثلة على دهاب الملوك المسلمين إلى مواطن الجمال في الهند. وبما كان إنشاء حديقة شاليمار في لاهور يصور انداعهم لاحضار جمال كشمير إلى سهول الهند. والحديقة إلى يومنا هذا هي من أعظم مناظر لاهور، والمراحل التي قسمت إليها الحديقة في سرى نگر (نكشمير) أمكن ذلك نظراً للموقع الطبيعي للمكان الذي اختيرت له. فقد كان ذلك على حافة حل، والمياه تتدفق من السطح إلى الحديقة وتنشع ترتها. أما الارتفاع والانخفاض في موقع فيسهل ان تعير وحودها إلى تصميم الحديقة على مراحل وفي لاهور على أي حال قسمت الحديقة إلى ثلاث مراحل بالوسائل المصطنعة التي أضافت كثيراً إلى صعوبة المهمة. ولم يكن ثمة مياه يتيسر الحصول عليها قرب المكان الذي وقع الاختيار عليه، وهكذا حضر

الماء في قاعة اصطاعية ولكن حتى والحال كذلك فقد أمكن خلق جمال الحديقة في كشمير وسحرها في قلب النحاب. وذكرت نصفه خاصة هذه الحقائق كي اصور أن حب الحقائق الذي أداه كثير من ملوك المسلمين في الهند كان له نفوذ ثقافي قيم، وترك أثرا مقيما على دوق الطبقات الراقية العية في الهند، سواء من الهندوس أو المسلمين. وهذا الدوق كان له دافع آخر يظهر التحليل الدين لم يتأخروا عن شعوب أخرى في ولعهم بالحدائق.

وكان الامبراطور جهانكير مهتما بنصفه ملحوظة في هن الستة، وكان مغرما باكتساب المعرفة وجمع المعلومات حول الأشجار والسات والأرهار. وكان حرمه من لاهور المعروف باسم «نادامي باغ»، مليئا بأشجار اللور التي سححت رراعتها



تاج محل في آگره

هناك . ولقد رأيت في مجموعة الرسوم الخاصة كتابا قديما يحتوى على رسوم يدوية لأوراق الأشجار والشجيرات المثمرة المحلية وكذلك المستوردة في عهد جهانكير، وكما هو مرسوم ساء على طله .

إن جمال حدائق المغول واتساقها وهدوءها بدون شك هرت خيال المؤرخين المعاصرين والمسافرين وكذلك الهنود التي انشئت بينهم . فقد هيأت معتقدا حديدا في الحياة وأهدافها التي أترت على الأدب في الهند وفي أوروبا على السواء . وهناك أشعار في الأدب الهندي الفارسي وكذلك بالأردية، كانت نوحى من الحدائق في كشمير ولاهور . وقد نظم الشاعر الهندي الشهير « إقبال » واسمه الكامل الدكتور سير محمد إقبال عدة قصائد بديعة بالفارسية استلهمها من ريارته إلى سرى نگر . فقد ارتحلت اميرة معولة بيتين من الشعر المشهور عند مشاهدتها مطر الشلال الجميل الذى يربى وسط حديقة شاليار في لاهور . وكانت ترقب «عجائب لآلى الماء» الذى يتساقط على قطعة من الرحام مما اقتعل شلالا، وكانت تصغى إلى الصوت الصادر عن سقوط الماء المصططع عندما اسمعتها شفاها عما يلى . وهذه ترجمة لا تصور جمال المعنى الأصلي التي قبلت به هذه الكلمات

« أيها الشلال ! من الذى تدب عيانه هكذا عاليا..

لم أحييت رأسك حربا وكمدأ .

كم هو الألم حاداً أنك طوال الليل

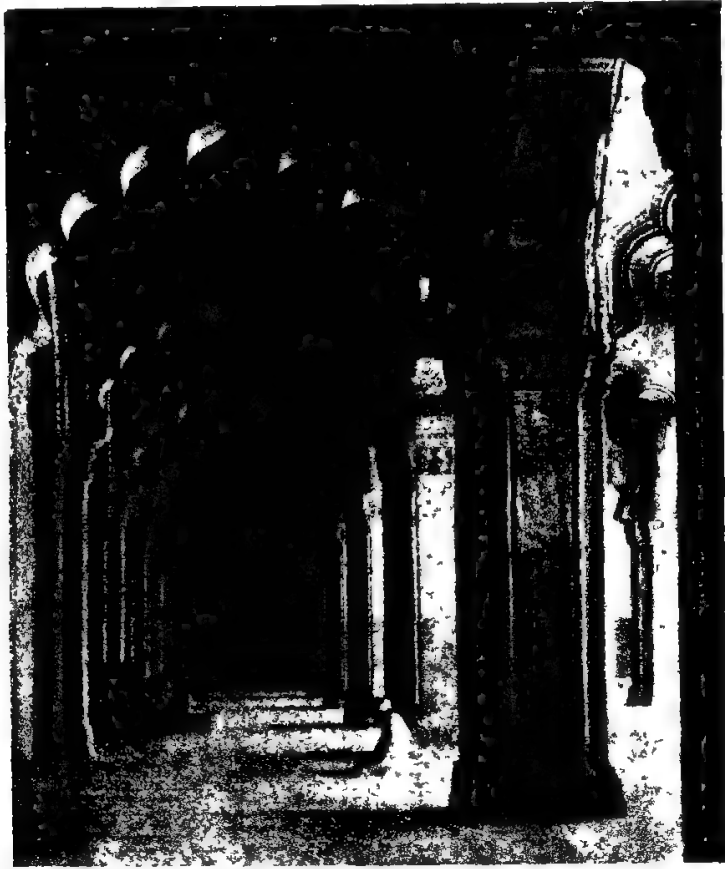
كنت هب القلق مثلى تلطم رأسك

عرض الصحر وتدرف الدمع بعرارة !»

نظام الادارة

وقد عرشنا حتى الآن مسرات الحياة، ولكن المغول أحصروا كذلك أفكارا جديدة في الادارة إلى الهند، وكثير منها مثل نظام دخل الأراضي قد دمجت

فى الحكومة المحلية لهذا البلد تحت الحكم البريطانى . ومع أن الكثير من إدارة المغول قد اهار قل معركة « بلاسى » غير أنه بقيت مبادئ نظام الريد ، والمسلمون عدوا الطرق ، وشقوا قوات الريد ، وشجعوا إنشاء الحدائق من مياه الآبار ، وملأوا البلاد سرايات القوافل كما كانت تسمى ، وبالطبع سهلوا للهود والأوريين السعري فى



موتى مسجد (مسجد لؤلؤ) فى آگره

سنة ١٦٥٣ م

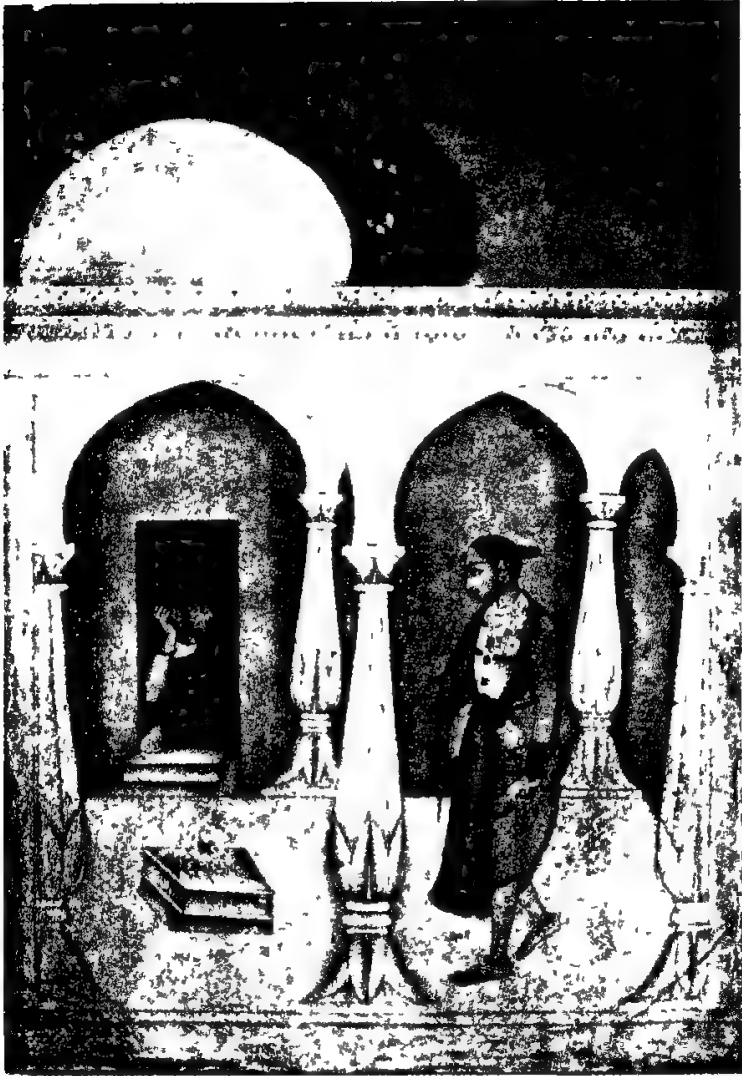
هند . فأقاموا حكم القانون الذى كان من طرق كثيرة أكثر إسياسة من ذلك لحكم المعاصر المتبع فى أوروبا . فان حكم الاعدام الذى كان يفرص للسرقة فى ملطنة المعاصرة كان يحتفظ به تحت الادارة المغولية فى الهد لجرائم أخطر

بكثير. وهناك دليل كاف يظهر أن البعاليين في الصف الأخير من القرن الثامن عشر وجدوا قانون الحرائم الاسلامى أسهل لكثير على الفهم من القانون المسبق الدخيل الذى فرصه المحاكم العليا الانجليزية. وتصف فقرة ماثورة من ما كولى الآثار المدمرة من إحداث الطام الحديد وقد اعترف تماما بمضائل القانون الاسلامى الاداريون المستعمرون فى أفريقيا.

ويتبادر إلى الأذهان سؤال عن كمية بد. المعول وإلى أى مدى كان مجرد اقتناصهم المراسيم القضائية وطريقة السلوك التى أدهشت كثيرين من الرحالة. ومن ملتون إلى من جاءوا بعده هناك عدد من لا حصر له من الاشارات إلى هذه الناحية من حصار المعول. وفى الامكان أن المعول مثل الانجليز الذين أتوا بعدهم اعتقدوا بالآثر السيكولوجى لهذه الالة على العقل الشعبى. وربما يكون مثار الشك أن هذا المظهر المدهش للثروة والسلطان كان فى الواقع يحمر إلى أى تطور فى المستقبل، ولا بد أن أقول على أى حال أن لهذه المظاهر سيطرة لا تقاوم على احيلة الناس، وحتى اللدان التى ترهب بأسمى الحصارات الحديثة لا يمكنها الاستعلاء به. والمظهر الغريب لللاط فى الهد هو أن الشعراء اعتادوا أن ياتوا ويلقوا القصائد والأقوال فى مدح الحكام الذين يترأسون الحفل واعتادوا أن يكافأوا على ذلك. وهذه العادة لم تنس حتى الآن ولا تزال سائدة فى الامارات الهدية، وإلى حد أقل بقيت فى المنطقة البريطانية حيث كانت القصائد تلقى أحيانا تكريما للحكام وبواب الملك. وهذه القصائد لم تكن كلها من الطراز الأول من وجهة النظر الأدبية ولكن هناك أمثلة من القصائد ذات القيمة الأدبية الحقيقية القيمة فى مناسبات كهذه.

المكاتب

ان المكتبات التى وجدت فى الهد نتيجة لحب العلوم لدى الكثيرين من



مطر مرلي : للسان محمد فقير الله حان

المدرسة المعولية في القرن السابع عشر

حكام المسلمين كان لها تأثير عظيم على الثقافة الهندية . فلم يكن فقط الملوك والامراء الذين جمعوا حرائر غنية من الأدب لمتعتهم بل السلاة من كافة الطبقات تنافسوا في اقتناء هذه العائس ومن بين ملوك المغول كان همايون شعوبا بكتبه والمباني التي صمت مكاتبه لا تزال ماثلة في دلهي . ومن إعناها الضيقة

سقط همايون وفارق الحياة. ومن بين أمراء المغول كان داراشكوه أكبر أبناء شاهجهان اميراً أديباً واسع الأفق، وكان مؤلفاً كثيراً بالكتب، فترك خلفه مكتبة عظيمة حمد بأوها زماً طويلاً، ولا يزال موقعها يشار إليه بالسان. إن الدمار الذي اعقب الفترة المريعة لعصيان عام ١٨٥٧ هـ. حرق معظم هذه الخزائن من الأدب. وربما لا تزال ذخائر قليلة خاصة من ذلك العهد موحودة لدى بعض الأسر العريقة في الهد أو في الامارات الهدية، ولكن آلاف الكتب القيمة ضاعت أو دمرت أو بيعت شمس محس من قبل أولئك الذين ههوها. وقد وصل عدد كبير منها إلى العرب وهي محفوظة لحس الخط في مكتبات أوروبا. ومن بينها يمكن العثور على مخطوطات تحمل أحنام أو تواقع الملوك المسلمين والسلا. الدين ملكوها وهي تحمل شهادة صامته، ولكنها بليغة على ثقافة الأيام الحوالى حين تحمل صدر الانسان مشقة عطى فى حط حير أفكار رجال العلم القدامى للسلاف فى وقت لم توجد فيه الوسائل الحديثة لنشر الأدب والاكتار من الكتب



الأغاني الشعبية

لطانة « ماپلا » - مالابار

للاستاذ محي الدين الألواني

كما لطانة « ماپلا » - مالابار - عادات وطقوس وتقاليـد خاصة تمتاز بها عن سائر الطوائف التي هناك تختص بنوع خاص من الأغاني الشعبية التقليدية المعروف باسم: « أغاني ماپلا ».

نشأت هذه الأغاني الشعبية في « مالابار، مد أن وطنت أقدام المسلمين فيها وساهموا مساهمة فعالة في شتى مراقي الحياة الشعبية في طول البلاد وعرضها. وقد اخترعوا في أول الأمر حروفا خاصة للغة السائدة في تلك الناحية أي « مليالم »، وهذه الحروف تكتب بالحروف العربية تنصرف سيط في بعض منها. واشتهرت فيما بعد باسم حروف « عري - مليالم »، وأصبحت مد ذلك الحين لطانة « ماپلا، لغة محلية - أو حروف خاصة على أدق تعبير. ومن أهم العوامل التي دعتهم إلى إختراع هذه اللغة أو إيجاد هذه الحروف، هو الاحتفاظ بالطاق الصحيح والهيئة الأصلية لبعض الألفاظ العربية والاصطلاحات الشرعية بدون تحريف ولا تدبيل، مثل اسم « محمد، و « الرحمن، و « الصلاة، و « الصوم، و « القرآن، لأنه لا توجد في اللغة المليارية حروف ح، و ص، و ق، و ض، وغيرها.

والباعث الآخر لاختراع هذه الحروف هو التسهيل للعرب الوافدين إلى « مالابار، على تعلم اللغة المليارية - لغة البلاد - بواسطة الحروف المألوفة عندهم لأنه يصعب عليهم الإلمام بلغة عربية عنهم كتابة وتحدثا في آن واحد.

ولذا لحاؤا إلى هذه الطريقة السهلة المال . ولعلت طائفة « ماپلا » دورا فعلا في الحياة الاجتماعية في كيراله . بل وكاوا مثلا عليا في هذا الميدان .

وحظر بالى الآن رأى طريف عن المنشأ الاصلى لكلمة « ماپلا » ، ولم يساعدى الحظ لذكره في معرض سرد الأقوال المختلفة عن أصل هذه الكلمة في مقال لى في « ثقافة الهدى » (عدد سبتمبر ١٩٥٥) ، بعنوان « ماپلا » . وهذا الرأى الذى يؤيده كار اللعويين في « مليلالم » ، مثل السيديم أونكر ، و أو - أو هو أن أصل كلمة « ماپلا » يرجع إلى « محمل » ، أى المجمع لأن المسلمين كاوا أكثر اجتماعيا وأشد تمسكا بالاحتمالات الشعبية وغيرها بالسوسة إلى الطوائف الأخرى في صواحى مالانار ، وكان الأهالى يتوقون الحضور في تلك المحافل تلهف وتلقى فيها أنواع من الأغانى التقليدية وحط ديبية وأدبية وغيرهما . وعلى عمر الدهور عرفوا باسم « ماپلا » ، أو « مهپلا » ، لأنه لا يوجد في اللغة « المليلمية » حرف « ح » ، - ويطقونه « ها - ولا « ف » ، - ويدلونه « پا » .

ولطائفة « ماپلا » آداب خاصة كما أن لهم حروفا خاصة . ومن مظاهر تلك الآداب الأغانى الشعبية المعروفة باسم « ماپلا پاٹ » ، أى أعانى ماپلا . وهذه الأغانى تمثل غالبا الحياة الاجتماعية والفكرة العقلية والعقائد الديبية لديهم ، ولعلنا نستطيع أن نعتبرها مطهرا هاما من مظاهر أفكارهم وعاداتهم الحقيقية . ومن ميراث تلك الأغانى أنها تحتوى على كلمات عربية ، وفارسية ، وأردية ، وتاملية ، وسسكريتية . ولها أوران وبحور خاصة وأسلوب رائع وتصوير جميل يجذب قلوب السامعين . وفي استطاعة شاعر شعى من « ماپلا » أن يؤثر الجماهير ويثير شعورهم بحس إنقائه ودقة المعانى . ويحاطب الشاعر قلب السامعين ويستحث أحاسيسهم الكامنة في أعماق قلوبهم من دين وعقيدة وتقليد . ولهم أى لشعرا « ماپلا » مواقف بيلة في ميادين الهوض بالامة والعمل في سبل رفاهية البلاد

وكننت معظم الأغاني التقليدية لمايلا في «عري - مليام»، وهناك بعض الشعراء يؤلفون قصائدهم ويضعون أغانيهم في اللغة العربية نفسها، ولكن أورانها وبحورها تختلف عن القواعد المتبعة في الشعر العري بل طبقا لقواعد الشعر «المليالي»، أو لقواعد خاصة اخترعوها لشعر أو أغاني «عري - مليام»، أحيرا

وليس المراد «عري - مليام»، اللغة المليالية الخليفة بالعامية العربية ولكنها لغة مستقلة لها خصائصها وميراثها وفيها ألقاظ من شتى لغات الهند الحوية من تامل، وتلغ، وكندا وغيرها، إلى جانب الألقاظ العربية والسكريتيية والأردية، والفارسية، كما تقدم. وتعتبر هذه اللغة «عري - مليام»، مطهراً عاماً للعصر الذهبي لطائفة المسلمين - مايلا - في مالانار وكانت للمالانار علاقات تجارية واسعة النطاق مع البلاد العربية وسائر دول الشرق الأوسط، وكذلك تكونت هناك ثقافات عديدة وعادات شتى بفصل تلك الحياة المشتركة والتعايش السلمي والاتحاد الثقافي. وأما لغة «عري - مليام»، من العائيم التي اكتسبها مسلمو مالانار من تلك الظروف الساحة والفرص السعيدة. تم ربوها واحتفظوا بها في كل الأدوار التي مرت عليها والأحواء التي أحاطت بها في مختلف العصور.

واحتفظت طائفة «مايلا»، بهذه الأغاني الشعبية والأناشيد التقليدية في بيوتهم ومعادهم وأفراحهم واجتماعاتهم جيلا بعد جيل. واتحد بعض منهم نظم الأغاني الشعبية وإسماعها في المحافل، والتغنى بها في بعض المناسبات خاصة ووسيلة لكسب العيش. واهتم بعض الناس بتعلم الأغاني الشعبية لمايلا وتعليمها والدعاية لها شتى الطرق ليكون عونا على الاحتفاظ بها من الصياع، وأعتى آخرون باقامة محالس الشعراء يلتقي فيها الشعراء من طائفة «مايلا»، ويتنافسون في إلقاء الأناشيد في شتى المواضيع. وكذلك تقام حملات شعبية يشرح فيها المترحمون والمفسرون مقاصد القصائد الهامة والأنظمة الشعبية لعامة الناس. والوعاظ

الشعبيون أيضا يلعبون دورا هاما في نشر هذا التراث الجميل والى الرائع بين
أوساط الشعب لأن هاك دحيرة ثمينة من الوعط والارشاد والترهيب والترغيب
في قصائد « مايللا » وأغانيهم

والدى يتصح من كل هذا وذاك أن طائفة « مايللا » جعلوا هذا الفن حراما
من حياتهم اليومية وكالوا يحتفظون به. ويوسعون فيه. ويدودون عنه، ويعترفون
منه ليلا وسهرا، سرا وحارا، ويصرون عليه إصرارا - ونما هو حدير بالذكر أن
الأغاني الشعبية « لمايللا » قد امتد نطاقها في الوقت الحاضر إلى غيرهم أيضا فدأت
الطوائف الأخرى يصنعون الأغاني الشعبية في طرار أغاني « مايللا » وبحورها.
ولكن الفرق الواضح بين هاتين الأعيتين هو وجود الألفاظ الأجنبية - العربية
والفارسية والتأملية - نكترة في الأغاني الشعبية الخاصة « لمايللا » بينما تكون الأخرى
حالية منها ولكن هذا الفرق الظاهري لا يؤثر في شيء من قوة المعاني والأهداف

وأما الذى دعاهم إلى الاكثار من استعمال الألفاظ العربية بطريقة ملحوظة هو
أن الأغاني الشعبية « لمايللا » تطرق كل مرفق من مرافق حياة تلك الطائفة المسلمة،
وكان هدفها الأول أن تعبر عن طريقة حياتهم الاجتماعية والدينية والثقافية حتى
صارت مرآة صادقة تعكس فيها مظاهر حياتهم اليومية فلا عرو في ورود الكلمات
العربية الدينية والاصطلاحات الشرعية، إما اصعوبة ترجمتها إلى لغة غير عربية، أو
لضرورة الشعر الذى يكون في أغلب الأحيان متعلقا بالشؤون الدينية والثقافية أو
الاجتماعية التى لا تتحدد كل التحدد من اعتقادات دينية وعادات متممة لدى
« مايللا ». مع أن لغة « عرنى - مليالم » تكتب بالحروف العربية هى اللغة
الأصلية لأغاني مايللا فيسهل على شعرائهم استعمال الكلمات العربية - موضوعيا
وشكليا - أكثر من استعمال الكلمات العجمية مثل مليالم، أو السسكريتية، أو
التأملية، وغيرها التى تصعب كتابتها بالحروف العربية.

وتختلف أوزان ومجوزات الأغاني الشعبية لمايلا عن أوزان ومجوزات « دراوڈاس » المعروفة في جنوب الهند في أمرين. أولا في شكل الأوزان وهيئتها وثانيا في القابلية الطاهرة في أوزان « أعاني مايلا » لهضم كلمات اللغات الأخرى بشكل مرموق. والآن قد بدأ بعض الشعراء غير « مايلا » يضعون الأغاني ويؤلفون القصائد في أوزان الأغاني الشعبية « لمايلا » خالية من الكلمات الأحادية والاصطلاحات الخارجية، وهذا التطور الجديد لا يؤثر في كثير ولا قليل من اختصاصات الأغاني الشعبية لطائفة مايلا وميراثها التقليدية حيلة بعد حيلة.

و « لمايلا » ما لا يار أعاني خاصة عالما في كل المساسات من الأفراح إلى مأساة الختان وكذلك في أيام الأعياد المختلفة وإليك نص الأمتة للأغاني الشعبية لطائفة « مايلا » يعون بها بالعربية نون « ايبا » المألوفة عندهم في حفلات العرس في حضور العريس تهته له

الله حسى وهو نعم الوكيل الله * آمة الرهبة أم حير عروس محمد
أكرم العرس العروس حافتين طه * أشرف خلق أحمد صلى الله عليه وسلم
سيد الخلق إمام القلتين طه * رحمة خلق أحمد صلى الله عليه وسلم
شميع الأمة وهو حد الحسين طه * سهم سقاوة أحمد صلى الله عليه وسلم
رؤوف سا مير الملوين طه * سعد سعادة أحمد صلى الله عليه وسلم

والأغنية التالية أيضا يعون بها مع « التصديق » في نفس المأساة مطلعها
طه طه طه رسول إله سموات بعلاها * فاه فاه فاه نوحى الله شافعا محمد
حم حم حاميا من حاميه من آمة بيوى * حم حم حامى حمية سيدنا محمد
رى رى رب ألباروح رباح آمة بيوى * روح روح روحا رباحا الخلود على محمد
باهى باهى باهى به الثقلان لست آمة بيوى * طه طه طه جميع الورى سيدنا محمد

وأما الأغنية الآتية يحيون بها مقدم العريس إلى منزل العروس وهذه أيضا

يصحبها التصفيق أحيانا.

أنت العليم يا هادي الرايا أنت العليم با
أعطا الهادي أحيي الرادي بحق طه رسول هادي الرايا أنت العليم با
مظهر الأتم روح الأعم سيد الكويز يا شمع الرايا أنت العليم با
ثمن لنا تعلم بحق تاح الأنبياء هادي الرايا أنت العليم با
واعمر دما واسترن عيا حاء النى صلى الله عليه هادي الرايا
أنت العليم با

ويقول شاعر « ما بلا ، في صدد الوعط والتذكير بالموت :

« پوٹانی من تص پں چور کشا » پں ایو کاشم چمور کوٹا ،
معاه : ایہا الامان کت نطفہ فاصحت علقہ وأنت الآن ملیء بالقادورات !!
ہا دا العرور بالديا؟ ويصف شاعر آخر مهم موكب العريس إلى منزل
العروس يقول

یتارن محراس اتاروے * پرشارم اور لیکان اریٹے

(ها هو دا موكب العريس على وشك الوصول والناس يستعدون لاستقباله
شعب وتلفا)

ارع پل پت ماتر ترے ارر چای ترمذ ودم

عرشہ تاحرم پل جم أدکے

أدکھی الکام پلے تماشا * آند کص بائم پتہانیشا

(وأقيمت هناك أنواع من الزينات والاقواس ويصطف الناس على حافى
الطريق، وتحرى أصناف من الألعاب النارية والفكاهية والمعون يعون الأناشيد
والمطربون يعرفون الموسيقى ابتهاجا بالفرح والسرور)

نیشا کھن دنى راگمے پاڈى ناگاکیل وض تبرى ربرى
 نيا کڈا پڈى تنور اڈى اڈى
 اڈ باہم مگ چکرم بهما ترى • آنسکھن پانم برم لا ترى

(وتضرب الدفوف، وتعرف المرامير، وتطلق الألعاب السارية، وتضاء المشاعل، وتور المنازل)

هكذا يصور الشاعر الشعبى فى نسج أناسيده وخلال أعاليه تقاليد الشعب وعاداتهم وطقوسهم، تصويرا واقعا كاملا بدون إفراط ولا تعريض. أما «ماپلا»، ملهى فلهم عادات خاصة وطقوس معينة فى مناسبات الأعياد والاحتفالات الموسمية حيث تمتاز عن سائر الطوائف فى الهدى ولكن هذه الطقوس والعادات لا تختلف اختلافا موضوعيا فى جميع الحالات بل فى الأشكال والمظاهر فقط، مثلا فى حفلة الزواج عدهم تخرج بعثة استقبال من منزل العروس إلى منزل العريس، وأحيانا يشدون أناشيد الفرح ويعمون أعانى الطرب فى طريقهم إلى منزل العريس. وفى منزل العريس تقام حفلة استقبال خاصة تكريما لهذه البعثة وتدار فيها أكواب من الشاي والمرطبات ثم أطاق من التدول «البا» وعاب السحابر أو الدحان المعروف باسم «بىزى» وبعد الانتهاء تعاد البعثة مع العريس وأصدقائه وأقربائه إلى منزل العروس فيستقبله والدها وإخوانها وأقاربها بحفاوة وتكريم بالعين. وتتم مراسم عقد الزواج أغلب الأوقات فى منزل الروحة، وفى بعض الأحيان فى منزل الروح أيضا، ويكون عقد القرآن فى بعض الحالات فى المساحد لا فى البيوت.

عند بعض العائلات المحافظة على التقاليد القديمة تحرى احتفالات الزواج بأنواع من مظاهر الهبة والسرور من الأناشيد التقليدية، والاعاني الشعبية، والطول والموسيقى، والدفوف، والمزامير وغيرها وكذلك لطائفة «ماپلا» رى خاص سيما

الطربوش المعروف باسم «مايلا كيب». فيكون غالبا مصصوعا من القماش الأبيض موشى بشىء الألوان ومرخرفا بالحيط. وهم يلبسون دائما الارار، والقميص الأبيض ويرتدون رداء طويل أبيض. ومن عادات «مايلا» أيضا أنهم يحلقون رؤوسهم فى معظم الأوقات ويقصون لحامهم. ولكن تغيرا شاملا بدأ يدب فى عاداتهم الشكلية، وطقوسهم القديمة، ومراسيمهم المتبعة فى الأفراح والأعياد والاحتفالات بمقتضى تطورات الرمن وتقلبات العصر الحديث، وهكذا تسير قابلة البشرية قدما حاملة فى طياتها عادات محلمة وطقوسا عديدة وتقاليد شتى!

أثر اللغة العربية فى اللغة المليارية

مما يستعاد إلى الأذهان أن الروابط التاريخية والعلاقات الثقافية بين العرب و«الملياريين» ترجع إلى عهود قديمة جدا، وكان التحار العرب يهدون إلى سواحل مليسار، حماعات وفرادى ويستوطنون هاك شهورا وأعواما. وكأوا يساهمون مع الأهالى فى نشاطهم الثقافى، ويشركون فى تقاليدهم الشعبية وطقوسهم. فمن طبيعة اللغة العربية - بل وكل لغة حية غنية - أن تدك وهوذها وتشر سبطرتها على سائر اللغات الناشئة الباهضة

وأما اللغة المليارية، فمن سميتها أن تقلل الكلمات اللازمة والاصطلاحات الخاصة من لغات حية أخرى ثم ترحها مع تلك اللغة مزجا حيث لا يعرف منشأها الأصلى ومصدرها الأول إلا الباحث المحقق. واللغة المليارية أى «مليالم» لغة مكونة من عدة لغات شقيقة بطريق الأحد والاقتباس حتى أصبحت لغة حية غنية قائمة بنفسها. وهى الآن إحدى اللغات الهندية التى اعترف بها «الدستور» الهندى كلغات إقليمية. وبما هو حدير بالذكر أن الدستور الهندى قد اعترف بأربع عشرة لغة من اللغات الهندية كأها لغات المهد المحلية و«الهندية»، هى

اللغة الرسمية للدولة فتحل محل « الانجليزية » في غضون عشرة أعوام .

وبعد مجيء الاسلام اهتم كثير من دعاة ذلك الدين الخيف بالدعوة إليه والتشجيع به . وتوحدت جماعة من العرب المسلمين الذين تشعوا بالمبادئ الاسلامية وتبحروا في التعليم القرآنية إلى السواحل الغربية للهند سيما بلاد « مليار » . وبدؤا الدعوة إليه بالوعظ والارشاد وغيرهما من الطرق السلمية الاخوية فقط لا أقل ولا أكثر . وبوا أولا المساحد والمدارس في شتى أنحاء البلاد ، فأصبحت تلك المساحد والمدارس مراكز التعليم الديني لطائفة المسلمين . وانتشرت عدة كلمات عربية وإصطلاحات شرعية على ألسنة الأهالي حاصتهم وعامتهم . وبدءوا يستعملون نفس الاصطلاحات الاسلامية في اللغة المليارية ، إذ لا توجد فيها كلمات مماثلة تؤدي معاني تلك الاصطلاحات ومحتوياتها الخاصة

هذا من الناحية الدينية والثقافية . وأما من النواحي السياسية والادارية والعسكرية ، فقد كانت الهند يحكمها السلاطين المغول والاراك . وكانت فيها حيوش أفعاية وإيرايه لعدة قرون ، وكان هؤلاء الحكام يدلون أفهى الجهود للمضات الادبية والفنية إلى جانب المهضات السياسية والادارية والعسكرية في طول البلاد وعرضها . وكانت لغتهم الرسمية ، الفارسية . وهي مليئة بألفاظ عربية وفي الوقت نفسه كانت اللغة العربية ذات مكانة كبرى لدى هؤلاء الحكام من النواحي الدينية والثقافية . وشاء القدر وساعد الخط اللغة « المليارية » أيضا لتعدى ذخائرها بكلمات عديدة واصطلاحات شتى من اللغات الثلاث السائدة العربية ، والفارسية ، والاردية

وكان ذلك العصر عصرا ذهبيا في تاريخ اللغة « المليارية » ، أيضا وانضم إلى الجيش المغولي والأفغانى واليرانى عدد كبير من اليهود . ومن طبعة القوايين العسكرية أن تستعمل كلمات واصطلاحات سهلة للجميع سواء في أسماء الرتب

العسكرية والألقاب الحربية. فأصبحت تلك الأسماء العسكرية وألقابها منتشرة في جيوش المسلمين، متمكنة في اللغات الهندية. ولا يخفى على أحد له إلمام بالتطورات الحاصرة في القارة الهندية أن كثيرا من تلك الاصطلاحات لا تزال شائعة وحاضرة في الجيش الهندي حتى بعد أن استقلت من العهود الأجنبي، وتم تهيد الجيش الهندي الوطني، منها: «سياهي» و «صوبه دار» و «خميدار» وغيره.

وحملت عدة تعديلات سياسية واصلاحات إدارية إلى حيز الوجود في عهود «شير شاه» و «أكبر» و «هابسكير». وقسموا البلاد إلى «مقاطعات»، والمقاطعات إلى «الأضلاع»، والأضلاع إلى «تعلقات»، لتسييلات إدارية. وكلمة «حلا» في المليارية هو الصلح في اللغة العربية. والمراد بها حر من «المقاطعة». وكذلك كلمة «تعلقة» هي التي مرجم لفظ «تالوك» في المليارية بمعنى تعلقه، أي جزء من الضلع. وهذه كلمات شائعة في اللغة المليارية كتانة وخطانة على لسان كل من يطق تلك اللغة. ومن الكلمات المصطلحة عليها في المحاكم المحلية هناك كلمة «هرحي» في المليارية أصلها كلمة «العرص» العربية. وكذلك «مهور كجيري» وهي محكمة «الحضور» نفسها. وكلمة «جتي» في المليارية هي «الضبط» العربي. كما أن كلمة «حاميم» هو «الضامن» بالعربية. و «كيت» تستعمل فيها وأصلها «كيفية». وكثير من قبيل هذه الكلمات العربية تستعمل في اللغة المليارية باعتبار أنها كلمات «مليانية» أصلية حيث لا يتنبه إلى أصولها العربية إلا شردمة من فطاحل أدباء تلك اللغة وعلمائها. وهذه هي ألفاظ مستعملة في التصرفات اليومية في شتى ميادين المعاملات العامة.

ومن الخلل أن بعض الحروف المليارية لا توجد في العربية مثل: ك. گ. و. ث. ذ. ج. پ، وغيرها. وكذلك لا يوجد في المليارية بعض الحروف العربية، مثل: ث، ح، خ، ذ، ز، ص، ط، ظ، ع، غ، ق. فمن هنا

اقتضت الضرورة أن تحدث تعبيرات وتبديلات كلية أو جزئية في الكلمات الدخيلة حتى تندمج مع أسلوب اللغة ولهجاتها حيث لا يرى لأصلها الآن أثر يذكر.

ومن الكلمات الدخيلة المتأصلة في اللغة المليارية «مسيب» وهو رئيس محكمة مدية، أصلها «المصيف» العربي. فلما تعددت الصاد، و«العام» في المليارية تحولت إلى أقرب الحروف المشابهة فيها واقلعت الصاد إلى «السين» والعام إلى «پ» وقس على هذا، الكلمات الآتية: «وسيت» أصلها «الوصية»، و«كرار» هو «القرار» بالعربية. و«نكل» هو «القل»، و«راحي» أصلها «الراصي» و«مهسر» هو «المحصر»، و«دكت» هو «الخط» و«رسيد» بمعنى الوصلة هو «الرصيد»، وهلم جرا!

وفي كل قصة يعين كل من المدعى والمدعى عليه «محياما» حاصله ويدعى بالمليارية «وكيل» ومهمته «وكالة» (وهما كلمتان عربيتان قلنا وقالنا)، وبعدده السماع للقضية سيذهب أحيانا طرفا القضية إلى مكتب المحكمة ليقانلا «ناحر» أو «آم»، أو للحصول على «نكل» لبعض الوثائق. فكلمات ناخر (موظف خاص في المحكمة) وآم (كذلك موظف مديني) و«نكل» هي «الناظر» والأمين، والقل، بالعربية!

وفي بعض القضايا تصدر المحكمة حكما تعيين «مكتيار» للإشراف على عمارة معينة أو توحه «تاكيد» لطرف واحد في القضية أو الطرفين فيها أو تصدر حكما «بحقي» لممتلكات معينة في بعض الأحوال، (فكلمات مكتيار، وتاكيد، وحقي، هي المختار، والتأكيد، والوسط، بالعربية).

وإذا تأخر شخص في أداء «باكي» صرائه للحكومة فترسل موطعا خاصا لاجل «وسول» ذلك المبلغ. و«باكي» و«وسول» صورتان للباقي، والحصول

عند العرب . ووفقا للقانون الحديد أصدرت حكومة مالانار (كيرله) مرسوما يصرح بأنه يجب على الناس أن يدفعوا صرائب «فسلهم» بطريقة «كسئي». أما «فسل» فهو الفصل، العربى وكلمة «كسئي» هى القسط . وفى ناحية شمال مليار، تستعمل بكثرة كلمتا «تاريك» بمعنى التاريخ، و«فسلا» بمعنى الحكم.

ولفظ «هاحر» لفظ مليارى يستعمل «للحضور» سواء فى المكاتب أو المدارس أو المحاكم . ولا يدرى كثير من الباطنيين هذه اللغة نفسها أن أصله الكلمة العربية «الحاصر» ويقولون حينما يتحدثون عن رحلة الملوك والأمراء من مكان إلى آخر، كان «أمالنار» يحملهم فى «پلك» من مكان كذا إلى كذا و«پلك» هو «الملك» و«أمالنار» هم «العمال» أو «الحاملون». ومن الكلمات المتداولة بين التجار «كالى» «پانا» و«كالى» «چاك» ومعنى «كالى» «الحالى» و«پانا» «الصفحة» و«چاك» «الحوالق» والمراد هنا «الصفحة والحوالق الحالية» (هذه تجارة منتشرة فى صواحي مليار) وفى أيام الصيف يتحدث الناس دائما عن «كوحا» ملأ الماء البارد وهى نفس «الكور» باللغة العربية.

وفى معظم أنحاء مليار يقولون «چكات» أى «الركاة» حتى كنت فى القواميس «المليالية» حول هذه الكلمة أى «چكات» مامعاه . إن چكات عبارة عن صدقة واحدة لدى المسلمين بمقدار معين فى مناسبات خاصة الخ . وكذلك كلمة «كيشه» بمعنى المحفظة أو الحقيبة هى فى الأصل «الكيس» بالعربية . ويقال «چكتان» «للشيطان». ومن الكلمات المؤلفة لدى العامة، كلمة «كحانة» وهى صورة «للخرانة» العربية، بعد ادماجها فى المليارية.

وهذه بدة للآثار الذهبية التى تحلقت من الروابط الودية المستمرة مد آلاف السنين بين العرب والهند . وهى من مآثر الحكام المسلمين الباقية فى القارة الهندية من عصورها الذهبية تحت حكمهم . الآن وقد مضت الدول وحكامها ولم يبق

مها ومهم إلا ما قدموه من خدمات في سبيل الاصلاحات السياسية أو العسكرية أو ما بذلوه من جهد في سبيل العلم والأدب والفن واللغات .

رى الآن الماصى العبد والقريب من حلال لعائنا وفوسا الى لم تمتد إليها أيادى حوادث الزمان، وتقلبات الأمور . ولم يستطع طول الأمد أو قدم الرمان أن يحدث شيئاً من الدمار أو الحراب في تراثنا العريق وتاريخ محمدا العميق

وقد آن الأوان لأن ننش تلك الحفريات المطوية على خرائن تراثنا الماصى من لغة وفن وأدب وشعر وغيره من الأساطير القديمة والحكايات الشعبية والمحتوات والمحطوطات التي لم تصل إليها بعد يد التحقيق والتفتيش كما يدعى . فلا ريب أن ذلك الدش وهذا التحقيق ليكشف العطاء عن كثير من محميات الأمور ومكوناتها وحمايا الماصى وحماياه فيكون هذا الكشف بدون شك وسيلة لتوثيق الصلات الودية بين الشعوب الشقيقة بعضها بعضا حتى تعيش حياً بحسب تعاشيا سلميا كما كانت تعيش في الماصى متكاتفه متصاممة مترابطة في سبيل نشر ألوية السلام والأمن على الشريعة جمعا !

قائمة بعض الكلمات « المليارية » من أصل « عربى »

المليارية	المراد	الأصل	المليارية	المراد	الأصل
حلا	District	الصلع	تالوك	Taluke	تعلقه
هرجى	Case	العرض	حتى	To seize	السط
« محجور » كچيرى	One court	محكمة الحضور	وكيل	Advocate	الوكيل
حاميم	Guarantee	الصامس	كبييت	Statement	كيفية
منسب	Justice	المصنف	وسيت	Testament	الوصية
كرار	To decide	القرار	نكل	Copy	النقل
تاكيد	Alarm	التأكيد	راحي	To settle	الراضى
ناكى	Rest-remand	الناقى	ناحر	An employee	الناظر
چكتان	Satan	الشیطان	آمس	„	الأمين
كوحا	Jug	الكور	مكتيار	„	المختار
مامول	Custom	المعمول	وسول	Collect	الحصول
فصل	Season	الفصل	كحاه	Treasury	الخزاة
كستى	Instalments	القسط	أمالمار	Workers	العمال
مهر	Report	المحصر	كالى	Empty	الحالى
كت	Letter	الخط	كبشه	Purse	الكيس
رسيد	Receipt	الرصيد	چكات	Alms	الركاة
هاحر	Present	الحاضر			

مؤتمر يونسكو المنعقد بدلهى الجديدة

انعقدت الدورة التاسعة للمؤتمر العام لمطمة «يونسكو» فى دلهى الجديدة فى ٥ من شهر نوفمبر سنة ١٩٥٦، وذلك فى القصر الفحم الذى شيد خاصة لمثل هذه المؤتمرات وقد رأس المؤتمر خامة مولانا أبو الكلام أراد ورير التعليم والبحوث العلمية فى حكومة الجمهورية الهندية، واقتحه محطة بترحمها فيما يلى .

﴿ محطة مولانا أبى الكلام أراد ﴾

أبىها الأصدقاء!

إنه لمن بواعث سرورى أن أقوم بيانة عن الهند حكومة وشعبا وأصاله عن ناسى بالترحيب بكم إلى هذه الدورة التاسعة للمؤتمر العام لمطمة يونسكو، ولشد ما يسعدنا أن المطمة قد قلت الدعوة لعقند هذا المؤتمر فى دلهى، وهاهى وفود الدول المختلفة تتوافد على هذه القاعة للاشتراك فى هذا المؤتمر وإنى لأعتم هذه الفرصة لأؤكد لحضراتكم أن عارات الترحيب التى سقتها إليكم لم تكن على سبيل المجاملة بل أبى صادرة عن شعور صادق عميق .

وكما لا يحفى على حضراتكم إن هذه الدورة، هى ثانى دورة انعقادها مطمة اليونسكو فى آسبا . وإن الجلسة الثالثة للمؤتمر العام قد عقدتها المطمة فى لسان عام ١٩٤٨ م . ورعما عن أن هذه الدورة قد صادف انعقادها فى دلهى، ولكى وطيد الأمل بأن تأثيرها سيعم أرجاء العالم، وأمل أن أرى القارة الآسيوية بأسرها، وعلى الأحص البلدان الشمولة بمنطقة جنوب شرقى آسبا، أشد تحاونا مع المادى التى ناصح عبا هذه المطمة والمشاريع التى تصطلع ها .

وإذا فعود قليلا إلى الماضى لنشاهد ما كان عليه العالم مند أحقاب، فلا يسعا إلا أن نسل أن تحقيق مؤتمر كهذا كان من الأمر المستحيل . وذلك لأن العالم كما لا يحى عليكم كان مقسما إلى طقتين، بل إلى عالمين : الأول العالم الأوروبى لسيادته وتهوقه المرعومين، والثانى عالم المسكونين من الدول الآسيوية والأفريقية والواقع أن العالم لم يدا بالفكر فى وحدته وعدم تحزته، أو يعتقد أن بلدان العالم، شرقية كانت أم عربية فى رسمها ان تتصارف وتتضام لتحقيق أهداف مشتركة، إلا فى الحقبة الحالية، أى بعد انتهاء الحرب الكونية الثانية . وفى اعتقادى أن دورة كهذه الدورة التى يشرفى أن أترأسها ما كانت لتحقيق فى فترة قبل الحرب الأخيرة ذلك لأنا فى ذلك الحين كما فى عداد الشعوب المحكومة المتأخرة، أما اليوم فأنا نساهم فى تلك الأخوة من مجموعة الأمم الحرة المتساوية، وهى التى فى وسعها وحدها أن تحل التفاهم والوثام بين الدول ولا يطن أحد مكم أن الآلام والمح التى تعرضت للشرية قد دهت هاء متورا، من ويلاتها قد استعت آسيا الباهضة إلى الوجود وفى هذا ما يفسر عقد هذه الاجتماع السامى فى عاصمة آسيوية وهو الاجتماع الذى ضم المسدوين الأوربيين والأمريكيين ورملائهم الآسيويين والأفريقيين فى حين واحد على قدم المساواة التامة ليتداولوا ويتناقشوا فى المشاكل المشتركة التى تحاه العالم .

وإنى مدرك تمام الإدراك الظروف التاريخية التى أدت فى ماضى إلى إقامة اسوار وحواجر بين العالم العربى والعالم الشرقى، لم تنهار كليا بعد، فآثارها ما رالت قائمة، وهى فى الواقع مصدر حدة التوتر وسوء التفاهم الذى يعاينه العالم . والحققة ان القيم والاتجاهات القديمة التى نشت هذا الانقسام وعززته أحدثت تفقد أثرها فى عقول الناس وهوسهم، وقد اصح من الحلى الواضح أن هذه القيم متزول وتلاشى، ويستعاض عنها بقيم ديمقراطية عصرية حقة . كما أن الاستعمار

الذى كان فى وقت من الأوقات شعاراً للعالم القديم اصبح الآن موضع النقد والطعن، حتى أن الذين لا يرالون يمارسون الاستعمار فى شكل من الأشكال، يعتدرون عه خجلا واستحياء

(١)

وإن الولايات المتحدة الأمريكية قد أسدت خدمتين حيلتين لقضية السلام . فالمعروف أن عصبة الأمم التى أسست على أعقاب الحرب الكونية الأولى جاءت فى الدرجة الأولى استحووا للنادى الذى نادى بها الرئيس الراحل ويلسون . ثم أشرف الرئيس روزفلت بعد الحرب العالمية الثانية وبالتعاون مع المستر تشرشل والمارشال ستالين على تأسيس هيئة الأمم المتحدة . وحقيقة الحال أن الرئيس ويلسون كان قد سبق بلاده بأحبال لأن أمريكا فى ذلك الحين كانت تدين بمبادئ العرلة متأثرة بنظرية «مورو» المعروفة .

وعلى هذا فإن الولايات المتحدة الأمريكية لم تنادر إلى الانضمام إلى جمعية الأمم التى آلت رعايتها إلى دولتين مستعمرتين هما فرنسا وإيطاليا، وسرعان ما سيطرت عليها سياسة التافس . وأحالى لست بحاجة إلى أن أسرد على مسامع هذا الحفل السامى كيف أخذت جمعية الأمم تكمش تدريجيا، ثم بالتالى آلت إلى الروال !

ولقد هجت جمعية الأمم كذلك على سياسة تأليف اللجان والهيئات لمعالجة مختلف الشؤون الاجتماعية والاقتصادية، ولكن اهتمامها تركز فى الدرجة الأولى فى القضايا السياسية، ولقد أدركت هيئة الأمم منذ البداية أنها لن توفق إلى تحقيق أهدافها السياسية إلا إذا أدت عناية خاصة بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية .

وهذا ما حدا بها إلى تشكيل المطبات والمؤسسات الخاصة للقيام بما يباط إليها من مهام، ومن أهم هذه المؤسسات مطمة اليوبسكو . وقد أثبت قيام هذه

المظمة صحة الطرية القائلة بأنه لما كانت الخلافات والمشاحات تبدأ عادة في أفكار الشر وعقولهم، فان قوى السلام يجب أن تشيد في هذه العقول وهذه أيها السادة تلکم المسؤوليات والصلاحيات التي وصعت على كواهل مظمة اليونيسكو.

ولقد حرحت مظمة اليونيسكو إلى حير الوحود في الرابع من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٤٦، أي مد عشرة أعوام على وحه التدقيق، وقد يكون من المناسب أن نستعرض النشاط الذي قامت به خلال هذه الفترة من حياتها على أن يتوحى في ذلك الاختصار ويكتفى بمعالجة الواحى الهامة من مشاريعها. ولا يحى عليكم إن بين الأهداف الرئيسية التي تعمل مظمة اليونيسكو تحقيقها، هى إزالة عوامل عدم المساواة بين الأمم بحيث يتسنى للرجال والنساء على السواء أن يعيشوا في كسف حو من الديمقراطية الحققة. وفي هس الوقت دأت هذه المظمة على الهوض بالشئون التربوية والعلمية والثقافية سعياً منها لترسيخ مبادئ السلام في عقول الشر.

وتعتبر التربية التعليمية الأساسية من المشاريع الأولية الهامة التي تصطلع بها هذه المؤسسة، وقد نؤشر في وضعها موضع العمل في مختلف البلدان تحت إشراف المظمة وهديتها. وهاك إدراك مترايد في العالم بأن التربية التعليمية لا تقتصر على مجرد تثقيب العقول والأفكار. بل تقوم أيضا على تنمية الشخصية بصورة عامة على أصواء التقدم الاجتماعى والاقتصادى للمجتمع. والواقع أن توسيع نطاق البرامج القديمة الخاصة بتربية النالعين إنما حاء نتيجة طبيعية للأبحاث العلمية والدراسات التي قامت بها هذه المظمة. ونحن ها في الهند قد أخذنا كثيرا من هذه الدراسات واستسطا رماح دى خمس نقاط للتربية الاجتماعية التي تهدف إلى تعاون الفرد والمجموعة لخدمة الجميع. ولم تقتصر مهمة المظمة على إدخال هذه الدراسات والشروع بها، بل تعدتها إلى مساعدة بعض الدول المتتمة إليها عن طريق القيام

بالتدريب وتزويدها بالأخصائين على نطاق دولي.

ولا ينبغي أن نسى المحاولات التي تقوم بها منظمة اليوبيسكو لتأمين إحصائية التعليم الابتدائي المجاني لجميع الأطفال في جميع بلدان العالم. ولطالما حاولت المنظمة إبراز الحقيقة القائلة بأن التقدم الاقتصادي هو نفسه مهمة من مهام التربية التعليمية الواسعة الانتشار، ولذلك فإنها لم تدحر وسعا لحل الدول المتسعة إليها على الأحد هذا البرنامج واقتناسه بأسرع وقت ممكن. ومن أهم نود البرنامج الذي أعد للعالمين القادمين هو ما نص عليه من ضرورة تطبيق هذا النوع من التربية في دول أمريكا اللاتينية بمساعدة مباشرة من جانب المنظمة.

ومن المساعدات الأخرى القيمة التي تقدمها المنظمة، المساعدات الفنية التي قدمتها للبلدان المتخلفة عمرانيا أو البلدان المتأخرة وقد اتضح للمنظمة في تفهدها لهذا البرنامج ان لفظي «متخلفة عمرانيا» و«متأخرة» لهما معنى مطاط، كما أدركت أن المساعدة ليتسنى لها أن تكون فعالة يجب في كثير من الحالات أن تأتي من الباحثين أو الخاضعين. ومن دواعي سرورا نحن الهود أننا تلقينا مساعدات فنية في بعض الميادين العلمية والدراسات الفنية كما قمنا بدورنا بتقديم المساعدات لبعض البلدان المحتاجة عن طريق تزويدها بالأخصائين في الميادين التربوية والثقافية.

وإلى جانب برامج المساعدات الفنية تقوم المنظمة بمشروع آخر يحرص في تزويد البلدان المختلفة بالكتب والمؤلفات الفنية والمدورات، وذلك وفقا لظام من الدطاقات. وقد ساعد هذا على تحطى العقبات التي تفرصها أنظمة القدر على عمليات التبادل في هذا العصر. ولا يسعى هنا إلا أن أشير إلى المشاكل الخاصة بالمناطق القاحلة التي تؤثر بدراستها مد سوات والتي تعزم المنظمة أن تحولها إلى مشاريع رئيسية.

ومن الميادين الأخرى التي تساهم بها المنظمة، والتي أخذت مساعدتها لها

تزداد بالاهمية، هي العمل على إيجاد تفاهم ثقافى أعم بين مختلف الشعوب والمناطق. وعدنا من أهم الأسباب التى أدت إلى ما نلسه فى العالم من توتر وسوء تفاهم ينحصر فى الجهل والتعصب: فكان الاعتقاد السائد عند الأوروبيين منذ قرن أن الحصار لا تعدى أن تكون حصاراً عربياً، وأن تفوق العرب فى القوى العسكرية ينطوى أبصاً على تفوقه فى الواحى المعنوية والثقافية، على أن الصدمة التى أحدثتها الحربان العالميتان، وما أتاب الاستعمار على أعقابها من إهيار تدريجى، قد ساعدت أكثر من دى قى على نعت الشعور بالمساواة بين شعوب العالم، غير أن هذا الشعور بالانساب إلى إنسانية مشتركة لن يتسنى له أن يتعزز ويتدعم إلا إذا عملت بلدان العالم على تفهم ثقافة بعضها بعضاً واحترام هذه الثقافة على وحه أعم وأوسع. وعدنا أن ما تقوم به مظمة اليونيسكو من شرح وتفسير الثقافات المختلفة عن طريق ترجمة روائع الأدب، وبشر الأليومات الفنية، وتسجيل المقطوعات الموسيقية، وتبادل رجال الثقافة بين شعوب العالم، لمن أهم الوسائل لاحتلال تفاهم واسع بين الأمم. ومن دواعى سرورى أن أنقل إلى مسامعكم بأن المظمة تعزم فى المستقبل القريب المصى فى هذا الموضوع على أعتار أنه من مشاريعها الرئيسية.

وتحقيقاً للعايات التى تشدها، فإن المظمة شرعت تعنى وتهتم بالطرق والأساليب المتنعة فى تدريس مادة التاريخ، ويلاحظ أن بعض البلدان تميل إلى تفسير التاريخ وتعريفه على أعتار أنه تسمية أخرى تمجيد الأمة لمسها، وما يريد الطين بلة أن هذا التمجيد الشخصى يتأتى عادة عن طريق انكار خدمات الشعوب والأمم الأخرى والنقل من شأنها. ويلاحظ فى بعض الحالات أن يعمد البعض إلى نزر نزر الحقد والبغضاء للثقافات والبلدان الأخرى. ومن الواضح الجلى أنه ليس من المستطاع خلق تفكير دولى إذا استمرت عملية تلقين الأطفال فى حداثتهم على تمجيد

قوميتهم وتوطيها على حساب الآخرين. وبلاحظ أن القسم الأعظم من تواريح الأمم قد انصرف إلى إراز عوامل الانشقاق والنزاع، كما أن هالك أنحائها لابرار عوامل المفاصة بين الأفراد والشعوب مع تعاضى المدأ القائل أن التعاون وحده، وليس المفاصة هو الذى مكن البشرية من الاستمرار والحياة. والواقع أن منظمة اليونيسكو مد قيامها قد نادت بضرورة تعديل تدريس مادة التاريخ، كما نادت بالفعل للعمل والترويج إلى هذا المدأ وعندما تفرغ هذه المنظمة من مشروعاتها الرامى إلى وضع تاريخ علمى ثقافى للبشرية، فتكون قد أدت خدمة حليلة فى سبيل إقامة تفاهم وأحوة أعم وأوسع بين الرجال والنساء فى العالم أجمع.

وعلاوة على ما قامت به المنظمة من دراسات واسعة للتعاون البشرى خلال القرون الماضية فقد أقدمت على تنظيم دراسات لبعض الطرقات التى من طبعها أن تحلق حوما من التوتر بين الأمم والأفراد ولعمري إن التحج أو العنحية والعصرية ما رالت حتى اليوم صفحة سوداء تندى حيين الإنسان. وقد دأبت منظمة اليوبيسكو على مكافحة الكبرياء والعنحية العصرية، وتمكنت بفضل الدراسات التى نظمها فى هذا السبيل من دحص كثير من الحرجات العصرية المنتشرة والقضاء عليها. وما يدعو إلى الأسف أنه رعا عن الإدراك المتزايد فى مختلف أنحاء العالم من أن نظرية التفوق أو التأخر العصرى لا تستند إلى أساس من الحقيقة والصحة، إلا أن التميز العصرى ما زال يتوفر ويمارس على نطاق واسع فى بعض البلدان. ومن واجب المنظمة أن تكافح هذه الآفة أيما وحدث، وبكل ما أوتيت من حول وقوة.

وسعياً من منظمة اليونيسكو لأحلال تفاهم أعم وأوسع بين الأمم فقد نظمت دراسات علمية لبعض الطرقات الأساسية فى ميدان السياسة والاحتجاج. وفى عام ١٩٤٧ بادرت المنظمة إلى تنظيم دراسات فى نظرية حقوق الإنسان، فساعدت

مذلك على وضع ميثاق عالمي يعترف بحقوق الانسان. ثم ما لثت أن نظمت دراسات للنظريات الديمقراطية، ولعلها تمكنت لأول مرة أن تجمع في صعيد واحد رجال الفكر في العالمين الراسمالي والشيوعي، وتعتة قرائهم للمحث عن العوامل الأساسية التي تؤلف الديمقراطية الحققة، ولقد ساعدت هذه وغيرها من الدراسات التي قامت بها المنظمة على تديد وإزالة كثير من سوء التفاهم القائم، وتحديد الطرق والوسائل التي يمكن معها التعبير عن الطريات والمادئ المختلفة في عبارات مشتركة.

وفي وسعى أن أسرد أمثلة كثيرة أخرى على ما قامت وتقوم المنظمة من خدمات ولكي سأوفر عليكم مشقة الاطباب والاسهاب . وبالرغم عن هذا العرض لنشاط المنظمة قد جاء سريعا ولم يستوفى حدوده كاملا. إلا أن فيه ما يثبت أن المنظمة وإن لم تحقق جميع الآمال المعقودة عليها، إلا أن الخدمات التي قدمتها واسدتها لم تكن بالقليلة. ومع أن أهدافا كانت ما زالت سامية عالية، فس الطبيعي ألا تتمكن من تحقيق جميع المادى التي تعمل أحلها، ومع أما لا يستطيع أن يتهادى خيرا واعتدادا، إلا انه إذا أحدا يعين الاعتار الصعوبات التي اعترضت سبيل المنظمة من تعصب وريبة وشك. بل وأهم من ذلك كله من قلة ونقص في الاموال الضرورية، فليس هناك ما يحملنا على أن ندى عدم ارتياح للنشأ التي حققتها المنظمة حتى الآن.

(٢)

ومن أهم المتناقضات في عصرنا هذا أنه بينما يرى جميع الأمم تشدد السلام وتنعى به، فان جميع حكومات العالم تقريبا تنفق على الاستعدادات الحربية ما يفوق بكثير ما تنفقه على أغراض السلام، وكما لا يخفى على فان ميرابسة منظمة اليوبيسكو لا تتعدى عشرة ملايين الدولارات، وإذا قارنا هذا الرقم بآلاف الملايين التي تنفقه دولة واحدة من الدول على أعرا

التسلح، فلا يسع المرقى إلا أن يتساءل، إذا ما كانت موجة من الهوس والجون الجماعى قد حلت بالعالم أجمع، أصف إلى هذا كله أن قسما كبيرا من هذه الميراثية الضئيلة للنظمة يعق على حمارها الادارى. وإسبى أعلم أن إدارة ما لى يتسبى لها أن تنظم إلا إذا توفر لها من يدير شؤونها، فليس هالك فائدة ترحى من وراء ترداد الحقيقة القائلة بأن ما يبقى بعد حسم النفقات الادارية يكاد أن لا يبقى نفقات المشاريع التى تضطلع بها المظمة. وطبعى أنه إذا قدر لنا أن راقب الحوم فعليا محمرا نهسا بالمطار الضرورى لذلك، على أنما يحب ألا نسمح لأنفسنا بالابهالك بهذا المطار إلى درجة تنسبها مهمة مراقبة الحوم. وقد سبق لى فى عدة مناسبات أن خضت هذا الموضوع وعالجته بأسهاب، ولا أراى فى حاجة لتكرير ما لاحظته فى هذا الصدد. ومهما كان الحال فالى وائق أن أعصاء هذه المظمة بأسرهم يدركون أهميته، وأهم بدورهم تواقون لاتحاد جميع التدابير الضرورية لتحفيص النفقات الادارية التى تتكدها هذه المظمة.

والأمر الذى يهمنى الآن لا يحصر بتلك النسبة من الميراثية التى تنعق على الشؤون الادارية، بل يتركز بالميراثية العالمية التى رصدتها العالم لتمكين المظمة من تحقيق هدفها. وما هو هذا الهدف؟ إنه يتلخص فى استخدام التربية والحوثات العلمية والنشاط الثقافى لرفع مستوى الفرد فى العالم أجمع. وكذلك تهدف المظمة إلى تحفيص الفوارق بين الأمم والافراد، الفوارق التى تتحلى للعيان فى هذا العصر الحديث، ولما كان هذا الهدف مشتركا بين جميع الأمم، وتعمل لتحقيقه، فمن واجب هذه الأمم جمعاء أن تساهم فى سد النفقات الضرورية لتحقيق هذا الهدف المشترك. ولكن الذى ملاحظه هو أنه رغم إدراك الأمم شعورها بهذا الواجب المحتم، فهالك القليل من الاحراآت العملية لتحقيق هذا الغرض.

والسبب الرئيسى لهذا القصور مرده إلى استنفاد الموارد لاغراض التسلح الناشئ عن التخوف من الحرب، وقدما كانت الاسباب لهذه الحروب ترد إلى عوامل جغرافية واقتصادية. والمعروف أن الحروب فى الماضى كانت تنش لاعتبارات جغرافية أو اقليمية أو دينية أو عصرية، وفى بعض الحالات قامت الحروب من أجل تنازع القاء، وذلك لأن وقوع أى نقص فى موارد التكوين والعذاء مع زيادة فى عدد السكان كان يؤدى عادة إلى قيام الأزمات، وقد حمل التاريخ م حوادث تفلات شعب من بلد إلى آخر سعياً وراء الرق. أما الحروب التى شت فى أوروبا فى القرنين الثامن والتاسع عشر فقد شت لاعتبارات قومية أو لغوية، كما أن بعض الحروب التى قامت خارج القارة الأوروبية ترد إلى الاطماع الاستعمارية للدول العربية، وسرعان ما انقسم العالم إلى معسكرين: واحد يعم بالرحاء والثراء والآخر يتردى فى هوة العور والفقر والصراع الاستعماري هو الذى أدى إلى قيام الحرب السكوية الأولى.

ويلاحظ أن الاسباب التى أدت إلى ش الحروب فى الماضى، قد أصحت فى عصرنا هذا نالمة عتيقة أما الآن وقد أحرر العالم هذه المدى من التقدم فى الميادين العلمية والعيش، فليس هناك ما يحول بين أى فرد وتمتعه بالقدر الكافى الذى يصمم له أن يحى ويعيش عيشة راضية وإذا قدر للعالم أن يحل مشكلة تزايد عدد السكان، وهو الموضوع الذى تلعب فيه التربة دوراً هاماً، فإن أسباب الصراع الاقتصادى بين الأمم والافراد ستؤول إلى الروال. وعلى النحو لم تعد النظم الاستعمارية بذات نال، ولا تعتبر فى مصاف العوامل الحيوية الهامة. والواقع أنها فى كثير من الأمصار قد ولت إلى غير رجعة، وحتى فى البقاع التى لا تزال هى فى الوحود، فإن أيامها قليلة معدودة. وكذلك نظراً للاندراك المتزايد فى مختلف أرجاء العالم والاعتراف بمبدأ حق تقرير المصير، فإن العادة فى الالتحا.

إلى الحرب لااعتبارات أقليمية أو القومية أصبحت من العادات البالية .

ولو ان الانسان كان أكثر تعقلا لكات الفرصة لأقامة السلام فى الأوان الحاضر أحسن منها من أى وقت مضى، ولكن رعبا عن هذا فان العالم اليوم فريسة للتوتر والشكوك والوجل والحق. ها لا يسعى إلا أن أتسائل، ما هى الأسباب الرئيسية لهذه الأوضاع. وأخالكم توافقون على أن مردها إلى الصراع ما بين المسادى والمثل. والصراع القائم اليوم هو صراع فكرى، وليس بمادى. ويقوم الآن فى العالم معسكران . معسكر، للرأسمالية ومعسكر للاشتراكية. وإن هذا الانقسام بين المعسكرين، لا يقوم على أسس قومية فحسب بل يرد إلى حد ما إلى الصراع ما بين المادى والمثل الذى تدينها شعوبها. ويلاحظ أننا نجد فى كل بلد مؤيدين للمعسكر المصاد الأمر الذى يطع الصراع الحالى بطاع الحرب الدولية والحرب الأهلية على سواء. فلا عجب والحالة هذه أن يؤدى الصراع الحالى إلى كل هذه المراتة فى سائر الجهات. ولما كان هذا الصراع يستمد حدوده من الصراع بين المادى والمثل، فلا مدوحة لنا من مكافئته نفس السلاح، أى بالمادى. وعلى هذا لا يسع لمطمة يوبيسكو أن تتجاهل هذا الصراع، وعدى أنه من واجب المطمة أن تضع تسوية لهذا الصراع الفكرى وأن تقدم باقتراحات الدول العالم تتضمن حلا له. ولا مشادة أنه الصراع الفكرى من المشاكل القائمة حقيقة، وفى اهماله ما يعرض الانسانية إلى الخطر.

والذى يجب علينا أن نضعه نصب أعيننا فيما يتعلق هيئة الأمم والهيئات المختلفة المنشأة عنها هو عدم إختيارها لمادى أى من المعسكرين. وأن الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتى كليهما قد اشتركتا فى تأسيس مطمة الأمم المتحدة، كما أن مطمة اليونيسكو تضم ممثلين عن الدولتين.

فاذا كانت الحالة كما بينا، فما الذى يدعو إلى استثناء الصين من مطمة الأمم

المتحدة أو اليونسكو؟ إن هذا الاستثناء لا يقوم على اعتبارات المبادئ والمثل، ذلك لأن الاتحاد السوفياتي، ويوغسلافيا، وكثيرا غيرها من الدول الشيوعية تتمتع بعضوية هيئة الأمم وعضوية اليونسكو، وعلى هذا فإن استثناء الصين لا يستند إلى مطلق وأبعد ما يكون من الصميم والادراك ومع أني أدرك بأنه ربما كان يحذر لمنظمة اليونسكو أن تترتب إلى أن تادر هيئة الأمم إلى اتحاد قرار في هذا الشأن، إلا أن هذه القضية واضحة المعالم لدرجة لا تتمكن هيئة الأمم المتحدة معها أن تتلصق في مح الصين مقامها اللائق بين مجموعة الأمم. وعلى كل حال إن عدم الاعتراف بالصين يفقد هيئة الأمم طابعها العالمي، لأن استثناء الصين يعنى استثناء ربع البشرية تقريبا من هذه المنظمة

ومهما كانت الاعتراضات الغنية على صم الصين إلى منظمة اليونسكو، فليس هالك مرر لاعتراضات فيه كانت أو غيرها على الاقتراح القائل بأن تتولى منظمة اليونسكو زمام المبادرة لتسوية الصراع الفكري الذي أدى إلى انقسام العالم إن منظمة اليونسكو مهتمة معينة في الدرجة الأولى بالقضايا الناشئة عن صراع المبادئ والمثل، وإن دستورها الأساسي يضع على كواهلها مسؤولية تشييد حصون السلام الدفاعية في عقول البشر. فإى لأنساءل كيف يتسنى لمنظمة اليونسكو أن تؤدي المهمة الملقاة على عاتقها إذا لم تعمل لتسوية الصراع الفكري الذي يهدد سلام العالم وبقاء الجنس البشري؟ ولعمري أن هذه هي المهمة الأولى التي يترتب على منظمة اليونسكو أن تصطلع بها. وكيف لا وهي الوحيدة بين المؤسسات المنبئة عن هيئة الأمم التي تعنى بمشاكل الفكر والمبادئ..

(٣)

والخطوة الأولى في سبيل التوصل إلى حل لهذه المشكلة تتأتى عن طريق الاعتراف بالحقائق والوقائع. وعليها أن نعترف بصراحة تامة وعدم تهيب أن

ليس من الممكن محو إزالة معالم أى المثل التى يناهض عنها كل من المعسكرين. ولا أعتقد أن أحداً فى تمام حواسه وعقله يقول بامكانية حمل أمريكا أو الاتحاد السوفياتى على اعتناق المادى. التى يدين بها الفريق الآخر. والواقع أن العالم الآن كما عهده فى السالف، لم يشاهد قيام وحدة فى المادى. والمثل القائمة فيه. فلدان العالم خلال الاحيال العارة اعتنقت مادى ومعتقدات تختلف بعضها عن بعض. فما الذى يجمعها والحالة هذه أن قرر التباين القائم بين هذه المادى والمثل بنفس الروح التى اعترفا فيها باختلاف الأديان والمعتقدات.

إن المجتمع الرأسمالى الحديث قد تطور منذ عصر الثورة الصناعية. وقد تسنى له أن يريد من قوة الفرد الانتاحيه، إلا أنه احقق فى إيجاد تسوية لمشاكل التوزيع (Distribution). وقد أدى هذا الاحتماق إلى المادة بإيجاد حلول أخرى وكان قيام المذاهب الاشتراكية الذى جاء نتيجة طبيعية للطلبات الجديدة. وفى وسع المرء أن يقرر أنه تقدر ما يتصل بأوروبا فإن الطم الرأسمالية القديمة قد أصبحت بالية لا تمشى مع العصر. والمعروف أن أوروبا العربية بأسرها تنحى الآن نحو تشديد المرافقه الاجتماعية وس مشاريع تهدف إلى تأمين المرافق لأكبر عدد من المجموعة. وأحل، إن المشاريع الفردية ما زالت قائمة إلا أنها تعمل وتسير ضمن الطاق والحدود التى تفرصها الدولة:

والولايات المتحدة الأمريكية هى البلد الوحيد الذى شد عن هذه القاعدة. والمعروف عن القارة الأمريكية أن الرأسمالية فيها ما زالت تتمتع بامكانيات كبيرة لا ريب أن أمريكا نفسها قد تغيرت وتحولت كثيراً عما كانت عليه خلال المراحل الأولى للرأسمالية التى كانت يقوم على استغلال العمال، إلا أن الذى لا يمكن إنكاره هو أن الرأسمالية والمشاريع الفردية ما زالت قوية فعالة، ومن القوى الحية هناك، كما أن أغلبية الأمريكيين يدون ارتياحاً اقتناعاً للنظام الاجتماعى الذى

يعيشون في كنفه. وقد تسمى لأمريكا أن ترفع مستوى المعيشة بين سواد الشعب إلى حد كبير، كما أمنت وسائل الراحة والرفاهية لكافة طبقات السكان.

فإذا كانت الرأسمالية للامريكية قوية، شطة، ماححة، وليست هناك رغبة أو أمل في تبديلها، فلو اُحد أن يقول نفس الشيء في شأن النظام السوفيتي. والشعب الروسي قد واجه مشاكل وأزمات لم يجد لها حلاً إلا عن طريق الأحاد الممادى. الاشتراكية. والذي يجب إلا يغرب عن البال أن الشعب الروسي خلال العهد القيصري لم تتح له الفرصة لاختار الطم الديمقراطية والتدرب عليها، وكان الاقتراع والتصويت عرياً عنهم، كما أن المطالبة بالحقوق السياسية والحريات العامة كانت تعرض أصحابها لاصطهاد الموليس السرى. ولذلك لم يصعب على الشعب الروسي حلو الطام السوفيتي من الديمقراطية السياسة بأمر ذى بال بالنسبة إليه، لأن الديمقراطية الاحتماعية والسياسية التى طبقها الاتحاد السوفياتى شحذت آمالاً لهم وثقتهم، ومن ناحية أخرى فان وطنيتهم أو شعورهم القومى قد عرز ولائهم للنظام السوفياتى، ذلك لأن الحروب الداخلية التى اندلعت نيرابها بعد قيام الثورة الروسية سرعان ما أدت إلى التدحل الأحمى، وأصبح أفراد الشعب يظرون إلى المساوئين للثورة على أنهم يعملون لصالح الدول الاحبية. وعلى ما يبدو فان التقدم الذى أحرره الاتحاد السوفياتى خلال أربعين عاماً الاخيرة قد عزز في الشعب الروسى الاعتقاد بامكانية تحقيق أكبر مدى من التقدم عن طريق النهج على الطم الاشتراكية، وقد يكون هالك، ولا شك، تباين وانحراف في آراء الافراد والمجموعات، ولكن الظاهر أن الشعب الروسى وشعوب دول أوربا الشرقية قد أقرت مع مرور الأيام الطام الاشتراكى وتبدته نفس القوة والثقة التى تبنت بها أمريكا، وأقرت الطام الرأسمالى والمشاريع الفردية الحرة.

وقد سبق لى أن بينت أنه نظراً لأن الصراع بين النظامين يقوم على اعتبارات

المبادئ. فإن من واجب منظمة اليونيسكو ومن مسؤوليتها أن تحاول إيجاد حل لهذا الصراع وأن هذا الحل يجب أن يقوم نادى دى بده على مستوى فكرى ثقافى، وعلى أساس الاعتراف بالحقيقة الواقعة بأن هالك هذين النظامين، ولا مندوحة لهما من اللقاء، وعلينا أن فى هس الوقت نسلم أن من حق كل من النظامين أن يعمل للترويج إلى مادته على شرط أن يأتى هذا الترويج على وجه سلبى مطم. إن منظمة اليونيسكو تدير وتعترف بحرية الرأى على أكمل وجه، كما أن مطالبة الفريقين لهذه الحرية وتطبيقها تتمشى مع روح هذه المنظمة. وفى حين أن من حق كل من هذين النظامين أن يعبر عن وجهة نظره وآرائه بحرية كاملة، ليس لآى منهما من حق أن يعتمد إلى الوسائل الهدامة العيفة. أما جميعا نعرف من حيث المبدأ بحق أى شعب من شعوب العالم تقرير مصيره، والنتيجة الطبيعية لهذا الاعتراف هى أن من حق كل أمة أن تتخذ النظام الاجتماعى أو السياسى الذى يروق لها، وأن أمة ما لا تملك أى حق لعرض إرادتها على الآخرين. وإذا ما قدر لدول للعالم أن تعترف بهذا المبدأ دون تحفظ باطى يتسبى لها أن تبنى تسامحا تجاه الآخرين، بل أنها ستعاون أيضا معهم فى مختلف الواجى والميادين.

ولقد تحدثت مع الأصدقاء من المعسكرين، ومع أهم لا يتشككون بصحة ما أديته من الملاحظات، إلا أن لمست فى هوسهم تحوفا من أن الفريق الآخر عمد أو قد يعتمد إلى النشاط الهدام، وإذا ما اعترفت الأمم بحق حرية البحث والمناقشة على مستوى المبادئ والأفكار فى هذا ما يساعد على إزالة كثير من أسباب الخوف وسوء التفاهم. وإذا ما عرضت المشاكل للبحث والمناقشة العلنية الصريحة فسيقضى هذا على السبب من الأسباب الرئيسية التى تستوجب القيام بالنشاط الهدام والعمل فى الخفاء. وإذا ما انحرف أى من الفريقين عن هذا

المبدأ، وحاول استخدام الوسائل الهدامة الحفية، فمن الواجب أن تحال القضية إلى هيئة الأمم المتحدة. وعدى أن هيئة الأمم في مثل هذه الحالات تملك السلطة والصلاحيات لاتحاد التدابير القمعية مع أى العريقين من نقض الاتفاق المشترك الذى يصح على بحث الخلافات ومناقشتها بحرية وصراحة تامة.

وفى الماضى استندت الدول على تشككها فى نوايا الاتحاد السوفياتى على قيام الحركة الدولية الشيوعية تحت «الكومترن» (Comintern)، كما أنه كان يعلن خلال المراحل الأولى من قيام النظام السوفياتى بأن الحرب الشيوعية سيعمل من أجل أشغال ثورة عالمية. وكان تروتسكى يعتقد قيام مثل هذه الثورة فى ألمانيا وغيرها من البلدان وعلى أن الساسة الروس وعلى الأخص ستالين أخذوا تدريجياً يتحدثون عن إقامة نظام اشتراكى فى قطر واحد. وعندما تم التحالف بين المملكة المتحدة وأمريكا والروسيا خلال الحرب الكونية الأخيرة، بادر الاتحاد السوفياتى إلى حل الكومترن وتصفيته. ويستعاد إلى الادهان هذه المناسبة أن ستالين فى نهاية الحرب قد حث الحرب الشيوعية الصبى على التعاون مع «المارشال شان كاي شك». وقد أحد الشعور يتراد فيما بعد بأن أفضل خدمة تسديها روسيا إلى قضية الشيوعية تنأت عن طريق إثبات فائدة النظام الاشتراكى فى تأمين أعلى مستوى من المعيشة لسكانها، وبعد وفاة ستالين ذهب زعماء الاتحاد السوفياتى إلى أنعد من ذلك عندما أعربوا عن اعتقادهم بضرورة عدم التدخل فى الشؤون الداخلية لللدان الأخرى.

ولنتقل الآن إلى بحث التطورات الجديدة التى طرأت على الاتحاد السوفياتى خلال العامين أو الثلاثة الأخيرة. والواقع أن تطورات عظيمة، قد وقعت فى هذه الاثناء، من شأنها أن يحى الآمال بأمكانية إيجاد حل سلمى للصراع الفكرى القائم بين المعسكرين، وكان مؤيدو النظام الديمقراطي الغربى فى الماضى يشكون

من انعدام حرية البحث والمناقشة في الاتحاد السوفياتي. ومن أن الرعامة هي التي تفرض آرائها وإرادتها من فوق. كما بين هؤلاء أيضا أن هذه الأوضاع لا تنطبق على أساء الاتحاد السوفياتي بحسب، بل على الطم السياسة القائمة في البلدان الأخرى، ولاريب أن هذه الادعاءات تطوى على شيء من الصحة، والمعروف أن خلافا قد شب بين الاتحاد السوفياتي ويوغسلافيا خلال عهد ستالين حول حق يوغسلافيا في اختيار الهج الاشتراكي الذي يلائمها. فقد أعلن المارشال تيتو حينئذ أنه ليس من الضروري للاده أن تسير على نفس الطم التي اتعتها روسيا، وأن من حق يوغسلافيا أن تستببط ذلك النظام الاشتراكي الذي ياسب حاجياتها. على أن ستالين لم يسلم هذه الطرية، فكان ما نعرف من تعرض يوغسلافيا عدة من السنين لنقد اللاد السوفياتية وعدائها. أما الآن فقد وقع تحول طاهر وقرأنا أن الرعماء الروس قد اعترفوا بصراحة خلال مؤتمر الحرب الشيوعي الأخير بأن الطم الاشتراكية قد تأحد ألوانا ونمادح مختلفة، كما أننا نلاحظ أن الخلاف الذي كان قائما بين يوغسلافيا والاتحاد السوفياتي قد تمت تسويته.

ولقد لاحظت العقول البيرة التقدمية في العالم مع الأسف أن الطم الاشتراكية التي استنطها الاتحاد السوفياتي قامت في الماصي على أساس تقييد أسس الحياة وكث حرية الأفراد. ولا شك إن هذا يعود في الدرجة الأولى إلى عدم توفر الحرية والمران سابقاً للشعب الروسي في الديمقراطية السياسية والحقوق المدنية. وحدير ما أن هسئ الساسة الروس على ما يحاولوه الآن من تحرير النظام الحكومي. والواقع إن الاتحاد السوفياتي قد حطى خطوات بعيدة في سبيل اقامة دعائم الديمقراطية الصناعية والاقتصادية في اللاد. وإيه اليوم عظيم في تأريج الاتحاد السوفياتي والعالم أجمع عندما توفق روسيا، علاوة

على كل ما حققته، إلى تحقيق الديمقراطية السياسية وحرية الأفراد في بلادها. وإني أشعر أن الاتحاد السوفياتي قد خطى خطوة واقعية لتحقيق هذا الهدف. ومن واجب الرأي العام العالمي أن يرحب بهذا التحول، ويعمل على تشجيعه بشق الوسائل والطرق. ومن واجب البشرية أن تحجم عن التعبير عن أى شيء من شأنه أن يعرقل سير هذه العملية إلى إقامة الحرية والأساليب الديمقراطية.

وإذا ما قدر للظالمين أن يعترفوا ويسلموا بضرورة التعايش إلى جانب بعضهم بعضاً، والاهج على سياسة التسامح فإن هذا يؤدي إلى زيادة التفاهم بينهما واحترام بعضهما بعضاً. وإذا ما رالت أسباب الرية والحقد، ففى وسع كل من الظالمين أن يستعيد من إحتارات الآخر وتحاربه، وأن فى تعارفهما لما يريد إلى تقارب أوثق بين الظالمين. وكما سقى لى أن أوصحت فإن أحدا من الظالمين لم يكتب له أن يرول. ومع أن الخلافات بينهما سيقى قائمة إلا أن هذه الخلافات ستتحصر فى الوسائل والأساليب، ولا فى القيم الثقافية أو الانسانية التى ستصح واحدة تدريجاً للسرية أجمع

ومن المهام الخاصة الملقاة على عواتق المنظمة أن تعمل لاحتلال التفاهم، والتقدير المشترك لكل من الظالمين اللذين يتارعان ولاء العالم. وإن المنظمة فى عملها من أجل تحقيق هذا التفاهم والتسامح لتحذ طريقها نحو الأهداف العاحلة التى تصو إليها. وإذا قدر للحواف من الحرب أن تقل وتتضائل، وإذا ما أزيلت أسباب التشكك والحقد فإن المبالغ الحسيمة التى ترصد حالياً على أغراض التسلح ستستخدم للأغراض الانشائية التى تباح عنها هذه المنظمة والواقع أن المنظمة لن تمنح راجحها العالمية التى ترمى إلى تحسين مستوى المعيشة والصحة والتعلم إلا إذا تحرر العالم من المخاوف الدائمة من الحروب، وما تنجم منها آفات وويلات.

وقد واقفا الرقيات بعد الانتهاء من إعداد هذا الخطاب بأبناء الاصطرابات
المفاحشة التي وقعت في منطقة الشرق الأوسط. ولا يسعنى لما تطوى عليه
هذه المسألة من معانٍ حلقية خطيرة إلا أن أتاولها بالإشارة. وقد سبق
لى أن بينت منذ لحظة في شيء من الأمل أن الأسباب التي كانت في الماضي
تدعو إلى شس الحروب، والتي تنحصر في الاعتبارات الإقليمية والدينية والقومية
قد أصبحت في عصرنا الحديث هذا بالية غير مألوفة. وأنه لمن دواعي أسنى
وحرنى العميقين أن أصر إلى الاعتراف بأن الأمل الذي عللت به هسى قد
أخفق. والآن دلت الأحداث التي وقعت في مصر منذ أيام على أننا ما رلنا
فرائس للأساليب العتيقة والدبلوماسية البالية، وأما ما رلنا بعيدين عن تحقيق
أحلامنا أحل، إنا في محطة اليوبسكو ليس من مهمتنا أن نعتى مثل هذه
القضايا السياسية، ولكسا في نفس الوقت لا نستطيع أن نتعاصى عما لهذه القضايا
من تأثير في ميدان التعاون الدولي الذى نعمل من أحله. وإنى لأرجو من
حضراتكم كل تواضع أن تادروا ملى للطرف في هذه الأحداث ودرسها
نعين من الحد والتحد، لقد احتاحت القوات الإسرائيلية الحدود المصرية لمهاجمة
مصر بينما قامت بريطانيا وفرنسا بتوجيه اندار إلى مصر ثم ما لثت قاداتها أن
أخذت تهاجم القاهرة. واسمحولى أباها السادة ها أن أسألكم، ترى أين تقف
هيئة الأمم المتحدة من هذه الصورة القائمة؟ وإننى لا أستطيع أن أتصور كيف
أن دولتين عظيمتين كبريطانيا وفرنسا، وهما من الدول المؤسسة لمنظمة الأمم
المتحدة، تقدمان على مثل هذا العمل ضد مصر، كأن منظمة الأمم المتحدة أو
مجلس الأمن، ليسا في عالم الوحد؟ وتصوروا أباها السادة أن المقترحات المعقولة
السليمة التي قدمتها أمريكا، والتي من شأنها أن تساعد على إيجاد مخرج من هذا
المأزق، قد هزمت بفضل استعمال حق الفيتو صدها، الأمر الذى يحمل المرة على
الاعتقاد المؤسف من أن حياة السلام العالمى والمحافظة على مستقبل البشرية في هذا

العصر، هي أقل في الأهمية من خدمة المصالح القومية الضيقة والمصالح التجارية.

وإذا أفكر ملياً في هذا الموضوع فلا يسعى أن أتساءل ترى ما معنى كل هذا بالنسبة إلى الأعمال التي نهض بها هذه المنظمة؟ ومن دواعي الأسف أن النتيجة التي يمكن أن نحرج بها بعد كل هذا التفكير، هي أن المنظمة لم توفق بعد إلى تهيئة العقلية السلبية أو توفير الاحترام الضروري للسلام، وهي العوامل التي لا مدوحة لمنظمة عن تهيئتها وإعدادها، إذا قدر لنا أن نتعاضد ما يهددنا من حراء تقدم العالم في الميادين الصية والعلمية من أخطار هذا التقدم الصي والعلمي^٥ الذي يعتبر بمثابة السيف المسلط على رقابنا فلا مدوحة لنا، والحالة هذه، إلا أن نصاعف من جهودنا في سبيل بناء تحصينات السلام، وغرس مبادئه في عقول الشر وتفكيرهم. ولعمري فهدى هي عين الأهداف الأساسية التي قامت هذه المؤسسة الحليّة من أجلها. وإنى أرى لزاماً على هذه المنظمة حتى في أوقات الشدة أن تتحول إلى ما يشه صميم العالم الحي أو تحقق وتتلشى كقوة دياميته حية تعمل الخير البشرية

(الخطاب الختامي لمولانا أبي الكلام آزاد)

وهذه هي ترجمة الخطاب الذي ألقاه رئيس المؤتمر مولانا أبو الكلام آزاد عند نهاية جلسات المؤتمر

أرى من وحي اليوم أن أتقدم بالشكر لجميع الأعضاء الذين اشتركوا في مداورات هذا المؤتمر، على ما انطوت عليه ملاحظاتهم عن الهند من آيات الاحلاص، ولما أندوه من تقدير للخدمات التي أسدتها الهند إلى منظمة اليونيسكو. **ورشد ما تأثرت بالعبارات الكريمة التي خصوا بها رئيس الوزراء وشخصي.**

لقد أثاروا بالجهود التي قمنا بها لتنظيم هذا المؤتمر ولتشديد هذه القاعة ونوقد

عدد من التسهيلات ووسائل الراحة الأخرى، وفي وسعى أن أؤكد لحضراتكم أننا إدقنا بهذا فعلى اعتقاد ما أنه أقل ما يمكن أن نقدمه ونقوم به. ورعنا عن توفير قاعات أخرى صالحة في دلهي وغيرها في المدن، إلا أن رأينا كان قد استقر على تشييد قاعة جديدة لتصم أعضاء هذا المؤتمر. والواقع أننا في حاجة لمثل هذا المبنى ولشد ما يسرني أن ألمس استحسانكم له، فاد اشعرتكم بأى قصور من ناحيتنا فتقوا أن هذا القصور لم يقع نارادتنا بل أنه نتيجة لطروف وعوامل هي فوق طاقتنا

وكما لا يحى على حضراتكم. إنما عندما أفتتحنا هذا المؤتمر في الخامس من شهر نوفمبر، فإن الحو الذى حيم على العالم حينذاك لم يكن نحو سلام بل حو حرب واضطرام، وقد التأم عقدا على أريز الطائرات واهجار القنابل وقصف المدافع، وكما نعلل المس حينذاك بأن توقع هيئة الأمم في وسط هذه الكارثة إلى السيطرة على الموقف، وإعادة الأمور إلى سابق حالتها في وقت مكر. كذلك تدركون الجهود التي بذلتها هيئة الأمم لإعادة السلام ومع تقديرنا لهيئة الأمم لما قامت به من خدمات فليس هاك ما يشير إلى أن السحب المتلدة في الحو قد تددت كليا وواقع الحال أننا ما رلنا نعيش في ظل أخطار لا يدرك عواقبها أحد. إلا انى رعم كل هذا أرى نصيصا من أمل في البيان الذى ألقى في مجلس العموم البريطانى بأنه سيبادر في الحال إلى سحب القوات البريطانية والفرنسية من الأراضي المصرية.

لقد حملتنا التطورات الأخيرة على أن نكر بصماء ووصوح، لقد كما نعلل المس بعد الحرب الكونية بأن الطم الاستعمارية ووسائل الاستغلال قصى عليها وآلت إلى الروال، لقد كنا نأمل أن المحاولات التي قد تقوم بها دولة ما لاستغلال دولة أخرى لن تتكرر، على أن الأحداث الأخيرة قد أثبتت أننا

أسرفنا في التفاضل، وأن العالم الجريء الذى تنشده وتوخاه لم يولد بعد، فإذا كانت مثل هذه الأوضاع تقوى على الظهور على مسرح العالمى رغم الدمار والويلات التى أرلها الحرمان العالميتان هذه العالم، ورعما عن الجهود التى بذلتها هيئة الأمم وسابقتها جمعية الأمم، فليس تغريب على المرء أن يفقد أملة وثقته بمستقبل البشرية. والسؤال الذى يتبادر إلى الدهن الآن هو هل نسمح لليأس والقنوط أن يبالا ما نسب هذه التطورات المفجعة؟ وحوانى على ذلك هو الذى القاطع، والنتيجة المعقولة التى يجب أن نخرج بها هى أن الاهداف السامية التى توحاها، تتطلب ما جهودا أعظم وأشد مما بدلاه حتى الآن، فان كما ما رلنا أنعد ما نكون عن أهداما المنشودة فلام عليها، والحالة هذه ألا نتوقف عن السير بل يجب أن نمضى فى الشوط وسارع فى حطابا، وإذا قدر واعتصت سلبا بعض العقبات، فليبا أن نصاعف الجهود للتعلم عليها، وإذا وحدا أنه ليس ممحيب لداآتنا، فليبا أن نشدد ويلح فيها. والواقع أن مثل هذه الصعوبات يجب أن تشدد عراثنا وتولد فى هوسا الثقة والأمل، وعليبا أيضا أن نسير قدماً ولكل مادنا من عزم وقوة تصميم حتى نبلغ الاهداف والغايات التى توحاها ونشدها

وإب الطريق التى تكفل لنا النجاح وتمكنا من بلوغ ماربا تتأق عن طريق نعت شعور حديد بين الأمم وإقاعها بأن المعتدى مقصى عليه بالعزلة ولن يحد من يؤيده ويعطف عليه. وإذا ما تيسر لنا آثارة الرأى العام العالمى لدرجة تبادر دول العالم معها إلى استنكار العدوان وأعمال العنف، فان أمة من الأمم لن تقوى ولن تتحرراً على الأقدام على أعمال عدوانية. ورعما عن الأمم المتحدة التى تسعى وتعمل لحلق مثل هذه الشعور أو الروح ونعت وتكوين رأى عام عالمى كهذا، إلا أننا لا نستطيع أن نجزم بأن الجهود التى بذلتها فى هذا السيل قد نكلت بالنجاح. ولذلك يحتم الواجب عليها أن نصاعف من الجهود المبذولة

لتقوية المنظمة العالمية وتعزيزها بحيث تصبح معقلا للرأى العام الذى يحمل المعتدين على أن يكفوا أو يقلعوا عن أعمالهم العدوانية.

ومن بين الأعمال الهامة التى قام بها المؤتمر فى دورته الحالية ما توصل إليه من إحداث زيادة فى الميرانية، وذلك بمشروع القرار الذى تقدمت به البرازيل، وفرنسا، وآسيا، والهند، والواقع أن ملع مليون ليس الشئ الذى يذكر بالنسة إلى الأعمال التى تقوم بها هذه المنظمة وما رلت ألح مد عام ١٩٥١ عندما كان لى شرف ترأس المؤتمر الذى عقدته المنظمة فى باريس للطالبة بزيادة هذه الميزانية، وإنه ليسرى أن حصرات المدوين قد عملوا بدورهم لتحقيق هذا الراء، وقد أقرعوا فى الواقع إلى حاب ريادتها مع الموافقة على توسيع نطاق اعمال المنظمة. ولى وطيد الأمل أن توسيع نطاق أعمال هذه المنظمة الذى تحقق بفصل إقرار الزيادة فى الميزانية سيستمر أيضا فى السنوات القادمة

ومن دواعى اعتناطى ما لاحظته من أن المشروع الذى وصعته المنظمة لعام ١٩٥٧-٥٨ قد تابع المساعى الرامية لتأمين تركيز أعم فى الجهود التى تبدلها هذه المنظمة. وإن منظمة اليونيسكو لى يتسنى لها أن تصبح أداة فعالة إلا إذا أسقطت وحدت من رايها المشاريع الثانوية، وحصرت جهودها فى تحقيق الراح الرئيسية الجوهرية وعدى أن ما قام به المؤتمر من الموافقة على المشاريع الرئيسية الثلاث سيساعد على تحقيق هذا الهدف، وإن لآمل أن يؤدى تنفيذ هذه المشاريع المذكورة إلى تقرير الجهود التى تبدلها المنظمة فى مختلف النواحي والميادين.

كلما نعلم أن منظمة اليونيسكو، ليست بالمر الذى يصلح ويليق لمناقشة القضايا السياسية، ومع ذلك إلى اعتقد أن من واجب منظمة اليونيسكو أن تعمل على عكس رد العمل المعنوى الذى يخلف فى النفوس كلما تعرض سلام العالم للخطر.

إن شيكوسلوفاكيا وبلغاريا قد تقدمتا مشروع قرار لبحث الأزمة المصرية، إلا أن أكثرية المؤتمر رأت عدم إدراج هذه القضية في جدول الأعمال، وذلك لاعتبارات ذات مساس بقضية سياسية تقوم هيئة الأمم حاليا بمعالجتها. وعلى هذا فإن القرار الذي اتُخذ لاستثناء مشروع القرار المتنازع إليه من جدول الأعمال، إنما اتُخذ لاعتبارات فية محضة، ولا يمكن إعتباره بمثابة حكم أو قرار على حيثيات القضية المصرية. وواقع الحال أن أغلبية المندوبين الذين اقترحوا صد هذا المشروع قد سبق لهم أن حددوا موقفهم من هذه القضية بصورة قاطعة في هيئة الأمم المتحدة أما وإن المؤتمر قد اعتمد مالمع حسيمة للمساعدات التدريسية في مصر والبلاد المحرمة في هذا ما يبرهن على اهتمام المنظمة وعنايتها وعظمتها على المكويين والصحايا في هذين القطرين.

لقد حاولت في الخطاب الذي ألقيته في الخامس من شهر نوفمبر أن أرز الحقيقة القائلة بأن مهمة تسوية قضية الصراع الفكري الذي أدى في عصرنا هذا إلى أقسام العالم، يجب أن تؤول إلى منظمة اليونيسكو، وتقع ضمن صلاحياتها ومسؤولياتها الخاصة، ويسرى أن ألاحظ أن بين المشاريع الرئيسية التي أقرها المؤتمر، هو ذلك المشروع الذي يبادى بضرورة تحقيق تقدير أهم وأوسع للثقافتين العربية والشرقية على السوا إن هذه الخطوة لمى موضع الترحيب. وأنى لعل ثقته من قيام تعارف بين الشرق والغرب سيؤدى إلى إزالة كثير من التوتر الناشئ عن الجهل وأعدام الثقة، كما أنى آمل أن المنظمة لن تقف عند هذا الحد بل ستعمد بدورها إلى دراسة الصراع القائم بين الطامنين الرسمالى والشيوعى. وأملى أن يتسنى للسدير العام لهذه المنظمة أن يرفع للمؤتمر خلال دورته المقبلة مشروعا يهدف إلى تحقيق هذا الغرض، وذلك ليتسنى لشعوب العالم أن تكون أكثر تسامحا إزاء وجهات نظر بعضها بعضا، وتتمكن من

الاعتراف بمبادئ التعايش السلى وتعمل هديها.

واسمحوا لى قل أن أختتم كلمتى هذه أن أكرر لكم يانه عن الهدى حكومة
وشعنا وبالاصالة عن نصى شكرنا على الروح الطيبة التى أديتموها لتلييتكم دعوتنا
للاشتراك فى هذا المؤتمر، وإنه لى دواعى سرورا أن راكم بين طهرايا وأملى
أن تتكرر رباراتكم لهذه البلاد التاريخية. وثقوا أن ريارتكم لا قد أحكمت أواصر
المودة والصداقة بينا، وأثارت اهتماما ببلادكم وشعوبكم وحتاما اسمحوا لى أن
أؤكد لكم أن الهدى من ناحيتها تقر دون تحط، الأهداف والمثل التى تافح
عها مطمة اليوبيسكو، وأها ماضية فى خدمة هذه الأهداف بكل ما أوتيت
من حماس وعقيدة.



خطاب نخامة رئيس الجمهورية

في مؤتمر اليونيسكو

إن نخامة رئيس الجمهورية، شري راحندر پرشاد

افتتح المؤتمر بكلمة ترحمها فيما يلي:

يطيب لي أيها السادة! أن أرحب بكم لهذا المؤتمر الذي يعقد لأول مرة في آسيا، وذلك بوصفكم ممثلين لمختلف اللدان المتتسة لعضوية منظمة اليونيسكو كما يسرى أن أنمي لكم طيب الإقامة، وأن تكون إقامتكم بين طهرايا محدية مشمرة، وأمل أن يكون لديكم متسعا من الوقت لمشاهدة معالم هذا اللد قل عودتكم إلى بلادكم

وإيه لمن دواعي الأسف أن مؤتمرا كهذا تعقده منظمة اليونيسكو، يستهل أعماله اليوم في ظل الصراع المسلح الذي شب في منطقة الشرق الأوسط، وهو الصراع الذي أثار استياء الافراد والامم المحبة للسلام، وإيه لمن دواعي الأسى أن تلجأ الأمم وتعتمد من حديد إلى أساليب العنف كوسيلة لتسوية وحل قضية، تقوم هيئة الأمم المتحدة حاليا بمناقشتها ومعالجتها والتي تذلل في سبيل حلها وتسويتها جهود صادقة من جانب عدد من الدول التي تنسب إلى عضوية هيئة الأمم المتحدة ورعما عما اتانا من حزن وأسى للاقدام على هذه الخطوة المدرة، وما حدث من تحايل لمطمة دولية كهيئة الأمم، وهي التي أنشأت لتسوية مثل هذه القضايا، إلا أنها لعنط عندما تشاهد الرأي العام العالمي يقف إلى جانب هذه الهيئة معلما عن تأييده المطلق لها ومعربا عن سخطه واستيائه للالتجاء إلى وسائل القوة واستخدامها، وفي القرار الذي اتخذته الجمعية العمومية لهيئة الأمم

بأغلبية ساحقة والذى حثت بموحدة على وقف إطلاق النار، وسحب القوات الإحتية من مصر، ما يشير إلى قيام رأى عام عالمى يعارض ويقاوم استخدام القوة.

وأمل أن توفق عناصر الخير العاملة من أجل السلام وإحلال حسن السية فى العالم. وأن توفق لائحات موحوديتها، وذلك بحمل العدوان أمرا مستجيلا، وبأقتناع المعتدين بأنهم لن يحدوا أى معمم من وراء عدواهم. ومن ناحية أخرى أيها السادة، فإن الأوضاع الشاذة القائمة فى البلاد المحرية لعلى حاب من الخطورة كما أنها أثارت محارو وقلقا لجميع الدول المحبة للسلام والحرية.

وبما لا شك فيه أن مطمة اليوبيسكو تحتل مكانة الصدارة بين مؤسسات والمططات الأخرى التى أقامتها هيئة الأمم لتحقيق أهدافها. وإذا مادربنا إلى تحليل العقل أو الفكر البشرى، واستعرضنا الأحداث الماضية، كما دوها التاريخ لشاهدا أن حمل الانسان، وعدم معرفته بوسائل الآخرين من أقرانه، وعدم إلمامه سمط معيشتهم تعود إلى تعصه، وشكك وعدم ثقته بهم. والواقع أن هذه العوامل بأسرها قد كانت السبب والدافع للحلافات التى أدت إلى اشتعال نار الحروب بين شعوب العالم، وقد يكون مرد الأسباب المباشرة للحروب إلى عوامل سياسية ولكن الذى لا مراء فيه هو أن هناك أعتبارات أخرى ما فوق السياسية لهذه الحروب كالاعتبارات الاقتصادية والمصرية والثقافية مثلا ولا مدوحنة فى أية محاولة تهدف إلى تحقيق سلام دائم أن تأخذ بعين الاعتبار نادى دى بده ضرورة الاحاطة بالعوامل التى تؤدى إلى التوتر، وأن يعمل بالتالى على حلها وتسويتها. وبما أن مطمة اليوبيسكو تقوم بمعالجة الواحى الثقافية، وهى أكثر هذه العوامل أهمية، فإن الجهود التى تبدلها، وما تحققة من توفيق ونجاح، سيكون لها تأثير مباشر على المحاولات المدولة للتقريب بين دول العالم على وحه أعم وأوثق كما أنها ستساعد بالتالى على إقامة تناسق عاطفى بين شعوب العالم.

وقد لا نفيح لاهسا أن سالع فى تأكيد وأراز أهمية الأهداف والبرامج التى تضطلع بها مطمة اليويسكو، وهى التى تقوم بمعالجة العوامل الرئيسية القيمة باقامة تعاون ثقافى بين الأمم، وبدا تضع ححر الراوية لاقامة سلم دائم فى هذا العالم، وقد يكون من المتفق عليه أن جميع نواحى القضية الاسانية سواء أكانت تريبوية أو عليية أو ثقافية، وهى النواحى التى تعنى بها مطمة اليويسكو، نعم. إن جميع هذا النواحى ذات طابع عالمى بحيث تتساوى قيمتها عدد جميع الأمم المتقدمة أو المتحللة شرقية كانت أو غربية ومن بين النواحى الأخرى المميرة لهذه العوامل أنها ليست موقع أخذ ورد أو حدل ونقاش، وعلى ذلك فمن غير المتوقع أن تختلف الآراء وتتساين حول المشاريع البعيدة المدى التى تهص بها مطمة اليويسكو.

وإن على اعتقاد أنه قد كتب لهذه المطمة أن تلعب دورا رئيسيا فى تهية الشرية بصورة سيكولوجية لمراعاة كرامة الانسان، واحترامها والطر إلى القيم الاجتماعية والمعوية على حقيقتها. ولا مشادة عدما أن الجهود التى تدلها هذه المطمة لاقامة البرهان على وحدة العالم ثقافيا عن طريق التعليم والهوص بالعلوم، سيكون لها أثر بعيد فى تحرير العقول والأفكار الشرية بما علق بها من أفكار ونطريات بالية، وبالتالي ستعمل إلى إزالة التوتر الذى يؤدى عادة إلى الحروب.

إن مهمة تحرير العقل الشرى من الأفكار القائلة إن الحرب شر لا بد منه أو أنها وسيلة من الوسائل التى يلجأ إليها لتسوية المازعات الدولية، رغما عما تلحقه الحروب من دمار وويلات بالعريق المتضرر والمهزم على سواء. أجل، إن مهمة إصلاح العقل البشرى وتحريره من مثل هذه الأفكار هى انجح الوسائل لصمان السلام العالمى، وفى الحين الذى يقوم مجلس الأمن، أو أية منظمة أخرى

من المطبات التابعة لهيئة الأمم بمعالجة القضايا الدولية كلها بررت على المسرح العالمى، فان منظمة اليوبيسكو تقوم من ناحيتها بمعالجة هذه القضايا من أسسها وحدودها، وبما لا شك فيه أن إقامة مراقبة فعالة عند المسع أو الأساس من شأنها أن تحدث تحولا في محريات الحوادث، وتسلسلها، وأن هذا التحول يكون في صالح البشرية وحيرها أن عملية المراقبة هذه تقدر ما هي طبيعة وتقوم على أساس على لأشد ما تشابه عملية مراقبة مياه الأنهار عن طريق تحريها عند مسع النهر، وليس في المناطق التي تفيض فيها مياه النهر لحدث دماراً على طول امتداده.

ومن دواعى سرورى العظيم أن ألس ذلك المدى الواسع من التقدير لأهمية المشاريع التي تهص بها هذه المنظمة. كما يسرى أن أرى جهودها في ميادين التربية، والثقافة. والتعاون الدولى قد أحدث ثؤنى ثمارها، ومن دواعى الاستشعار أن هذه المشاريع الحلوة من ريق السياسة قد أحدثت تستدر إعجاب العالم واعتراه، وقد يكون من سداد الرأى والمفيد أيضا أن ركر اهتماما في النهاية في الواحى العالمية للطبيعة البشرية، وما حادت به القرائح البشرية في ميادين الفنون. وفي رأيا أن ما أقررت قرائح الأدباء، والعلماء في مختلف ميادين الفس والأدب هو بمثابة الشعلة التي تير السيل أمام هذه البشرية التي تتخبط في وسط الظلام الدامس الذى يحجم عليها. وليس يحاف عليكم أن من حصائص الاتاح العلم أنه يتخطى ويختار جميع الحواحر سواء كانت سياسية أو عصرية أو قومية. وفي هذا ما يحمله مصدر إعجاب عالمى ولعمرى إن الوحدة البشرية، ووحدة الأمانى والأهداف المشتركة لتتحلى في هذا السع الفياض. وفي راني أن مهمة إررار هذه الوحدة وتأكيدها بحراً وسالة، وعلى وحه يتسى معه للره أن يتعرف إلى أقرانه بصورة أعم وأوسع، وبالتالي يتسى له أن يتعرف إلى

نفسه، ويدرك كلها وحقيقتها تمام الإدراك، هذه المهمة في رأيي يجب أن تحظى بالأولوية من اهتمام هذا العالم الذي مضت عليه أحقاب من الزمن، وهو يتردى في هاوية الخلافات والممارعات والعمل على إرارها.

إن المشاريع البعيدة المدى التي وصفتها مطمة اليويسكو وأعدتها، توصي بأنها ستسد حاجيات الجنس البشري على أكمل وجه، وإن ما تعمل المطمة على تحقيقه من إررار أهمية تبادل المعلومات والعراف، ليتمكن البشري من أن تهل من معين القرائح البشرية، لتعارف على الوجه اللائق. هذه المشاريع هي موضع الترجيب والتقدير، كما أن الوسائل التي تلجأ إليها المطمة لتحقيق هذا العرص، كتطيم الدراسات، والمؤتمرات، وإنشاء المكتسات، وإقامة المناحف وش الحملات لمكافحة الآمية وغيرها، ستكون ذات فائدة للمطمة في مساعدتها على تحقيق رايحها

وإني لآمل أن تؤدي المداولات التي قام بها المؤتمر إلى دعم، وتقرير، وإررار الحقيقة الجوهرية على شكل أوسع، وأمل أيضا أن تساعد هذه المداولات في تعشة جهود الأمم جمعاء في سبيل التعاون الثقافي والعاطفي في ما بينها وإقامة سلام دائم عن طريق الهوص بالعلوم وأشعاع الثقافة والعراف.

وختاما، فاني أتمنى لهذا المؤتمر التوفيق، كما أرجو له أن يتمكن هصل مداولاته وأبحاثه والتألف التي يتوصل إليها أن يسير بالعالم ويقرره من أهدافه الرامية لإحلال التعام بين الأمم وإقامة دعائم السلام.



العلم والديموقراطية والاسلام (للأستاذ همايون كير)

تعريب الأستاذ السيد عد الخالق القوى

إن تقدم العلم ونماءه يتوقف على ثلاثة تصورات أولها أن الكون بأسره كل متحانس الأحرار لا يقل التفرقة والانقسام، وليس له أحرار تحصع للنواميس المتساعدة وثانيها أن يعتقد الانسان أن نواميس الطبيعة متساقطة لا يتطرق إليها التعير والتحول، وثالثها هو الاعتقاد اللارم بتقدير الأحوال العردية فادافات شرط من هذه الشروط الثلاثة فلا يمكن أن يردهر العلم اردهاراً عمومياً، وإن وحد هاك نعص الأمثلة الشادة كوجود كمار العلماء النابعين

والتصور الأول والثاني من هذه التصورات الثلاثة يشترك بعضه بعض، كما هو طاهر، وتتمير أوضح يمكن أن يقال. إن التصورين الأولين إنما هما وحيان لحقيقة واحدة. ويستحيل أن تصور قابولاً كوبيا شاملا بدون أن نعتقد أن الكون له وجود واحد فقط ولو كان هاك وجودان أو أكثر لكان هذا التعدد ميباً على امتيار ينبيء أن هذه الأكوان تسبطر عليها نواميس مختلفة، وكوبية النواميس إنما تتوقف على وحدة الكون: فواميس الطبيعة لا يمكن أن تكون على نسق واحد ما لم تكن الطبيعة المعيرة عنها متحاسنة في نفسها.

وعقيدة وحدة الكون تنتقض بوحين كما سري. فادا اعتبرنا الكون معترك آلهة متعددة تنافس وتراحم بعضها مع بعض وتتحدى سلطاتها، فمن الطاهر أن وجود النواميس المتجانسة المستحدودة على هذا الكون اللاهائي سيتنى من تلقاء نفسه. وكذلك تنتقض هذه الوحدة الكونية إذا اعترفا بأن هاك فارقا بين

الطبيعى وبين ما هو حارق للطبيعة . فإذا كانت الطبيعة عبارة عن مناطق متباينة فلا بد من وجود بوايس متاعدة مختلفة لهذه المناطق المتباينة، مع أن الأمر ليس كذلك . فينتهى هذا البحث إلى أن اعتقاد وجود عالم واحد لم الشروط الأساسية للارمة لتقدم الفكر العلمى .

وهذه الفكرة المبينة على وحدة الكون تعبر عن داتها فى العقائد الدينية . فان معظم الأديان القديمة قد اعترفت بوحود آلهة متخاصمين . ولكل منهم إقليم خاص من هذا الكون يعد فيه سلطته المطلقة . فكان هناك إله للجمال، وإله للحرب، وإله للعنات وهلم حراً .

وكتاب العهد العتيق يبين لنا بعض المعالم للأوضاع السائدة آنس . فبرى رسله يدعون إله آباءهم ويستجدونه للتعلب على آلهة القوم الآخرين . وتقدم الروى ومصبه استبدل هؤلاء الناس الآلهة الكثيرة بعقيدة إله واحد، وهو الله الواحد الأعلى القادر على كل شىء . فكل الأديان تطهر برعتها إلى قول وحدانية الله بعد ما كانت تعتقد بتعدد الآلهة، فأصبحت تؤمن بالله الواحد ولكن هذه الطاهرة لم تكن فى دين من الأديان أوضح مما كانت فى الأديان السامية التى نشأت فى الأراضى الرملية، وترعرعت فى الصحراء القاحلة . وليس ذلك مما يثير التعجب فان الصحراء الواسعة المسطحة مع سمائها الممتدة المحيطة على الميادين الممتدة الأرحاء تحيل إلى الدهس . بأن الكون وحدة لا يتطرق إليها التحرى والانقسام . فكل الفوارق تتلاشى فى الصحراء، ويتمالك على حواسا شعور بوحود شامل تعدم فيه كل التشخصات .

فوحود الله الواحد يرشدنا إلى أن الكون واحد ولابد أن يكون لهذا الكون قانون واحد فقط، وكذلك عقيدة وحدة الله تعالى من الشروط الأولية الأساسية لاشتاق نور العلم واهجار بابيع المعرفة . بيد أن هذه العقيدة وحدها

لا تضمن للعلم والمعرفة ولاتساع آفاق الفكر الاساسى عايته المشودة . يرى أن الأديان السامية القديمة لم تتعلب فيها عقيدة وحدانية الله تعالى على التفريق القائم بين الطواهر الطبيعية وبينها هي حارقة لها، ويدل على ذلك تقديرهم البالغ للمعجرات . وخلاصة القول إن المعجرات كلها متناقضة لما تحرى عليه قوايين الطبيعة المألوفة . فالاعتقاد بالمعجرات إنما هو إنكار لما فى الطبيعة من تناسق ووثام، بل على العكس هو دليل على أن المعول هو القل لا العقل

فالديانة المسيحية واليهودية كلتاهما قلنا المعجرات والطواهر الحارقة للعادة كالعناصر اللارمة لعقيدتهما الدينية . وسلمهم كانوا أشخاصا فوق العادة، تستند عباداتهم ومماسكهم إلى أعمال حارقة للطبيعة . ولم يكونوا دوى القداسة فقط، بل كان لهم عين حمية تستكشف لهم كل ما عاب عن أعين الناس فكأنوا يدعون أنهم يستطيعون نور بصيرتهم الثاقبة وتقوتهم الروحية أن يعبروا بحرى الحوادث فى هذا العالم المحسوس

والحقيقة أن مثل هذه الأعمال الباهرة المتيرة كانت فوق المألوف والعادة وتقتضى الانحراف عن السبب الطبيعية التى هى من سن الله، ولن تحد لسنة الله نحو بلا أو تديلا . وكذلك كانت هذه المعجرات تدل على مواهبهم السامية ومبرثهم الرفيعة .

ويمكن لمثل هذه الحالة العقلية أن تكون ناعثة على نمو الخماس الدينى بيد أنها لا تستطيع أن تسبب التفتح للدهن الاساسى . وبما لا ريب فيه أننا نعلم أن لكل قاعدة شواهدا، ولكن العالم لا يقر له قرار بدون أن يميظ للناس عن وجه هذا الشدود الطاهر . ولعمر الحق أن تقدم العلم يرجع فصله إلى إمعان النظر فى الحوادث التى تلوح كأنها شواد، وأما إذا جعلناها عرصة للتفحص البالغ وجدنا أنها ليست إلا طواهر لناموس أشمل وأعم من الأول .

وعليه فإن الاعتقاد بأن هناك تناسقاً ثانياً في طبيعة الكون هو من الشروط الأولية اللازمة لتقدم العلم وازدهاره فلا يدع العلم حادثة شادة تطغى على حقائق ثابتة مطبوعة في سلسلة العلل والأسباب، وكذلك لا يبيح العلم للعوامل التي هي فوق العادة أن تتطفل على مائدته. فإن مثل تلك العوامل من شأنها أن لا تسلس قيادها للعقل والمنطق فلا بد أن يكون باموس الوحدة الطبيعية مطلقاً لأعلى معالم هذا الكون فقط، بل على مجاهله أيضاً فالعمومية في الدواميس الطبيعية معانها أنها تطلق على الأمور المعلومة كما تطلق على غيرها مما لم يتيسر للعقل البشرى اكتشافها، وهي لا تزال في طي الحفاء.

ولا يعين عى أدهاننا أن مجرد التصور لوحدة الكون بدون أى امتياز بين ما هو طبيعي مألوف وبين ما هو غير طبيعي غريب، لا يحدى بالفع، فيجب أن نجعل كل ظاهرة مفردة موضوع فكراً ونقيم لها من الوزن ما تستحقها. فوليها عنايتنا واهتمامنا.

ولو كان تصور وحدة الكون فقط كافياً لنا، لكان العلم قطع أشواطاً بعيدة في مصمار التقدم نفس السرعة التي سادت بها أدهاننا عقيدة وحدة الله تعالى ولكان العلم في هذه الصورة نظاماً فكرياً فقط تسترح فيه السائح من القضايا العامة بطريق الاستدلال، والحال أن العلم استقرأ بالضرورة

ولم يتقدم العلم هذا التقدم بمحض وضع المبادئ العامة له بل إنما كان ذلك عندما قرنت هذه المبادئ العامة بالحقائق الثابتة أو أرشدت المراقبة لبعض الطواهر الطبيعية إلى وضع نظرية عامة، وصار ذلك سبباً للتقدم العلمى.

فثبت أن الاحتمارات والتخارب لا بد لها أن تلعب دوراً مهماً قبل أن يتخطى العلم إلى ساحة الوجود، وكذلك من اللازم أن تحول عناية الانسان من التفكير في ماسح الحياة الأخروية إلى التأمل في هذا العالم المألوف، ومن الامعان في

الفلسفة السامية والمباحث المطقية إلى مشاهدة ما فى هذا العالم المحسوس من حلال وروعة فى اختلاف الليل والنهار

وإن الفرد من الأهمية مكان عظيم لانماء الفكرة العلية لما يلبس من الحاجة الماسة إلى مراعاة كل قانون عمومى من قوانين الطبيعة، وذلك مما يهيج لنا المواد للطريقة الاستقرائية أو التحريية فان الفكرة الاستدلالية تقتنع بانماء ما يتصممه التصور غير عانة بجميع الاعتبارات، اللهم إلا ما كان من النوع الداخلى

أما الفكرة الاستقرائية فهى تواحه التصور مرودة بالتجارب لأن التصورات كلها تكون ذات طبيعة عمومية، عندما تكون التجارب دائماً ذات صفة خصوصية خلاصة الفحص هى مرجع يستند إليه فى المبادئ العامة لاثبات حقيقة خاصة فان الاهتمام بحادثة مفردة إنما هو بمثابة الأساس لتقدم العلم.

ومادامت الحادثة المفردة تناهض وتحدى فالتجارب أقدارها كأساس لكل أنواع المعرفة، وإلا هدوها لا تنق لها أقدار ولا يقام لها وزن وعسى أن توحدهوة واسعة عميقة يعسر ردمها بين الحقائق العقلية والحقائق التحريية. وإذا كان من الممكن بناء المعرفة بجميع أشكالها على أسس من الحقائق فانما سيعود بطريق معرج إلى حيثما تكون الحقائق العقلية بمنازة عن الحقائق الواقعة وقبل أن نخوض عمار العلم يح أن يقهر الفرق القائم بين الطبيعى وغير الطبيعى، وكذلك يتحتم علينا أن ردم الهوة التى توحده بين الحقائق العقلية والحقائق التحريية حتى يمسح المحال لعمو العلم وتقدمه.

هذه الشروط الثلاثة: أعى وحدة الطبيعة وإبكار الفرق بين الطبيعى وغير الطبيعى، ثم الاعتراف بالفرد، إنما هى لمن العناصر الأولية للارمة لعمو العلم، فإذا فاعامل من هذه العوامل الثلاثة فاع عصر هام لارم للأراج العلى. ويمكن لوانع الرجال وعباقرتهم أن يستشفوا مصير العلم، وما يؤول إليه من حلال هذه

القرائن . ولم يحط العلم خطوات مطردة في سبيل الرقي وثقيت الأمور جارية على هذا الموال حتى مستهل الألف الثاني من عصرنا هذا .

ولا مرا . في أن العالم قد شهد العلماء النابيين والمفكرين البارعين في هذه الحقبة من الزمن الذين همصوا في الهند والصين وفي مصر واليونان وزعوا كأنهم يحوم معثرة في هذه القبة الرقاة . تألق كل واحدة معرلة عن أخواتها بكل روعة وحلال

إن الألف الثاني من هذا العصر هو عصر على متفوق بدون حدال ، وقد رأى هذا العصر أعظم تقدم في المثل الديمقراطية وهذا التوارى بين تقدم العلم وبين الديمقراطية ، لم يكن على سبيل المصادفة بل لأن القوايين السياسة والأقدار الأدبية صار إطلاقها كويا كتيحة لعقيدة التحاس والوحدة في هذا الكون اللاهائي كما أدى الاهتمام بالرسل وأعداد الناس إلى الاعتراف شرف الفرد الدشرى في المجتمع

وإذا حاولنا أن نأخذ الأفكار الديمقراطية بالتحزئة والتحليل ، وحدنا أن أول مبدأ يسترعى انتباهها هو مبدأ وحدة القانون ولا يمكن أن توجد الديمقراطية ، إذا لم يطلق نفس القانون على الجميع . وعلاقة هذا المبدأ بالوحدة الألوهية في الفكر الديني واضحة تمام الوصوح لا تحتاج إلى تفسير . وتصور وحدة الله لم تدركه الانسانية إلا شق الأنفس ، وبعد مضى الأحقاب . وكذلك استعرت الانسانية عصوراً طويلة قل أن تصل إلى مبدأ وحدة القانون لكل فرد من أفراد المجتمع ، وبعبارة أوضح إن تصور وحدة القانون لم يحصل إلا بعد ما تأسست عقيدة وحدة الكون . فلو كان هناك آلهة كثيرة بسلط كل منهم هوده على إقليم خاص من أقاليم العالم لما أمكن إطلاق قانون واحد على جميع الناس .

وعقيدة تعدد الآلهة توضح لنا معنى التساخر الطاهرى بأن الظلم الذى تلوح لنا ديموقراطية المسى والأصل لا تلك أن تكشف القاب عن وحها إذا حصاها وأخذناها بالحث والتقيب، فادا هى تنافى تمام المفاة تصور وحدة القانون كما رى فى نظام الحكم عد الاغريق الذى طالما يوصف بأنه كان ديموقراطياً، ولكننه، والحق يقال، يمار من أساسه، إذا وصماه على محك الاختار حيث هو يعترف بالقوانين المختلفة لمختلف طقات الشعب، موحود الفرق بين العد والحر إنكار لعمومية القانون فى هذا الكون.

وأما القانون عد الرومان فكان مبدا على المدارح فى الحقوق، وعلى الالتزامات التى كان أساسها الاختلاف فى الرتب لمختلف أعصاء الدولة، والمواطن الرومى كان يتمتع بحقوق لا سبيل إليها لمن هم أقل منه حظا.

إن الديموقراطية لا تصمم للقانون وحدته فقط، بل تستلزم التساوى لكل أحد أمام القانون. وليس ذلك فى الحقيقة إلا نتيجة للبدأ الأول، وعلى كل فانه يؤدى إلى إنكار مقاييس الشرف وموارئ الكرامة من جهة الاحساب، ومن أنه كان هذا الانكار أول ثعرة فى سور الشرف المرموم.

والمجتمع البدائى كان الحكم به للتقاليد والمراسم، وهذه التقاليد تنمو وتنشأ بطريق التكرار فى الأحوال المتشابهة وبالتالى تصفو لوباً من القدسية على درجات الناس وممارهم لأن كل ما تكرر تقرر، والتقليد يابس حلة قشبية من الحكم الجاهلى الذى ينكر ما فى نفس الحكم من المعقول ويبقى كثير من الشرائع والنس بدون أن يتصدى أحد لاستكشاف تلك المادئ التى تتضمنها تلك الأحكام والشرائع. ثم التقاليد عرضة لديدب الاختلاف إليها على مر الدهر وكر الأيام فكلماً اختلف التقليد اختلف القانون لمختلف الناس فى ماسبات متباية وأحوال مختلفة.

وما دام التقليد مبدأ للحكم، لا بد أن يقسم المجتمع إلى درجات وطبقات، لكل طبقة حقوق وإميازات خاصة بها دون غيرها. ولا يمكن تسوية المجتمع وتوحيده بدون تطبيق القوانين العقلية على أحوال الناس. فإن الاعتراف بالمبدأ القائل بأن للولك حقوقاً سماوية، هو طعنة قاصية في صميم مبدأ التساوي أمام القانون. ولم تتمكن أوروبا من رفضه هائياً إلا في القرن السابع عشر. والمبدأ القائل بأن نفس القانون يطلق على الكل نفس الطريق، يمهّد السبيل إلى انقلاب في واحة الطر الاساسية، وهو يقيم الاقتناع مقام السلطة، والعقل مقام الوحي والالهام وهذا الانقلاب أتى مع اعتراف شرف البشر وكرامته.

وقد سبق أن لفتنا الأنظار إلى الاصرار على أهمية الفرد الشاد العذ في الفكرة العلية، والأهمية الآحدة في الازدياد في الطرية السياسية والتطبيقية هي نتيجة مباشرة لما سبق. وما دامت الفكرة ذات صعة استدلالية، ويطيب للعقل أن يلم بالمحددات والكويات فيصعب على الفرد أن يعيش من أحلبا. والقدرة على إفاء الحاص في حصم العالم، تحر إلى احتمال عدم المساواة وعدم التساوي في الاحتماع. ولكن العلم يثور على مثل هذه الفكرة الاستدلالية ويمح للفرد حقه لأنه لا يملك يدعو إلى إقامة نظام العدل والقسط وهذا النظام العادل كما رأينا هو إثبات الحاص في وحه طعيان القانون العام، فلا يمكن أن تصور الديمقراطية المحنة في مجتمع يكون فيه الفرد الحاص إمعة لما هو كوني.

ولا بد أن نصرها تناقضا من تناقضات الديمقراطية التي تبدو للبيان. فمن التصورات الاساسية في الديمقراطية إثبات كرامة الفرد، وهناك تصور ثان كذلك، لا يقل عن الأول في كونه أساسيا، وهو تغلب إدارة الأكثرية على الأقلية، ومن هنا ينجلي هذا التناقض ويتضح لأن التصور الثاني إنما هو نتيجة منطقية تترتب على الأول.

وإذا كان الأفراد كلهم متساوون أمام القانون ويتمتعون بالوحدة المتساوية، فمن الطاهر أن أية إرادة مهما كان شأنها، ليس لها أن تسيطر على أية إرادة أخرى. وإن اختلفت الآراء وادعى أحد منهم بحصافة رأيه، فلا بد أن يكون مصيره الاستسكار والاستحفاف لأنهم يقررون الحكم بتعداد الرؤوس وكمية المصوتين لا بكمية الرأي وأصالته.

وطهرت أهمية الفرد نادى دى بده عد تشريع الحقوق السياسية، وكان التصور القديم عد الهدوس يشدد على الطائفة ويرها مبرلا مرهوقا، ولو كان فيه إهمال للفرد أما الاسلام فجاهد حق جهاده لاعطاء الفرد أكبر نصيب من الحرية بدون أن يفسح المجال أمام مطالب المجتمع، كما أن التصور الصبى يتطلع إلى بيل غاية التوارى، عندما كان هذا التصور فى أدوار المسيحية الأولى قد أصر على حرية الفرد إلى درجة أدت فى بعض الأحيان إلى العدمية والفوضى وعلى كل فان الفرد كان يرسف فى أعلال العودية ويرزح تحت أنقاص المجتمع حتى مستهل القرن السابع عشر، وكان فى هذا العصر نفسه أن وصفت أوروبا الفرد موضع التجدى من المجتمع.

وكان لحركة الإصلاح التى قام بها المصلحون فى أوروبا وللرسالة الدائمة أثرهما الملحوظ فى تشجيع الفرد ومنحه الحرية، عندما كانت العقلية المسيحية القائمة على تصور ما قبل الإصلاح تطالب الفرد بالامثال بأوامر الكيسة، أما المجتمع الانقطاعى، فعرض على الفرد أن يخضع للالتزامات التى تترتب عليه من جهة ميلاده فى أحط بيئة منزلة ومستوى، إلى أن ثارت ثائرة الناس على مثل هذه الحواجز والفوارق، ومهدت السبيل إلى حريتهم فخرحوا متصرين على أكوام تلك الحدود والحواجز.

ومن الخطأ أن نعتبر هذا التصور انتزاعيا محضاً، فان الحقيقة الموحدة لهذا

التصور تقع في اتخاذ كصورة تطبيقية، وفي حوضه عمار الاقدام . وكان المجتمع يتمتع بأهميته في التصورات الدائية إلى أن بلغ غايته القصوى لدى الدول المستبدة الطاغية التي لا تقل المعارضة بتاتاً .

وهناك طريق آخر ينتهى به ظهور العلم مباشرة إلى إيماء الديمقراطية، فدى في الأزمان العارة أن تصورين لحقوق الانسان يسيران حساً إلى حب ولا يطلع الواحد على الآخر، حيث لم تكن مرافق المواصلات توجد عندئذ . وكانت توجد كذلك أنظمة للحقوق، مختلفة لأشخاص مختلفين في حدود نفس الملاد وتحومها . كما لو كان نظام التمدين صورة مستقلة لهذا الكون، والطبقات المنصوبة المسلوقة فيه لم تكن تعرف هذا الاختلاف في نظامها التة، فلا بد لها من الاستسلام للأقدار الحمية والمصائر المحمولة . حتى جاء عصر العلم والدور، فلم يرص أن تستمر الأحوال حارية على مثل هذا الموال . حتى رأينا أن كل ما يحدث اليوم من حوادث في ماحية من نواحي العالم لا بد أن يسمع له تحاوب في أنحاء العالم الأخرى، لأنه لا يمكن أن تطل أقطار العالم اليوم بمعزل عن غيرها بفصل إرتقاء مرافق الحياة، فحس في عصرنا هذا على مرأى ومسمع من كل ما يحرى على وجه الكرة الأرضية ومقارنة الأحوال بين الأقاليم المختلفة تقتضى مماثلتها لا بين الأقطار المختلفة فقط بل بين حدود كل قطر، فلم يق للتصورات الانسانية المختلفة أى محل في ديا العلوم العصرية .

وغنى عن البيان أن المجتمع مهمته أن يضمن للفرد حاجته إلى الصيانة، ويقوم بالسهر على حرياته، حيث أصبحت الحرية تصوراً اجتماعياً بالضرورة، وليس لمثله أية أهمية خارج نطاق المجتمع . ويرى عدد نزول الشدائد والملمات أن مطالب الصيانة تحور الأسقية على مطالب الحرية . وكلما تم للفرد أقل مطالب الصيانة فانه لا يلت أن يعلق أهمية عظيمة على مطالب الحرية، وهذا هو مصدر الأهمية

العظيمة للديمقراطية السياسية . وعلى المجتمع أن يعين كلا الهدفين : الحواش
الاساية على أقلها ، وحدود السلطة ، والحكم التي يخولها للدولة حتى تتمكن من
تقرير مصيرها على ما يرام .

وبما لا مرأ فيه أن الديمقراطية السياسية تفقد كثيراً من أهميتها ما لم تح
لها الحرية الاقتصادية والاجتماعية . وعلى الرغم من ذلك لا تتلاشى الحرية
مأسرها ، بل تنق وتعيش ، ويرحى لطاقها أن يتسع . وإذا لم يكتب القاء
للمدوقراطية السياسية ، فامكانية الديمقراطية الاجتماعية والاقتصادية مصيرهما إلى
الروال لا محالة . ويظهر من ذلك أن الديمقراطية السياسية هي أساس لكل
دعاوى الفرد .

ومن طواهر العلم المعروفة أنه لا يقتنع ولا ينتهى إلى حد ، بل يسر الأعوار
ويحوض عمار هذا الكون اللانهائى لاستكناه حقائق الأشياء الغير المألوفة . ومعنى
ذلك أن العلم لا يدع الأفراد والشواد تنبه في وديان الكارة والهل . وهذا
يدل على أن للفرد مكانة ممتازة تحاه الواميس العامة . فان مطالبة الفرد بحريته
في ديموقراطية ، إنما هي صورة إثباتية صامدة أمام ما يفرص المجتمع على الفرد
من إرادته . لأن التحاس في طبيعة الكون يقتضى بأنه لا يمكن أن طائفة أو
فرداً يعامل معاملة استثنائية خاصة ، فتفصيل العص على العص هو بما لا تؤيده
طبيعة الكون . ولو أطلقا نفس هذا القانون على السيرة الشرية ، حصل لنا
الديموقراطية الحقة الحالية التي تحمل الناس كاسان المشط ، ولا تفصل بعضهم على
بعض ، فهم سواسية أمام القانون . وكل ما يلوح لنا كمرآح على في عالم الفكر هو
عين الروح الديمقراطية في عالم السياسة . فالحقيقة واحدة في كلتا الحالتين ، إنما
الفرق في الاعراض لا في الجوهر .

ومن أكبر الانتصارات التي نالها الانسان منذ القرن السابع عشر إلى يومنا هذا

هي عبارة عن إزدهار العلم إردهاراً لم يسبق له مثيل، وعن بروز الفكرة الديمقراطية إلى حير الوجود. وليست هذه الانتصارات ضرباً من ضروب المصادفات، بل كانت بواردها تلوح وتدو من مستهل هذا الألف من العصر الحاضر. وبما بلغت الانظار في هذا الصدد هو أن هذا التقدم في ميدان العلم والسياسة، لم يزل ولا يزال يحطو بخطوات ثالثة وثيدة على سبيل الاطراد، فيحاوز كل العقبات والعراقيل التي يلقاها في طريق الرقي، فمن المظاهر اللازمة للتقدم العلى تواصله واطراده. فكل حيل من الأحلاف يتوارث كل ما قام به أسلافه من الأعمال العظيمة، ثم يقوم هذا الجيل بدوره ويبحر من الأعمال ما لم تستطع الأوائل. ولا يقف الجيل المتوارث عند هذا الحد بل يضيف بمجهوداته شيئاً كثيراً إلى ما وصل إليه السلف. وإن الانقطاع المعاقق لسلسلة التقدم — إذا فرصاه — معناه الصراع التام لفترة من الزمن من الجو العلى، ولو كان مثل هذه الأحوال حارماً قوياً لعقري نابعة على أن يأتى بعض الاستنتاجات العظيمة فتقدم العلم واستمراره على مدى ألف سنة مصت هو حقيقة ثالثة لا تنكر، وهي تدل على أن هناك عاملاً قوياً ما غير محرى الفكر الإنسانى إلى الطبيعة ومسانئها.

وقد أسلفنا الإشارة إلى تلك المادى السائدة التى تؤثر فى نمو العلم والديموقراطية كليهما. والتحرئة الصحيحة للتصورات الأساسية فى الاسلام تنتج لنا المشاهدة الواضحة لهذه المادى، وقد قربت هذه المشاهدة بحقيقة ثالثة أخرى، وهى أن التقدم الشامل للعلم يصبح ظهور الاسلام عندما يؤكد هذا الدين على أن هناك علاقة قوية بين تلك المادى وما يجعلها على قول هذه النظرية هو ذلك العدد المجمع من أولئك العلماء الافداد فى الامة العربية الذين طارصتهم من أقصى العالم إلى أقصاه وصاروا نارا على حل، ولم ينقطع تيارهم الجارف وما بذلوه من المجهودات فى سبيل إعلاء شان العلم ورفع مناره منذ ظهور الاسلام.

ومن أول مقومات العلم والديموقراطية، هو وجود العالم ذى الكيان الموحد ولأجل ذلك أكد الاسلام على توحيد الله تعالى، وعلى أن ذاته تعالى هو المحور الوحيد الذى يدور عليه أمر الحكم، ودعى إلى ذلك بصورة لم يسبق لها مثيل فى دين من الأديان. فالاسلام يدعو إلى أن لا إله إلا هو، وتتضمن هذه الكلمة العليا جميع مقضيات التوحيد، كما أنها تشير إشارة واضحة إلى أنه لا يوجد هناك دين إلا الدين الواحد الذى هو دين الحق، بل هو دين هذا الكون بأسره، وما من أمة وما من عصر إلا وقد خلا فيهما بدير. وكل نبى دعا قومه لسلانه. واختلاف الرمان والمكان واختلاف اللغة والأمة لا يستلزم اختلاف الدين، فكل نبى فى زمانه دعا نبى حلدته إلى نفس هذا الدين العطرى الذى دعا إليه الاسلام، ولذلك ينكر الاسلام إنكاراً تاماً للفكرة القائلة بأن فرداً من الافراد هو مؤسس لدين من الأديان، وصرح الاسلام تصريحاً تاماً أن محمداً صلى الله عليه وسلم عند الله ورسوله، وما محمد إلا رسول قد حلت من قلبه الرسل وحرث عادة كتاب العرب أنهم يصفون الاسلام «المحمدية» أو «دين محمد» كما يصفون دينهم «المسيحية». أما المسلمون فيكفرون هذه اللمسة ولا يسلوها بل يؤمنون بأن هذا الدين ليس دينهم فقط، بل هو دين إبراهيم ودين موسى وعيسى، كما هو دين مئات من الأنبياء السابقين سواء نطق باسمائهم القرآن أم لم ينطق.

ودعوة الاسلام إلى العالمية إنما جاءت كتيحة إلى توحيد الله تعالى وتفريده ويعتقد الاسلام أنه كنهج للحياة يصلح للإنسانية دينا فى كل عصر ومصر، وهو الذى يوحى إلى النوع البشرى ما تتضمنه العطرة من المعاني الحقيقة، فلا بد لعقيدة تعدد الأديان أن تزول من الأذهان، حتى يتم لها الوصول إلى ذلك الحلال الأزل، وإزالة أمثال هذه الأوهام من الفكر الإنسانى لهى من أهم ما

كلعت به الرسل

وعليه فان جميع الأديان مبنية على أساس واحد . والاختلاف الظاهر فيما بينها، يعود سده إلى أن التشوية والتحريف تطرق إليها على مر الأيام وكر العصور في بلاد مختلفة . وليس لأحد أن يكر أن الأفكار عرصة للتعبير والتحول على مدى الأعصار والأزمان . وكلما حاولت الفلسفة أن تثبت الأفكار على أسس راسخة وفي صور ثابتة، ذهبت مساعيها أدراج الرياح، ولم تقم لها قائمة . وسبب ذلك هو نفس التعبير الذي يسرى مفعوله إلى كل كائن ما كان فتعبير التصورات كلها تقدم الزمن . وعندما عرفنا طرق المواصلات شاهدنا أن هذه الناحية من رقى الحضارة قد حملت أفكارا تعبیر بأسرع من دى قل، وصار عدم التحقيق من ميزة الأفكار . محورية الاسلام القائلة بأن طبيعة الأديان قد تعبرت مرة بعد أخرى على مر الدهر، ليست بما يدعو إلى الاستغراب . أما ما يدعو إلى الاستغراب إنما هو تلك الدعوى التى طالما عرضها الاسلام بأنه صورة نهائية خاتمة لسلسلة الأديان، وه ينتهى ظهور الأشياء والرسل، ولم تعد هناك أى حاجة ماسة إلى استكشاف الحقيقة الأثرية، بل الاسلام هو الدين الوحيد مد ظهوره إلى أن تقوم الساعة .

إن التأكيد على توحيد الله تعالى، ومن ثمة على وحدة نوااميس الكون قد أزال جميع العوارق القائمة بين الطبيعى وبين ما هو فوق الطبيعة . وقد رأينا تأثير هذه الفكرة فى تقدم العلم والديموقراطية . فاتها قطعت دابر الامتياز بين العلمى والدينى فى حقل التحارب الدينية . والاسلام حائز على القدر المعلى والكعب الأعلى فى تأكيده على توحيد كل طواهر الحياة، فانه بحق هذه العوارق محققاً لم يسبق له نظير فى عالم الأديان، وهذا الذى جعله لا يفرق بين الدولة والدين، وبين الاقتصاديات والعبادات، فان الكون بأسره مسجد فى

تعبير الاسلام.

فتصور قانون عمومي لكل هذا الكون لم يترك المجال واسعاً أمام المعجزات فكل ما يبدو كأنه خارق للطبيعة إنما هو من صميم الطبيعة، ولو لم يدرك العوامل الكونية المسببة له. وكذلك لم يدع الاسلام مجالاً ليكون الرسول فوق مستوى الانسانية، فهو يرسل هذا الوهم حيث يقول: قل إنما أنا بشر مثلكم. فأكد القرآن مرة بعد أخرى أن محمداً صلى الله عليه وسلم، إنما كان بشراً كسائر بني آدم، تنطق عليه جميع قوانين الطبيعة التي هي منطوقة على إنسان عادي. ويشهد على ذلك ما حدث عند كسوف الشمس الذي وافق يوم وفاة ابنه إبراهيم، فتطيرت به القرش وتشامت وأرادت الاستلام خوفاً على أنفسهم؟ فكانت إجابة محمد صلى الله عليه وسلم ذات طابع عقلي حديد لم يعهدوه، فقال صلى الله عليه وسلم، إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكسفاً لموت أحد ولا لحياته، فاهما يطيعان أمر الله ولا يخفلان بأحزان أحد وأفراحه، سواء كان نبياً مرسلًا أم أحداً من عامة الناس.

وقد سمع العالم بأسره، وهو أحد فلاسفة العرب الأفاضل، والعرب يعرفونه باسم «أويروس» (Averroes) وقد اشتهر بظهوره القائمة على أساس الوحدة في طبيعة الكون، وأسدى هذا الناعة الحليل إلى الاسلام من خدمات ما حاول «اسبينوزا» (Spinoza) إسدامها إلى الديانة العبرية. ويظهر من كتابه الشهير «فصل المقال» أنه سبق اسبينوزا في تصور نواحيس الطبيعة من بعض الوجوه. والقدر المشترك عند كليهما هو الإصرار على وحدة ثابته في نظام الكون. وقد كتب اسبينوزا مقالة بصورة هندسية ليشتمل الوحدة في جميع التصورات. وكان ابن رشد عالماً فلسفياً ممتازاً بيميله إلى الرياضيات في أفكاره فلم يأت هذا التشابه بين هذين العالمين على الصدفة بل سبب ذلك أن موسى بن ميمون، كان من

أعجب تلامذة ابن رشد، فكتب موسى بعض مؤلفاته في اللغة العبرية التي طار صيتها في طول بلاد الأندلس وعرضها، ومنها وصلت هذه المؤلفات إلى علماء أوروبا في هذا العصر. فلا بد أن تكون مؤلفات موسى بن ميمون قد تزلج منها أسطورة وتأثر بها.

إن تصور وحدة الله وإبكار الفرق القائم بين الطبيعي وغير الطبيعي يؤكد لما كونه العقل والمطلق وحيث أن الله واحد، والمطلق يحتاج أن يعرب هذه الحقيقة، فلا بد أن تكون قوانين العقل واحدة لكل كائن ما كان. وقد رأينا فيما قل أن مجرد هذا التصور لا يكفي أن يصمم التقدم المطرد للعلم بدون الاعتراف بالفرد والحرث. ويري في تعاليم الإسلام أنه يهتم بالفرد ويحترمه حرياً على طبيعة الكون إن الإسلام محا كل الفوارق، فلم يعد هناك شيء ما يسميه طبيعياً أو حارقاً لقوانين الطبيعة، فتصور الدين عدد المسالين يقدر الطبيعة وبقيم لها وربما لداتها ولصها ولا لأنها رمز لحقيقة حية.

وعندما يعترف بحقيقة المعلومات التحرية فإن الوجود المختار يستفيق أشد لأن التحري يظهر دائماً في الحقائق المختارة. ويتمثل أكمل ارتقاء للوجود المختار في الشخصية الشرية، وقد اعترف القرآن الكريم بحقيقته القصوى عندما يقول إنا عرصنا الأمانة على السموات والأرض فأبين أن يحملها، وحملها الإنسان وكان الإنسان ظلوما جهولا.

ويدور في هذه المرحلة أن فردية الفرد تتحدى الله تعالى في وحدانيته الساحقة الغالية، فتصدت الفكرة العربية لحل هذه المشكلة على طريقها الخاصة. والفلاسفة الوجوديون حاولوا الاستمرار على التقاليد الأفلاطونية، فصوروا الكون على نظرية ألوهية الكون. وكانت وجهة نظرهم هذه تنافي روح الإسلام السائدة، فإن الإنسان على حسب تعليمها لا يمكن أن يعتبر مجرد عنصر في نظام كوني بل

له منزلة مستقلة بنفسها. أما الفلاسفة اليهوديون فاعتقدوا أن الورد له وجود ثابت، وهو يحافظ على تشخصه حتى ولو عارضه وجود الدات المطلقة ولهم في تمثيل هذه الحقيقة طريقة طريقة فيقولون إن الحوم يمكن أن تحتجب عن عيوننا بوحود نور الشمس يد أن وجود الشمس، ليس له أن يطل وعود الكواكب.

هذا التطيب والتفحيم لحقيقة الورد لم الملاح التي امتارت بها الفلاسفة الاسلامية منذ نشأة أول المدارس الفكرية. وقد اشتد تاثر الفكرة الاسلامية بالفلسفة اليونانية، ولا سيما ارسطاطاليس لكن فلاسفة الاسلام ومكالمه — مع كل ما عديم من التقدير لمطقه — لم يقلوا اهتمامه بطريقته الاستدلال. لمحصة فحاول ان تيمية تفيد المطلق الارسطاطاليسى لانه لا يعترف بما للثيرة من فصل نمو العلم والمعرفة. وأشار ان تيمية أن العلم التحرر هو ماثري داني لا يتحول ولا يتغير. ولا تحتاج ابدأ في الوصول إلى الاعتراف بالوحد المختار إلى الاستدلال المطلق، بل إنما هو معرفة الوحد المختار التي تصع الاستدلال المطلق في حين الامكان، وهذا الذي دعاه إلى رفض المهاج الارسطاطاليسى للصغرى والكبرى في المقدمات المطقية، فأكد ان تيمية أنها غير ضرورية لعملية الاستنتاج.

فعلينا بذلك أنه لم يبق مجال للشك في المطابقة بين التصورات الاساسية عند الاسلام وبين المبادئ التي تحكم في العلم. وهذا ما يساعدنا على تفسير العوامل التي مست للعلم اطراداً مستمراً في سبل الرقي والتقدم منذ أن طهر الاسلام أما السبب في اختفاء العلاقة القائمة بينهما في بعض الاحيان هو هجوم بعض العاصر الدخيلة على الفكرة الاسلامية عند المسلمين. وقد سبق أن أشرنا إلى أن الاسلام مع اعترافه بالتغير الذي يتسرب إلى كل الأفكار الشرية يستثني نفسه من هذه القاعدة الجارية. وقد بحث الفلاسفة المسلمون ليجدوا تعللاً

لهذا التناقض الظاهر، فكان دليلهم على ذلك أن الاسلام قد غير أساس الدين من النقل إلى العقل. فإدام الدين ماؤه على الاعتقاد الاعمى لا بد له أن يكون عرضة للتغيرات والتحويلات التي تنشأ عن الاختلافات الداخلة في سيرة الفرد ومزاجه. فالارمان المتحولة جعلت التغير فيها ضرورياً. ولما استقر ماء الدين على التعقل تحددت روايا التعبير وصاق مجالها. والتعقل حقيقة كوية بطبيعته، فإذا قبلنا شيئاً مرة واحدة لحقيقته في ضوء التعقل، لا بد أن يبقى على حقيقته دائماً، وبما أن الاسلام أصر على التعقل ورفع بذلك الحاجة إلى تكرار الكشف عن الحق بالرسالات المتعاقبة المتوالية.

إن حط الدفاع طريف يدعو إلى الإعجاب به كما هو يتحدث الانظار. فلا مشاحة في القول بأن الحقيقة المطلقة التي تشتمل عليها طريقة هي صحيحة دائماً. وذلك بما يلعب التفريق بين الفكرة والتعبير الذي يحمل هذه الفكرة، فمهما كان التعبير أتم وأكمل، إلا أنه لا يشف عن الفكرة على علاقتها، وسبب ذلك أنه يحتمل أن يكون مع التعبير بعض الالماعات والخواطر وكذلك بعض الارتباطات والاتصالات التي لا علاقه لها بحقيقة الفكرة. هذا من جهة، أما من جهة أخرى فإن الفكرة نفسها يأتي بعض عناصرها أن تنقيد بقيود التعبير وتسل قيادها للبيان. وكلما تقدما في هذا المصير تشتد الازمة ونحسم المشكلة من حراء الفرق القائم بين التعبير والايصال، فهل لنا أن نقتع بالتعبير عن افكارنا ولو بدلنا كل ما أوتينا من جهود واستخدمنا كل ما عدنا من عبارات للافصاح عن افكارنا بأمانة؟ كلا! لأن الايصال التام معناه ارتفاع الفوارق كلها من بين الموصل والموصل. وارتفاع هذا الفرق يراد به الشخصية والداتية التي تقضى على حاجة الايصال وإمكانياتها. ومن ثمه فقد وحب لأصدق التصورات العقلية أن يواحه التواء وتعرحاً لا من جهة بل من جهتين: مرة عند التعبير، وأخرى عند

إيصاله إلى الادهان .

وحيث أن الاسلام يدعو إلى التعقل، لا يمكن أن يبرر الرخص لحاجة ماسة إلى التكرار المتواصل لاررار الحقيقة الأريسية نفس المطلق الذى اقتضى توالى الرسائل لاعلان الحقيقة الكبرى قبل ظهور بى الاسلام عليه الصلاة والسلام فهو يقتضى بعده أيضاً أن تكون هاك بالضرورة عوامل جديدة تقوم ماصلاح ما فسد فى المجتمع وتقريب ما بعد عه . وتأكيده الشديد على التمسك بالعقل بدل العقيدة الفارغة قد أحدث تعبراً بعيد المدى والأثر . فكان الأنبياء السابقون يعتمدون فى دعوتهم على مظاهر القوة العير المألوفة وبوا حكمهم على أساس الوحي فقط الذى لم تكن كهيته فى متناول عقولنا وإدراكنا، أما بى الاسلام عليه الصلاة والسلام، فقد دعا إلى التفكير والتعقل فى الأمور كلها، وبى أساس ديه على المطلق والعقل لا على العقيدة العمياء . فقولاه بانقطاع سلسلة الأنبياء مع إمكان ظهور المصلحين بعده يؤكد ما تم للعقل الشرى من نصوح ما ينتهى إليه عصر المعجزات والعقيدة الفارغة العمياء . ومنه يبدأ عصر الانتصارات العلية

فتأكيد الاسلام على وحدانية الله تعالى كان أساساً لوحهته العلية كما كان بنيانا لسحيته الديمقراطية، فكوية العقل تطالب كافة الناس بعفس التصرف فى الظروف نفسها والوع الشرى كوجود عاقل سواء فى عين الله، فلا فصل لاسان على اسان من حيث الشرية . وفتح هذه الأخوة والتساوى لكافة الأمة الاسلامية ولا للشرية كلها إنما يعود سنده الوحيد إلى أن الارتباطات المكونية لم تكن قد تمت بعد .

وعلى كل فان الاسلام يعترف بتصور التساوى بين المسلمين لا فى الطرية فقط بل فى الحياة التطبيقية أيضاً، فالعمل بتساوى الأقدار الشرية هو عمل فى سنده حليل ونيل، حيث أن إخراج هذا المدأ إلى حيز العمل إنما هو ميرة

يصردها الاسلام قل غيره من الاديان، لأن كل دين يعترف بمدأ أوة الله وأحوة البشرية. وذلك إلى حد التصور فقط، أما ما يتعلق بتطبيقه على معاملة الحياة اليومية. فهذا لم يتم إحصاءه وبقية الآخرة موضوعاً نظرياً لا يتعدى حدود العقيدة فقط، وليس له أى تأثير فى السلوك الإنسانى. فهوارق اللون واللسل، وحوار الفقر والثراء كانت قد أوهمت جميع عرى الأخوة الإنسانية إلى حد لا يوصف

حتى جاء الاسلام، فلم يكن لأعدى أعدائه إلا أن يعترف بأنه قد ألقى جميع العوارق القائمة على أساس اللون واللسل وعلى قاعدة الفقر والعنى بين المسلمين وبحسب كل المحاح فى تطبيق مبادئه الإنسانية على أتناعه على الأقل. ولم يكن هذا التساوى فى نطاق العادات بل عم جميع مظاهر الحياة الإنسانية فصار الويون السود من بلاد أفريقية الحالكه السوداء يتمتعون بالتساوى فى حياتهم مع المتطهرسين من قريش، أو مع الآريين دوى العيون الرق، ودوى الأماء والألعة المؤمنين بعدم التساوى فى الحقوق البشرية، فذهب الاسلام بكل كبرياتهم وسح جميع مظاهر الجاهلية

ويقول «ربار دشا» وهو صادق فى قوله مع الوحد الانتفاض فيه، إن الاختيار الحقيقى للديموقراطية يقع فى تبادل روابط المصاهرة بين الأحاس البشرية المختلفة فان ظهور التساوى فى العادات والماسك لا يعتد به لأن مجرد ارتداء الملابس الطقسية فى الماسات الدينية لا يدل على وحد المساواة الحقيقية. وكذلك تلك المائلة السياسية والاقتصادية التى تبدو مساواة للبيان لا تعنى عن الحق شيئاً فان أمثال هذه المظاهر ليس وراها شىء من الواقعية. وما ظك بأناس يجلسون على مائدة العدا ويظهرون كأهم إخوان متساوون فى الأقدار فهل يدل ذلك على وحد مدأ شامل يعمهم؟ كلا، بل ربما يكون مثل هذه

المظاهر خداعة مأكرة، إنما المحك الحقيقي هو اتصال الصلات الرحمة وتبادل الرواج على نطاق أوسع، وهذا احتار لا تنسرب إليه الحيل ولا تنطرق إليه المكائد، وقد اتحد الاسلام ذلك وسيلة إلى محق الكبرياء وقطع دارها حيث قال لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بدين وتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، فخطم بذلك جميع الفوارق والخواهر بين إنسان وإنسان

وحيت أن الاسلام يرل الحقيقة التحريية مرل الشرف والاحترام، صار ذلك سبباً آخر لاهتمامه ببدأ المساواة الانسانية امام الله والمجتمع. إن تصور الحياة الأحرورية الحالدة يحعلها تتحمل كل اردراء وحطة في حياتنا الدنيا، وإدا كانت الحياة الدنيا ذات أهمية فائقة ويجب على الفرد أن يحقق كرامته في هذه الحياة الدنيا. وهذا بما يوضح أن الطقة الكهوتية ليس لها وجود في الاسلام.

وقد شهد العالم في الرمن العار أن الأنظمة الدينية والاجتماعية السائدة آنذ كانت أرمتها في أيدي الكهنة الذين يديرون دفتها حسب أهوائهم ويعملون أنفسهم وسطاء بين الله وعاده. فكلوا بصفتهم هذه يكسون القوة والاقتدار في هذا العالم المادي، فكانت سلطتهم على الناس أكثر مما يسدوه من الخدمات نحو الإنسانية. وكان هؤلاء هم المصدر الوحيد لكل علم ومعرفة. وهم الذين يستأثرون على ما سواهم بمعرفة الشعائر والطقوس العامة الحفية التي يمكن بواسطتها استرصاص تلك القوى المستورة التي تحكم على مصائرنا. فهذا الطريق كان أولئك الكهان يتمتعون بسلطة على مصائر الناس مطلقة لا يسألون عنها وإدا كانت السلطة المحضة بما يؤول إلى انتشار الفساد، فما طك «السلطة المطلقة التي لا تقع تحت مسؤولية ما، ولا بد أن تفضي مثل هذه الزعامة الكهوتية إلى «الجرشية» (Oligarchy) محافظة قائمة على النفي والاستبداد. فالاسلام رفع شأن الفرد وأعلى منزلته، وحرر رقبته، وخلصه من نير الاستعباد الفكري الصال «العالم هذه

الطاقة الكهوتية وإرالتها من بين المجتمع الشرى.

وحيث أن الاسلام يحث على الديمقراطية، فقد وجد تعبيراً شرعياً لكل ما جاء به من الادعاءات الفكرية التي فرضها على المجتمع فمن مقدمة ما اتحفنا به الاسلام هو الاعتراف بحقوق المرأة الشرعية التي كانت معصومة منذ أرمان سحيقة في القدم، فقد حان الوقت أن تملك المتاع بصورة قانونية والأنظمة الدينية والاجتماعية السائدة قبل الاسلام كانت تحول المرأة مكانة أدية ومبذلة روحية ممتازة بيد أنها لا تقر لها بالاستقلال الاقتصادي الذي أقامه الاسلام. فكانت قبل الاسلام لا تصلح أن تكون لها ملكية، وهذا ما حمل وحودها في الدرك الاسفل من المجتمع، ولم تعد لها مكانة في القانون المدني. ومع أن الاسلام لا يمح المرأة نفس الحقوق التي منحها للرجل، إلا أن هذا الاعتراف بحقوقها هو أول ثمرة في صرح الامتياز الذي كان الرجل يتمتع به حتى الآن فاعتراف الاسلام بمكانتها الاقتصادية المستقلة يسجل انتصاراً للديموقراطية ناهراً على اختلاف الحنسين.

وقد اعترف الاسلام كذلك بأنه ليس هاك شيء أشد خطراً للنظام الاجتماعي من الحور الاقتصادي المستمر. وعدم مراعاة العدل في توزيع الثروة إنما هو السبب الوحيد، لما يوجد في المجتمع من اضطراب وتدمر، وإذا استمر هذا الحور الاقتصادي سينتج على انقسام المجتمع على طبقات تنهى إلى طوائف مختلفة وقبائل متباينة إذا لم تعالج بالعائها وإبطالها في أواها. وهاك طريقتان مكنستان لمع مثل هذه التطورات المشؤومة: أحدهما إلغاء الملكية الشخصية ورعها من الأيدي التي تقض عليها، وقد احتارت الشيوعة نفس هذه الطريقة فكراً وعملاً والطريقة الثانية المتبادلة هي وضع حد لتراكم الثروة وتكدسها وتضييق المجال لها حتى لا تظمن في مستنقعات شخصية بل تستمر في دورائها بين المجتمع. وهذا هو

المدىب الاخير الذى سلكه الاسلام لصمان العدل الاقصادى

وكثيرا ما ينتقد الفقهاء على قانون الارث الاسلامى لميله الى الاسراف فى تقسيم الاملاك، ولحقه الى التعير المتواصل فى اوصاع النطاق الاجتماعى ويصرب بالعربة مثل معناه، أن المسلم إذا مات ترثه حتى قطته. هذا الميل الى التقسيم المطرد للاملاك يؤدى بالتدرج الى تقليل ثروة العى الكسول، هو بئحة لسياسة حكيمة مدرة، وتهدف هذه السياسة الى مع الاملاك من بقائها فى أسرة واحد. والقانون الاسلامى يقوم مقام عامل عدل يمع دحلا غير مكسوب من النمو. كما هو فى الوقت نفسه أداة للاحتفاظ على سيولة الكيان الاجتماعى، وذلك بالتوزيع المتواصل للثروات العائلية

وكانت الاداة الثانية لدوران الثروات الشعبية، نظام الزكاة. ونظام الزكاة أو الدفع الارامى الى بيت مال الامة، هو أداة ثانية تصمم للثروة الشعة أو دوراها والطرية التى تفرص على الاعياء مساهمتهم فى المصالح الاجتماعية ليست محددة. وما اضافت الزكاة إليها من حديد لا يتعدى عن فرص هذا الدفع. ولا تقل منه أهمية نظرية ربط هذا الدفع الى عين مال المعطى وإن سة الاثين والصف فى المائة لما يدفع على سبل الزكاة تترأى لنا صئلة حدا فى سنة ١٩٤٨، لآها فرضت مد ثلاثة عنر قرباً. وليست هذه كليات حسب وإنما هى حقيقة ثانية. إن نظام الزكاة مع قانون الارث يحاهد صد ركود الاموال فى مستقعات الأسرة، وتخلصها من أغلال العائلات والأرباح المستمرة.

وقد سبقت الاشارة الى التوسيع فى أمر الزواج والمصاهرة بين العشائر والشعوب المختلفة الذى أناهه الاسلام لاتناعه. وهذا كما رأياه من قل احتار للديموقراطية وضمان لها ونظام الزكاة والارث الاسلامى يرمى الى هس الهدف. ولا يمكسا غض الطر عن أهمية ما قام به الاسلام من إلغاء الألقاب

العائلية والاعتزاز بالأحساب، من حيث كونه وسيلة لفرض المساواة بين الشعب وإعدام التساوى بين الثروة يؤدى إلى انقسام الأمة على طبقات ويمكن تقليل هذا الميل بأزالة الموحات التى تسبب الامتياز على الدوام. وذلك بالقضاء عليها قضاء كلياً والألقاب العائلية هى من الحوافر القوية على المباهات بالأحساب، هى تدل الفرد فى المجتمع مكانة لا تتفق وموهلانه الشخصية، وإنما أحرزها بمجرد أنه ولد فى عائلة تتمتع بالسلطة على النية الاجتماعية، فالعلاء هذه الألقاب العائلية يحو هذه المعالم كلها، وهو يمحج إلى تركيز اهتمامه على ذات الفرد نفسه وقد سبق البياض للمائلة القرية التى توحد فى تصورات العلم والديموقراطية والاسلام، وما من شك فى أنها تختلف فى الاهتمام بالواحى المختلفة لهذا التصور وهذا الاختلاف بالاصافة إلى أن المادى الأساسية طالما لا تنتج إلى نتائج منطقية، يكون سبباً للتأخر الذى يقع فى مطاهاها.

ومهما كان الأمر فلا بد من اعتناها حركة مشتركة للفكر الشرى، يتعاون فيها دوافع تعميم الوحدة مع تقدم إثبات أهمية الفرد. وأما علاقة الكائنات بالفرد هى مسألة تهم الفلسفة والعلم والديموقراطية على السواء، وكلها تحاول معالجة هذه المسألة بطرقها المتقاربة.



المجلس الهندي للروابط الثقافية

للأستاذ إينعام الرحمان حان، سكرتير المجلس

اتحدت الحكومة الهندية في عام ١٩٤٩ قراراً باقامة مجلس هدى للروابط الثقافية، فكان ذلك اعترافاً حياً من جانبها في حية بالاهمية المتزايدة التي بدت في عهد الاستقلال والسيادة لاقامة روابط ثقافية، وإحلال تفاهم أعم وأوثق بين الهند والملاذ الأخرى. وفي اليوم التاسع من شهر نيسان عام ١٩٥٠ تولى المستر حواهر لال هرو رئيس الوزراء مهمة تدشين هذا المجلس في حطة أقيمت تحت رعاية مولانا أنى الكلام أراد وزير المعارف الهذية الذى أصبح فيما بعد أول رئيس للمجلس المذكور.

ومع أن هذا المجلس يعتمد في تمويله كلياً على الإعانات التي تقدمها الحكومة الهذية إلا أنه يعمل كهيئة مستقلة أما أعضاءه الثلاثون فلا يتقاصون راتباً عن الخدمات التي يؤدونها والعادة أن يتولى الرئيس ترشيح هؤلاء الأعضاء واختيارهم من بين الشخصيات التي برزت في مختلف الميادين الثقافية. ويختار إثنان منهم لتمثيل الجامعات الهذية، وأحراى لتمثيل اللذين الدس يؤلفان الفروع الاقليمية التي أقامها المجلس، وهناك مدوب لكل معهد من المعاهد الثقافية والتعليمية المختلفة في البلاد ممن تعترف بها الهيئة الادارية للمجلس لهذا العرص.

أما الهيئة الادارية فقوامها خمسة عشر عضواً، وهي تصم الرئيس وثلاثة من يشغلون مناصب الرئاسة سيانة، وهؤلاء هم المستر آشاريا كاكا كاليكار، والأستاذ همايون كير من أعضاء البرلمان، والمسترك. علام السيدين مستشار الحكومة الهذية للشئون التعليمية. أما الرئيس ونائيه الثلاثة فهم يتولون مناصبهم بصورة

غفرية لمدة ثلاثة أعوام قابلة للتحديد. ويمارس المجلس أعماله عن طريق الهيئة الادارية وعدد من اللجان كاللجنة المالية، ولجنة النشر، واللجنة العاملة، واللجنة المؤقتة وغيرها من اللجان التي يستتب المجلس إقامتها من وقت إلى آخر.

أما العرض الذي أنشأ من أحله هذا المجلس كما نصت عليه أحكام دستوره فهو إقامة روابط ثقافية بين المهد والبلدان الأخرى والعمل على إعاش هذه الروابط وتعزيزها، وسعيًا منه لتحقيق الاهداف التي يتوحيها. فان المجلس قد عمد إلى نشر المعارف والثقافة المهدية في البلدان الأخرى ومساعدة هذه البلدان على تفهم هذه الثقافة والعرفان وهضمها على وجه أعم وأوسع هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فان المجلس يعمل على تشجيع إقامة مناقشات تدور في المهد حول ثقافات البلدان الأخرى وبوحي عرفاتها، وقد ورع المجلس النشاط والأعمال التي يقوم بها في الوقت الحاضر على ما يريد عشرة شعب - أربعة منها حرحت إلى حيز الوجود عندما تم تأسيس المجلس. وهذه الشعب هي الشعبة المختصة بشئون منطقة غرب آسيا، والأخرى المحيطة بشئون حوض شرق آسيا، وثالثة للشئون الايرانية. أما الرابعة فتألف من مكتبة وغرفة المطالعة الملحقة بها وقد تسمى للمجلس منذ ذلك الحين أن يصم إلى دوائره ست شعب أخرى من بينها شعبة الطلبة، والشعبة الأفريقية، وشعبة منطقة الكريمان.

وهي التي تم تأسيسها في أعوام ١٩٥٣ و ١٩٥٤ و ١٩٥٥ على التتابع. أما الشعب الثلاثة الأخرى، فهي شعبة النشر، وشعبة الشؤون الأوروبية، والثالثة للشئون الأمريكية. فقد خرجت إلى حيز الوجود في السنة الحالية. وفي نفس هذا العام أيضا أعيد تسمية الشعبة الايرانية بحيث أصبحت تعرف بشعبة اللغة والثقافة الايرانية، وقد أقدم المجلس على هذا الإجراء في محاولة منه لتوسيع نطاق الشعبة بحيث تضم البلدان الأخرى المشمولة بهذه المنطقة، والتي تأثر سكانها بالثقافة الايرانية.

وقد يتعدر علينا وأهداف المجلس على ما هي عليه من التعدد والشمول أن نحدد نطاق النشاط الذي يقوم به المجلس ولما كانت العلاقات الثقافية تقوم في الدرجة الأولى على إحكام الاتصال بين الأفراد أكثر منه بين الحكومات، فإن المجلس يسلم أن أولى واجباته الاعتراف بأى نشاط من شأنه أن يدعم الاتصالات الشخصية ويعبرها، مع العمل في هس الوقت على أن يؤدي هذا النشاط بكيته إلى عكس صورة عادلة شاملة عن الهدى واللدان الأخرى وبالعكس.

ومن بين النشاط المتعدد الذي يقوم به المجلس تنظيم عمليات تبادل العلماء وكار رجال الفكر والطلبة مع اللدان الأخرى، والاحتفاظ بمقاعد لتدريس الشؤون الهندية في مختلف الجامعات، وتعيين الأساندة والمحاضرين لتدريس اللغة الهندية في الخارج، وأهداء المؤلفات، والأفلام الهندية لللدان الاحية، وإقامة الحفلات لاستقبال كبار الضيوف والروار الذين يعدون على اللاد والاحتفاء بهم. ومن ناحية أخرى يعمل المجلس إما مفردا أو بالتعاون مع المطات الأخرى، لعرض الأفلام الهندية وإقامة المعارض وتنظيم حلقات دراسة، كما يشرف على مهمة استقدام العثات الودية من اللدان الخارجية وإعداد العثات الودية الهندية إليها، ومن ذلك ما حققه المجلس من استقدام نعمة ودية من يوعدا قامت بزيارة الهند في شهر آدار من عام ١٩٥٦. وتستعين الحكومة أحيانا بالمجلس كأداة لتقيد أحكام الاتفاقيات الثقافية القائمة بين الهدى واللدان الأخرى

وقد تسنى للمجلس بفضل راح الشر أن يحقق الأغراض التي يتوحيها. ومن راح الشر هذه اصدار مجلتين كل ثلاثة أشهر: إحداهما باللغة العربية وتعرف بثقافة الهند والأخرى بالانكليزية وتعرف بمحطة الثقافة الهندية الآسيوية. ويشرف المجلس في نفس الوقت على اصدار مجلة ثالثة باللغتين الايرانية والانكليزية تعرف بالمجلة الهندية الايرانية. ويقوم توزيع أعداد كثيرة من هذه المجلات على

المكانات والمعاهد التربوية والثقافية ورجالات الفكر والأدب في جميع أنحاء العالم. وعلاوة على ذلك كله يشرف المجلس من آن إلى آخر على شرب بعض الوثائق والمحطوطات، وغير ذلك من مؤلفات قيمة عن الهدى، كما يشرف أيضا على وضع ترجمات باللغات الأجنبية لمقتطفات من روائع الأدب الهدى، ونشر المؤلفات والكتب الصغيرة التي تعالج مواضيع تتصل بمبادئ الثقافة الهدية المختلفة. وهناك مشروع قيد الدرس لتوحيد وربط رايح الشرودعها، ومن المحتمل أن يقوم المجلس بتنفيذ هذه المهمة في المستقبل القريب

أما مهمة رعاية مصالح الطلبة الأحياء الذين يتلقون العلم في المعاهد الهدية والسهر على راحتهم فتشكل جزءاً هاماً من أعمال المجلس، وقد عهد المجلس بهذه المهمة إلى الشعبة المختصة بشئون الطلبة الأحياء. وهذه الشعبة تضطلع بواجباتها وفقاً لتوجيهات الحكومة الهدية وإرشاداتها، وبالتعاون مع معاهد الدراسات العالية المختلفة في البلاد وتعتبر عملية تنظيم المحميات الصغيرة للطلبة والحلقات الدراسية والدورات الاجتماعية من بين الأعمال التي تقوم بها هذه الشعبة بصورة منتظمة.

وقد أحد المجلس على عاتقه مؤحراً مسؤولية تنظيم دراسات أو فصول توجيهية ترمى إلى مساعدة الطلبة الأحياء على التعرف والامام لمختلف نواحي الحياة الهدية، وذلك في مختلف المراكز. وسعيًا من المجلس لتسهيل مهمة هذه الشعبة فإنه علاوة على ما قام به من تعيين موطف مركزي لشئون الطلبة، فقد نادر أيضا إلى تعيين موطفين أقليميين للمناطق الغربية والشرقية والحيوية. واتخذ من كلكتا وبومباي ومدراس مقراً لهم. وتحتصر مهمة هؤلاء الموطفين سواء في المراكز والأقاليم في رعاية شئون الطلبة الأجانب طيلة إقامتهم في البلاد للدراسة. وبعبارة أخرى فإنهم يعملون على نشر وترويج الأهداف التي يتوخاها المجلس في المناطق المختلفة التي تقع ضمن نطاق اختصاصهم.

وتصم مكتبة المجلس ما يقارب ٨,٠٠٠ مؤلف، تبرع بالقسم الأعظم منها مولانا أبو الكلام آزاد من مجموعة الكتب والمؤلفات العيسة التي يفتنيها ويراعى المجلس عند تحيره كتباً جديدة تصم إلى المكتبة من حين إلى آخر، أن تكون للمكتبة مجموعة شاملة من هذه الكتب والمؤلفات بحيث لا تمثل الواحى الثقافية والاجتماعية فى الهدد حسب، بل وفى اللدان الأخرى. وتلقى مكتبة المجلس دورها عدداً من الصحف والمجلات من مختلف اللدان، وتتبادل مع هذه اللدان بعض المجلات والصحف التي تصدر فى الهدد.

وبه لى دواعى اعتباطاً أن روف إلى القراء بأ تعلب المجلس عما قريب على عقة أفتقاره لى حاص به، وهى العقة التي اعترصت سديله طيلة هذه الأعوام. وسيباشر عما قريب فى إقامة هذا المسى الذى سيراى فى تصميمه توفير جميع وسائل الراحة الضرورية للأعمال والواحاح التي يصطلع بها وسيقام المسى الحديد على قطعة من الأراضى التابعة لاملاك اندررستا Indiaprasta الواقعة فى دلهى. ومن المقرر أن يكون جاهراً فى بحر عام واحد.

وبإا إد بقدّم لقرائنا هذه الخلاصة عن أعمالنا، فاعلموا بالامل بأن بوفى فى هذه الحالة إلى اعطائهم فكرة عن الجهود التي يبذلها المجلس لأحلال التمام وأشعاع حس البية بين أمم العالم أجمع.

من أخبار الهند الثقافية

عقدت الهيئة التعليمية الثقافية العلية للأمم المتحدة (اليونيسكو) في ٥ أكتوبر سنة ١٩٥٦ دورتها التاسعة، في نيودلهي واستمرت الاجتماعات لشهر كامل. وكان لها أثر بالغ في حياة العاصمة الهندية. وما أصدق ما سمي هذا الشهر «شهر اليونيسكو». فقد حصر من الدول الراحية مدوونون دوو الشهرة العالمية، وألقى بعضهم محاضرات عليّة قيمة في عدة معاهد الهد الثقافية والتعليمية. وأقيمت احتفالات اجتماعية، ومعارض فنية وأدبية هده المناسبات تكريما للصيوف وترحباً بهم

ولعل الحو العمومي من الروعة عايتها بالعتقاد حفلة للذاكرة في موضوع البودية (Buddhist Symposium) تحت رعاية اليونيسكو فعت في العامة روحاً جديدة حماسية

وانتهرت الطائفة الحينية بدورها الفرصة الذهبية، فادرت إلى إقامة اجتماع حول الحينية والسلام العالمي (Symposium on Jainism and world peace)

وتكرم رئيس وزراء الهد، الباديت حواهر لال هرو، فتولى افتتاح الدورة. ولم يكن قط في التاريخ اليونيسكو أن عقد اجتماعها العمومي في حين تتراكم أشباح من حوادث ربما تفضي إلى حرب عالمية أخرى، ومن أحل هذا لم تتجنب دورتها الصعفة السياسية التي امتزحتها حيا الحين، ولو أنها مظمة ليست سياسية، وذلك أن عالم الأدب والعلم والثقافة لا يمكن أن يحطو خطوة في سبيل التقدم عندما تحددق الأخطار بالحريات والسيادات القومية الجائره وتهدها بالقضاء. وأعنى رئيس وزراء الهند لذلك بمعالجة المشاكل السياسية الحامية اليوم.

واتخب نخامة مولانا أبو الكلام آزاد ورير المعارف الهدية ورئيس مجلس الهد للروابط الثقافية، رئيسا عاما لهذه الدورة، وألقى فيها خطابا هاما له أهمية وقيمة تاريخية، نشرنا ترجمته في مكان آخر من المحلة

ومن أهم الأعمال المتكاثرة التي أحرمتها اليوبيسكو في هذه الدورة هي .

- (١) مشروع نشر مختارات من مؤلفات المهاتما غاندى
- (٢) د بدل الجهود في تحسين العلاقات بين الثقافة الشرقية والعربية وتقديرها
- (٣) د نشر التعليم الابتدائي في أمريكا اللاتينية
- (٤) د إحراء الحوث العلمية في المناطق القاحلة المحددة .

* * *

أقيمت في دلهي حملة تذكارية بمناسبة مرور ٢،٥٠٠ عام على نودا وامتارت هذه الحملة باحتفالات شعبية رائعة، حضرها الشخصيات الكبار، ورجال العلم والأدب، وألقوا فيها المحاضرات، مهم الدكتور راحدر برشاد رئيس الجمهورية الهدية، والناديت حواهر لال هرو رئيس وزراء الهد، ودلاى لاما، وباش لاما مدوبانت، والمستريو بو مدوب رما . وأقيمت هذه المناسبة عدة معارض للى الودى فى الهد وغيرها. كما أقيمت حملات الرقص والموسيقى، وعرضت أفلام ومثلت تمثيليات ألفت الضوء على رسالة نودا فى حياته.

* * *

ألقى الدكتور رادهاكرشن خطبا فى معهد بيرل سهاى لدراسة السات المتحجرة بلسكناؤ. فقال إن ما زعمه كارل ماركس، وحورج براردشا من توقف التقدم على مادية التطور، نظرية لا تحلو من الطر فيها، فيها خطأ أساسى وهو أنا تؤمن بالتحانس بين التاريخ الشرى والتاريخ الساقى وهما شيان متائنان، فان التاريخ الشرى ليس باستمرار تسوينى (Protractive Continuity) وذلك من

أحل تغيرات دورية وفجائية (Cataclysm and Revolutionary Changes) وإلما يتوقف التقدم البشرى على سلوك البشرى، فادا انحط المجتمع البشرى فهو من عدنا لا من خطأ صدر من الله .

* * *

وصع الدكتور راحدر برشاد رئيس الجمهورية الهندية فى دلهى حجراً أساسيا لمسى حديد لمجمع الثقافة الهندية الدولى، وكان مستقر هذا المجمع من قبل فى ناهبور، وافتح الدكتور كذلك « ساتايتاكا » وهو مجموعة السجلات التاريخية التى يعنى بها المجمع لتقديم صورة كاملة عن التيارات المتعددة التى عبرت بالأمكار الهندية الآسيوية . ويقتى المجمع المواد من المخطوطات والأعمال الفنية، وصور الأمكة التاريخية التى تمكه من إبحار مهمته، ويساعده فى هذا العرص الاحصائيون من الدول المختلفة .

* * *

عينت الحكومة الهندية لجنة من جهادة اللغة الساسكرية تحت رئاسة الدكتور سويت كار شترجى، للطرفى الوسائل التى تساعد على تعميم هذه اللغة على أحسن وجه، وفى التغيرات اللازمة فى سبيل رفع مستوى التعليم لهذه اللغة بمزيج من الطرق التقليدية والعصرية وغيرها .

* * *

قدمت الجمهورية الصينية إلى الحكومة الهندية أربعين قطعة من الحرف الملون الصينى . وذلك كمادج من الثقافة الراقية التى ازدهرت فى الصين مسد خمسة آلاف سنة .

* * *

عينت وزارة المعارف الهندية عالمين روسيين - المستر فى أين شوميلوف من

رجال مصلحة المحفوظات الحكومية المركزية الروسية والمسترفي. في. ماكساكوف من معهد موسكو الحكومي للمحفوظات التاريخية عضوين مراسلين للجنة السجلات التاريخية الهندية. ومن وظائف اللجنة اقتناء المواد الحقيقية للتاريخ الهندي. والاحتفاظ بها بطرق علمية عصرية ونشرها بالتالي.

* * *

رأى روسيا وفد هندي متكون من رجال التعليم برئاسة الأستاذ همايون كير^١ أحد أعضاء البرلمان، ليدرس النظم الروسية للتعليم في مراحلها المختلفة.

* * *

وقعت الحكومتان الهندية والإيرانية معاهدة لتسمية العلاقات الثقافية بين البلدين، وتخص المعاهدة على إنشاء وتوسيع الروابط الثقافية والتعاون المتبادل بين البلدين، بكل ما يمكن ولا سيما في حقلي العلم والتعليم وتقوم الحكومتان طبقاً للمعاهدة بتبادل أساتذة الجامعات وأعضاء المعاهد العلمية والثقافية، وتساعد كل منها الطلبة وتوفر عليهم وسائل ما تسهل لهم دراساتهم في دولة أخرى، كما تحتوي المعاهدة على تدريب موظفي إحدى الحكومتين ورحالها في المعاهد العلمية والفنية والصناعية التابعة لدولة أخرى.

* * *

جاء في التقرير السنوي لمصلحة الآثار الهندية لعامي ٥٦ - ١٩٥٥ :

١ أن التنقيبات في باتالي تيرا (مدينة بنا الحالية في مقاطعة بهار)، لم تحرر إلا في منطقة محددة. لكنها كشفت عن عادات وشواهد تسمية، مما حطامة لا يستبعد أن تكون من عاصمة أشوكا ذات العمد، وهذه الحطامة معطاة بالرماد والفحم والجير، وتمثل الاحتلال الموري الذي قضى عليه حريق، كما تدل على أن مدينة باتالي تيرا أصابها الحريق قبل القرن الأول ق م.

٢ أجريت التنقيبات في موقع دير «عوشى ناراما» في كوسامبي (بالقرب من إله آباد)، ودلت على أن المكان ما زال مأهولا منذ القرن السادس ق.م. حتى القرن السادس، م. عندما دمره هوباس و تورامانا، وتشكل الدير خلال هذه القرون بأشكال سائبة مختلفة يلع عددها إلى ١٦ شكلا، وكان في شكله الأخير يحتوى على ماء مربع الروايا تحططه حرات صغيرة، وفي الحمة الداخلية شرفة تحيط بالقبة الرئيسية (استونا) المية ٥٠٠ ق.م. وعدة قباب (استوناهاات) أخرى صغيرة. وكان الساء كله محاطا بسور.

٣ والتنقيبات التالية في ناحرحوناوودا (مقاطعة اندهرا)، كشفت عدة أدبرة أخرى وقباب (استوناهاات)، ومماذج سائبة أخرى في حدود القصر، وسرادق، وما يذكر أن ما اكتشفت في هذه التنقيبات من الوثائق تحمل - بحاب الملك سرى ورما - اسم «رودراروساداتا» لملك آخر من عائلة أكساكا.

٤ وتقول الأنباء أن معبدا من معابد القرن التاسع الميلادى اكتشف في مررا بور، (مقاطعة اترارديش) وكان المعبد على حال ودهيا، يقوم بمهابة ونخامة، ووجدت تماثيل كثيرة لآلهة الهندوسيين.

* * *

Accession Number

173886

29.9.56

مجلس الهند للروابط الثقافية

اجتمعت اللجنة المنظمة لمجلس الهند للروابط الثقافية تحت رئاسة صاحب المعالى مولانا أبى الكلام آزاد وزير المعارف الهندية ورئيس المجلس، وقدم المستر إنعام الرحمان حان سكرتير المجلس تقريرا عن أعمال المجلس من شهر مايو لغاية شهر نوفمبر.

THAQĀFATU'L-HIND

(INDIAN CULTURE)

PUBLISHED QUARTERLY

in

MARCH, JUNE, SEPTEMBER and DECEMBER

CONTENTS

Subjects	Contributors	Page
1 The Cultural Traces of Islam in India		2
2 Folklores of "Mapla" . .	Mohiaddin Alwaye .	23
3 UNESCO Session in New Delhi .		37
4 Science, Democracy & Islam . .	Translated by Sayyid Abdul Khaliq Naqvi	67
5 Indian Council for Cultural Relations .	I R Khan	91
6 Cultural News of India		96

ANNUAL SUBSCRIPTION Inland Rs 8 Abroad Sh 8 **SINGLE COPY** Rs 2

INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS
PATAUDI HOUSE, NEW DELHI 1

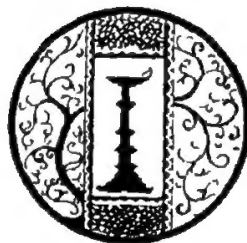
PRINTED AT **Q** PRESS BY

KHALEEL BHARAPUDDIN, 29 MUHAMMADALI ROAD BOMBAY 3 AND PUBLISHED BY
MR I R, KHAN
SECRETARY INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS PATAUDI HOUSE, NEW DELHI 1

THAQĀFAT'UL-HIND

(INDIAN CULTURE)

*A QUARTERLY ORGAN OF
INDIAN COUNCIL FOR CULTURAL RELATIONS*



DECEMBER 1956

